الإدارة العُليا لِلحَوزات العلميَّةِ
مَكتب اعداد النُصوص الدِّراسيَّة

١/١٣٢٢/٣

جَواهر البَلاغة

نُسخَةٌ مُنقَحة جَديدَة

جماعة من اساتذة البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

جَوَاهِرُ البَلَاغَةِ

نُسخَةٌ مُنقَّحَةٌ جَدِيدَة

جواهر البلاغة

نُسخَةٌ مُنقَّحَةٌ جَدِيدَة

احمد الهاشمي

❋❋❋

مكتب اعداد النصوص الدراسية

الناشر : الإدارة العليا للحوزات العلمية

❋❋❋

لجنة التحقيق و التنقيح العلمي :

منصور القابشي

السيد حميد الجزايري

محمد الافخمي الاردكاني

❋❋❋

الطبعة التاسعة / تابستان ١٣٩٦

الكمية : ٥٠٠٠ نسخة

السعر : ٩٠٠٠ تومان

❋❋❋

الناشر : ٣٧٧٤٨٣٨٣ - ٠٢٥

مكتب التدوين :

٣٢٩١٠٩٧٠ - ٠٢٥

WWW.TMD.IR

سرشناسه : هاشمی ، احمد ، ۱۸۷۸ - ۱۹۴۳ م .

عنوان و پدیدآور : جواهر البلاغه : نسخه محققه و ملحقه ؛متن درسی مولف احمد هاشمی ؛ لجنه التحقیق و التنقیح:محمود الفتوحی ، ملصور القابشی ، محمد العشایری المنفرد ، محمد الافخمی الاردکانی (به سفارش) مرکز تدوین متون درسی

مشخصات نشر : قم : حوزه علمیه قم . مرکز مدیریت . ۱۳۹۵

مشخصات ظاهری : ۳۱۶ ص .

شابک : ۳ - ۳۸ - ۲۶۳۸ - ۹۶۴ - ۹۷۸

موضوع: زبان عربی- معانی و بیان - بدیع - آزمون ها و تمرین ها (عالی)

شناسه افزوده : فتوحی ، محمود - ۱۳۲۶

شناسه افزوده : قابشی ، ملصور - ۱۳۶۰

شناسه افزوده : عشایری ملفرد ، محمد - ۱۳۵٤

شناسه افزوده : افخمی اردکانی ، محمد - ۱۳۳۸

رده بندی کنگره : ۹ ج ۲ هـ ۱۳۸۸ / ۲۰۲۸ PJA

رده بندی دیویی : ۰٤۹۲۷ / ۸۰۸

شماره کتابشناسی ملی : ۱۸۳۵۰۶۱

نرجو من الأساتذة الأعزّاء و الطلاّب الأحبّاء و جميع أصحاب الرأي أن يساعدونا بتقديم آرائهم القيّمة حول كتب مركز تدوين المتون الحوزويّة عبر:

WWW.TMD.IR

مفهرس الكتاب

علم البيان

البديع

آية البلاغة قلب عقول و لسان قائل

(غرر الحكم و دررالكلم)

كلمة المكتب

حمداً لمن خصّ سيّد الرُّسل بكمال الفَصاحة بين البَدوِ و الحضَر و أنطقهُ بجوامع الكلِمَ فأعجز بُلَغاء رَبيعةَ و مُضَر، و أنزل عليه الكتاب الْمُفْحِم بتَحدِّيه مَصاقِع بُلغاء الأعراب ، و آتاه بحكمة أسرار البلاغة وَ فصل الخطاب، و منحهُ الأسلُوب الحكيم[1] في جوامع كلِمه، و خصَّ «السَّعادة الأبدية» لمُقتفي آثاره و حِكَمِه ، ﷺ «جواهر البلاغة» الذين نَظمُوا لآلىء البديع في عُقود الإيجاز و الإطناب، فَفُهنا بعد اللَّكن «بجواهر الإعراب» و نطقنا «بميزان الذَّهب» و طرّزنا سُطور الطُّروس «بجواهر الأدب» فصارت «المُفرد العَلم» في باب النّسب (وبعد) فإنَّ العلومَ أرفعُ المطالب، و أنفع المآرب، و علم البلاغة مِن بَينها أجلها شأناً و أبينها تِبْياناً، إذْ هو الكفيل بإيضاح حقائق التَّنزِيل ؛ و إفصاح دقائق التأويل، و إظهار «دلائل الإعجاز» و رفع معالم الإيجاز.

و مِن الكُتب المصنَّفة في علم البلاغة، كتاب **جواهر البلاغة** الدارج في المدارس العلمية المشتمل على مزايا و خصوصيات يمتاز بها على أقرانه و يعتلي على نُظرائه و لكنّه لا يخلو من نواقص و معايب.

---

١ .الأسلوب الحكيم و السعادة الأبدية و جواهرالبلاغة و جواهر الإعراب و جواهر الأدب، و ميزان الذهب و المفرد العلم –الواردة فى هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب- و غيرها من القواعد الأساسية للغة العربية و مختار الأحاديث النبوية و الحكم المحمدية و السحر الحلال فى الحكم و الأمثال.

فقام جماعة من أساتذة البلاغة في الحوزة العلمية بقم المقدسة(مع حفظ أساس الكتاب و بنائه و تبويبه) بتَهذيبه و تَذهيبه فصار مشتملاً على ميزات منها:

١. تصحيح أخطائه و الآراء غير العلمية فيه.

٢. حذف الأشعار و المُثُل غير الصّحيحة و الإبدال منها بالصِحاح.

٣. حذف الأشعار غير المفيدة و الإبدال منها بأشعار مفيدة و الآيات القرآنية و الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله و الأئمة أهل البيت عليهم السلام ليستضيئ الدارس و المدرّس من نور كلامهم.

٤. حذف التمارين المطوّلة و غير المفيدة و الإبدال منها بتمارين مفيدة مشتملة على آي الذكر الحكيم و رواياتهم عليهم السلام و أشعار يدعون المفيد و المستفيد إلى ذكر الله و تزكية النّفوس و يرشدنَهم إليهما و يعنّهم عليهما.

و نرحّب بما يُهدي إلينا الأساتذة الكرام و ذَوو الآراء و الأنظار مما يرونه من الأخطاء و المساوي في هذا الكتاب تمسكاً بقول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أحب إخواني إلَي من أهدى إليّ عيوبي.

و نُقدّم شكرنا إلى مَن أجاب دعوتنا في هذا المهم من الأساتذة الكرام لاسيّما حجج الإسلام «**منصور القابشى، السيد حميد الجزايرى و محمد الافخمى الاردكانى**» أدام الله توفيقاتهم.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و صلّى الله على سيدنا محمّد و آله الطاهرين.

مركز إعداد الكتب الدرسيّه

❖ تمهيد

إنّ كلام العرب في صدر الإسلام و قُبيله كان على أحسن مراتب الفصاحة و أرقى درجات البلاغة لاشتماله على المجاز و الاستعارة و التشبيه و الإيجاز والكناية و غيرها مما يزيد الكلام حسناً و حلاوة.

و كان لاهتمامهم بالفصاحة و البلاغة شأن كبير في رواج الأدب العربي و قيام سوقه.

حين ذاك نزل القرآن الكريم على أفصح لغات العرب و أكثرها مألوفية للعرب و لم تكن معانيه الظاهرة بما فيها من اللطائف و الطرائف الأدبية تَخفى عليهم.

و كذا جرى الأمر بينهم حتى أخذت الأمم غير العربية يدخلون في دين الله أفواجاً و يعتنقون الإسلام ديناً و بعد هجرتهم إلى البلاد العربية امتزجت الألفاظ العربيّة ببعض ألفاظهم فكلما زاد البعد عن زمن النبي ﷺ ازداد:

أولاً: البعد عن أعلى مراتب الفصاحة و البلاغة و الاهتمام بهما، فاكتفوا بأقل ما يدل على المراد من الكلام بأيسر طريق ممكن و شاع هذا الطريق بينهم حتى تغير أسلوب الكلام عند عامة الناس و خفيت عليهم مزايا الكلام و طرائفه و ما زال ينمو شيئاً فشيئاً حتى سرى داؤه إلى بعض الخواص أيضاً.

وثانياً: الاحتياج إلى اقتباس أصول و قواعد تُعين على معرفة مزايا الكلام و تحسيناته بقدر الوسع، تيسيراً لتفسير معاني القرآن الكريم. و معرفة اخبار السنّه و اشعار العرب.

و بما أن الفصاحة و البلاغة من أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم[1] الدالة على صدق

---

١ . فإنه تعالى يقول بأعلى صوت: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقره/٢٣). أي: إن كنتم شاكّين فى أنه كلام الله المنزل من عنده على عبده و جوزتم أن يأتى به بشر من عند نفسه فأتوا بسورة من مثله فإنه نزل بلسانكم العربى و أنتم فى أعلى مراتب الفصاحة و البلاغة و ادعوا من تريدون من الذين ينصرونكم، ثم يحديهم بقوله: إن كنتم صادقين فالآية تدل على أنهم لا يقدرون أن يأتوا بسورة من مثله.

دعوى النبي ﷺ فللتدبّر في موارد استعماله و أسلوبه دورٌ كبيرٌ في ذلك، بل هو المرجع الرئيسي فيه.

و بالجملة إن القرآن الكريم في أعلى مراتب البلاغة حكماً و ميزاناً في الدراسات الأدبية و البلاغية لما امتاز به من سمو المعنى و بلاغة التعبير و روعة التصوير و جمال الأسلوب و فصاحة البيان.

و لعلمي المعاني و البيان أعظم أثر في استيعابه و تفسيره و كشف القناع عن معانيه الرشيقة و من ثَم قال الزمخشري:

فالفقيه و إن برز على الأقران في علم الفتاوي و الأحكام، و المتكلم و إن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، و حافظ القصص و الأخبار و إن كان من ابن القرّية أحفظ، و الواعظ و إن كان من الحسن البصري أوعظ و النحوي و إن كان أنحى من سيبويه، و اللغوي و إن علك اللغات بقوّة لَحيَيْه لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، و هما علم المعاني و علم البيان.[١]

و كذلك لعلمي المعاني و البيان دور هامّ في فهم لطائف كلام النبي ﷺ و الأئمة الأطهار عليهم السلام و طرائفه كيف لا؟ و معاني كلامهم عليهم السلام كبحار عظيمة لها سطوح و بطون و تحت البطون بطون و تنصرف الكلمة الصادرة عنهم على سبعين وجهاً[٢] و الناس يستفيدون من كلامهم عليهم السلام كل على قدره. و من كلام النبي ﷺ: رب حامل فقه إلي من هو أفقه منه.[٣]

---

١. الزمخشري/ الكشاف، ٢/١.

٢. عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «حديث تدريه خير من ألف ترويه ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج.» بحارالأنوار، ٢، باب ٢٦، ح ٥.

٣. بحارالأنوار ١٦١/٢

و كل واحد من الناس يستخرج من بحار معاني كلامهم عليهم السلام على مقدار غوصه و استيعابه.

و كذلك للعلمين دور فعّال في فهم كلام الحكماء و البلغاء من غير المعصومين أيضاً فإن كلامهم يشتمل على طرائف و ظرائف لاتُدرَك إلا بهما.

إذاً فلابدّ لطالب المعارف الإلهية و أسرار العلوم النبوية و الجعفرية من تعلم المعانى و البيان تعلماً نظرياً و استخدامهما تطبيقياً.

الفصاحة

الفصاحة في اللغة تأتي على معنى البيان و الظهور[1]، كقوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾(القصص/٣٤) أي: أبين منطقاً. يقال أفصح الصبّى فى منطقِهِ اذا بان و ظهر كلامه و قالت العرب أفصح الصبح و فَصُحَ اذا أضاء.

و هى فى الاصطلاح تقع وصفاً

للمفرد، نحو: الرحمن و الشمس و الأرض.

و للكلام، نحو: قول علي أميرالمؤمنين عليه السلام :إن الحق ثقيل مريئٌ و إن الباطل خفيف وبيءٌ.[2]

و للمتكلم، كابى الحسن الرضا عليه السلام كما قال فيه ابوالصلت الهروى : كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم و كان والله أفصح الناس.[3]

---

١ . الفصاحة: البيان، فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء. تقول رجل فصيح و كلام فصيح أى: بليغ و لسانه فصيح أى طلق. لسان العرب،٥۴۴/٢.

٢ . نهج‌البلاغة، حكمة ٣٧۶.

٣ . عن أبى الصلت الهروى، قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم و كان و الله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان و لغة، فقلت له يوماً: يابن رسول الله، إنّى لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها ! فقال:يا أباصلت، أنا حجة الله على خلقه، وما كان الله ليتخذ حجة على قوم و هو لا يعرف لغاتهم، أما بلغك ما قال أمير المؤمنين عليه السلام: و أوتينا فصل الخطاب؟ فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات؟». عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢۵١/١.

❖ فصاحة المفرد

هي حسنه الحاصل من موافقته للقاعدة و سهولة النطق به و سهولة فهم معناه، فهنا ثلاثة أمورٍ كلٌ منها يخلٌ بفصاحة المفرد[١]:

الأول: مخالفة القياس الصرفي: و هو كون الكلمة شاذة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب مثل «الأجلل» في قول أبي النجم:

الحمد لله العلي الأجلل   الواحد الفرد العلي الأوّل

فإنّ القياس الأجلّ بالإدغام و لا مسوغ لفكّه.

و كقطع همزة وصل اثنين في قول جميل:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة   على حدثان الدهر مني و من جمل

نعم مخالفة القياس الصرفى اذا كان اللفظ موافقاً لاستعمال البلغاء و مأنوس الاستعمال لديهم لا تضر بفصاحته كالمشرق و المغرب و المدهن و المكحل.

الثاني: تنافر الحروف[٢]: و هو وصف في الكلمة يوجب عسر النطق بها على اللسان، نحو الهقعة بمعنى النجم في قول أعرابي: إذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة و رجعوا عن النجعة.[٣] و نحو عُهْعُخ لنبتٍ ترعاه الابل من قول الاعرابى: تركت ناقتى ترعى العُهْعُخ.

و لا ضابط لمعرفة الصعوبة سوى الذوق السليم سواء كان التنافر من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك من أوصاف الحروف.

---

١ . المشهور حصر الخلل فى الثلاثة و قيل بزيادة رابع و هو الكراهة فى السمع و هى وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على السمع كالجرشى بمعنى النفس فى قول الشاعر: كريم الجرشى شريف النسب.

٢ . حيث إن صعوبة التلفظ من المفاهيم المشككة القابلة للشدة و الضعف قسّم بعضهم التنافر إلى الشديد و الخفيف و لا بأس بتذكيره و إن كان فى التقسيم نظر لعدم اختلاف الأقسام حكماً.

٣ . درالمخصص، ۱۵/۹.

الثالث: الغرابة و هي كون الكلمة غيرظاهرة المعنى و لا مألوفة الاستعمال عندالعرب الفصحاء و لها موضعان:

أ: ما يعاب استعماله للاحتياج إلى تتبع اللغات و كثرة التفتيش في قواميس متن اللغة المطوّلة حتى يعرف معناه،[1] نحو: تكأكأتم و افرنقعوا بمعنى اجتمعتم و تفرقوا في قول عيسى بن عُمر النحوي: ما لكم تكأكأتم علي كتكأكأكم على ذي جنة افرنقعوا عني. و نحو جحلنجع من قول أبي الهميسع:

من طمحة صبيرها جحلنجع   لم يحضها الجدول بالتنوّع

ب: مايوجب حيرة السامع في فهم المقصود منه لانه غير مستعمل عند العرب و لم يعرف له معنىً فيحتاج الى تأويل و تخريج كالمسرّج فى قول الشاعر:

و مقلةً و حاجباً مزججّا   و فاحماً و مرْسناً مسَّرجا

فلا يعلم ما اراد بقوله مسّرجاً حتى اختلفت ائمة اللغة فى تخريجه.

❖ فصاحة الكلام

هي حسنه الحاصل من موافقتهِ للقياس النحوى و سهولة النطق به و سهولة فهم المراد منه مع فصاحة مفرداته.

فهنا ثلاثة أمورٍ كلٌ منها يخلُّ بفصاحة الكلام:

الأول: ضعف التأليف: و هو أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانينِ النحو المعتبرة عند جمهور العلماء كوصل الضميرين المنصوبين و تقديم غير الأعرف منهما على الأعرف مع أنه يجب الفصل في تلك الحالة، كقول المتنبي:

خلت البلاد من الغزالة ليلها   فأعاضهاك الله كي لاتحزنا

---

١. فمنه ما يعثر فيها على تفسيره بعد كدّ كالمثال الأوّل و منه ما لم يعثر على تفسيره كالمثال الثاني.

و كالإضمار قبل تقدم مرجعه في غير أبوابه، نحو:

و لو أن مجداً أخلد الدهر واحداً　　　من الناس أبقى مجده الدهر مطعماً[١]

الثاني:تنافرالكلمات: و هو وصف في الكلمات يوجب عَسارة النطق بها مجتمعة على اللسان و إن كانت كل منها على انفرادها فصيحةً.

و الملاك لمعرفة العسر والصعوبة هو الذوق السليم كما سبق سواء كان التنافر من تجاور كلمات متقاربة الحروف أم تكرير كلمة أم غيرذلك، نحو:

كريم متى أمدحه أمدحه و الورى　　　معي و إذا ما لمته لمته وحدي

و نحو:

و قبرُ حربٍ بمكان قفرٌ　　　وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرٌ

الثالث: التعقيد: و هو كون الكلام خفي الدلالة على ما أريد منه و هو على قسمين:

أ: التعقيد اللفظي: و هو التعقيد الحاصل من وضع الألفاظ في غيرالمواضع اللائقة بها من تقديم أو تأخيرأو حذف بلاقرينة أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي ينبغى تجاورها، كقول المتنبي:

جفخت و هم لايجفخون بهابهم　　　شيم على الحسب الأغر دلائل

أصله جفخت شيم دلائل على الحسب الأغر بهم، و هم لايجفخون بها، أي: افتخرت الشيم و الأخلاق الفاضلة بهم، و هم لايفتخرون بالأخلاق و الشيم.

ب: التعقيد المعنوي: و هو التعقيد الحاصل لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود، بأن يكون المعنى الثاني المفهوم من الأول بعيداً عن الذهن عرفاً،

---

١ . هو مطعم بن عدى أحد رؤساء المشركين و كان يذب عن النبى ﷺ(عن البلاغة الواضحة).

نحو قول عباس ابن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا　　　و تسكب عيناي الدموع لتجمدا

فإنه جعل سكب الدموع كناية عن الحزن اللازم من فراق الأحبّة فأحسن و أصاب. و لكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عن الفرح و السرور الحاصلين من قرب الأحبة و تلاقيهم لأن جمود العين يجعل كنايةً عن عدم البكاء حالة الحزن و جعلُها كناية عن السرور غيرُ معروف عند العرب فلا ينتقل الذهن منه إليه.

و هكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض و يغيرها المتكلم و يريد بها أغراضاً أخرى، يعدّ ذلك تعقيداً في المعنى حيث لايكون المراد بها واضحاً.

و قيل: إنه يخل بفصاحة الكلام أمران آخران أيضاً:

الأول:كثرة التكرار و هى كون اللفظ الواحد تعدد مرة بعد أخرى، كقوله:[١]

إنــي و أسطار سطرن سطراً　　　لقائل يا نصرُ نصرٌ نصراً

الثاني: تتابع الإضافات، و هو كون الاسم مضافاً إضافة متداخلة، كقول ابن بابك:

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي　　　فأنت بمرأى من سعادَ و مسمع

و ردّ بأنهما إن اقترنا بتنافر الكلمات فالاخلال منه و إلا فلا إخلال، فهما لايخلان بالفصاحة.

فتبين أن الكلام الفصيح كلام حسنٌ يسهل النطق به و يفهم معناه و يوافق القياس النحوى مع فصاحة كلماته.

---

١. اذا اردت التفصيل فى اوجه تراكيب هذا البيت فراجع خزانة الادب للبغدادى المجلد الثانى، ص١٩٣.

❖ فصاحة المتكلم

عرّفوا فصاحة المتكلم بأنها ملكة يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان.

و الملكة: كيفية راسخة في النفس توجب صدورَ الفعل المناسب لها عن صاحبها بسهولة.

و في تعريف الفصاحة بالملكة دلالة على أن المتكلم فصيح إذا وجدت فيه تلك الملكة وإن لم يتكلم بعدُ.

تمارين

١. عرّف الغرابة و مخالفة القياس و ضعف التأليف.

٢. بيِّن العيوب التي أخلت بفصاحة الكلمات فيما يأتي.

قال يحيى بن يعمر لرجل حكمته امرأته إليه: أئن سألتك ثمن شكرها و شبرك، أخذت تطلها و تضهلها؟[١]

٣. بيِّن العيوب التي أخلت بفصاحة الكلام فيما يأتي:

و مـا مثلـه فـي النـاس إلاّ مملـكاً ... أبـو أمـه حـي أبـوه يقاربـه.

و ازورّ مـن كان لـه زائـراً ... و عـاف عافـي العـرف عرفانـه.

---

١. الشكر: الرضاع، و الشبر: النكاح، و تطلها: تسعى فى بطلان حقها، و تضهلها: تعطيها الشيء القليل.

البلاغة

البلاغة في اللغة: تدل على الوصول و الانتهاء يقال بلغ فلان مراده إذا وَصَلَ اليه و بلغ الركب المدينة اذا انتهى اليها[1] .

و هي تقع في الاصطلاح وصفاً للكلام و المتكلم دون المفرد لعدم السماع بذلك.

❖ بلاغة الكلام

عرفوا بلاغة الكلام بأنها مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه حال الخطاب.

و هذا يحتاج إلى شيء من البيان، فاعلم:

أنّ للكلام صورا و خصوصيات كالإيجاز و التأكيد و حذف جزء منه و تقديم ما حقه التأخير فيه و خلاف كل منها. و أيضاً هناك أمور تدعو المتكلم إلى أن يورد كلامه على صورة مخصوصة منها دون خلافها.

و يسمى الأمر الداعي المقامَ و حالَ الخطاب[2] و الصورةُ المخصوصة المدعوُ إليها الاعتبارَ المناسب و مقتضى الحال. (مثلاً المدح يدعو المتكلم إلى إطناب الكلام دون

---

١ . رجل بليغ و بَلغ و بِلغ: حسن الكلام فصيحه و الجمع البلغاء و قد بلُغ الرجل بلاغة أى: صار بليغاً (لسان العرب/٨/٤٢).

٢ . ويصح تسميتها بالمقتضى، لأنه يقتضى الإعتبارات المناسبة.

إيجازه أو مساواته فالمدح حال و مقام و الإطناب مقتضى الحال)[1].

فإن أجاب المتكلم الداعي و أورد كلامه الفصيح مطابقاً لمقتضاه (بأن أطنب في مقام المدح مثلاً) يكون كلامه بليغاً و إلا فلا.

فاتضح أن:

الحال: هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يورد كلامه على صورة مخصوصة دون أخرى.

و **مقتضى الحال:** هو الصورة المخصوصة المدعو إليها.

و **البلاغة:** هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال.

و **الكلام البليغ:** هو الكلام الفصيح المطابق لمقتضى الحال.

❖ بلاغة المتكلم

و **البلاغة في المتكلم** ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في أي معنى قصده[2].

انظر إلى هذه الآية: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ (ق/٣٠).

و قل لي هل تتصور بياناً أحسن من بيانه سبحانه في إفادة أن جهنم واسعة و أنها لم تمتلِئ بعدُ، مع كثرة مَنْ يلقي فيها من المجرمين و الشياطين و الكفار و المنافقين؟ فإنه سبحانه لم يقل: جهنّم واسعة. بل عبر عنها بسؤال و جواب، و الاستفهام منه تعالى ليس بحقيقي بل تقريريٌ. و انظر إلى حلاوة الجواب فإنه لايكون بقول «لا» أو «لم امتلأ» بل جاء على صيغة السؤال فإنها تقول مشبهة بجائع شرهان لم يشبع بعد: هل من مزيد؟

و حيث أن الفصاحة و البلاغة من الالفاظ المشككة القابلة للتفاضل فلكل واحد

---

١. ومقتضى الحال فى التحقيق هو الكلام الكلى المتكيف بكيفيةٍ مخصوصة على ما اشار اليه فى المفتاح و صرح به فى شرحه لانفس الكيفيات من التقديم و التاخير و التعريف و التنكير على ما هو ظاهر عبارة المفتاح و غيره و الا لما صح بانّها احوال بها يطابق اللفظ مقتضى الحال لانها عين مقتضى الحال (مختصر المعانى، ص ٢٨).

٢. ومما يستدلّ به عليها كلامه

منهما طرفان أعلى و هو حد الإعجاز و ما يقرب منه و أسفل و هو ما إذا بُدِّل به ما دونه خرج الكلام عن الفصاحة و البلاغة، و بينهما مراتب كثيرة.

و الفصاحة و البلاغة في مراتبهما الدانية موجودتان في المحاورات و المكالمات العرفية و لكن بعض مايستعمل فى المحاورات العرفية تنحطّ رتبته في الفصاحة و البلاغة بحيث يكون استعماله لدى الخاصة معيباً و بعض ما يستعمله رفيع رتبته و يكون استعماله عند الخاصة حسناً أيضاً.

تمارين

١. بيِّن الفرق بين الفصاحة و البلاغة؟

٢. بيِّن الحال و مقتضاه فيما يلي؟

قال الله تعالى:

﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ (الجن/١٠).

قال رسول الله... ﷺ: **إن الحسين مصباح الهدي و سفينة النّجاة.**[1]

قال علي أميرالمومنين عليه السلام : **ما لي أراكم. . . أيقاظاً نُوّماً و شهوداً غيباً و ناظرة عمياءَ و سامعة صمّاءَ و ناطقة بَكماءَ**[2]؟

يقول الناس إذا رأوا لصّاً أو حريقاً: لصٌّ، حَريقٌ.

يقول الناس للعاثر: الشمس طالعةٌ.

---

١. بحار الأنوار ٣٦ / ٢٠٥.

٢. نهج البلاغة/ خطبة ١٠٨.

❖ ملاحظات

تقدّم أنه تخل بالفصاحة مخالفة القياس الصرفي و الغرابة و التنافر و ضعف التأليف و التعقيد فاعلم أنّ:

١. **مخالفة القياس**: تعرف بعلم الصرف.

٢. **الغرابة**: تعرف بكثرة الاطلاع على كلام العرب و الإحاطة بالمفردات المأنوسة.

٣. **التنافر**: يعرف بالذوق السليم.

٤. **ضعف التأليف و التعقيد اللفظي**: يعرفان بعلم النحو.

٥. **التعقيد المعنوي**: يعرف بعلم البيان.

و تقدم أيضاً أن البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال فاعلم أنَ أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال تعرف بعلم المعاني.

و هناك أمور تكسو الكلام رقة و لطافة بعد بلاغته و هي تعرف بعلم البديع.

فإذاً تجب على طالب البلاغة مضافاً إلى معرفة اللغة و الصرف و النحو، و كونه سليم الذوق و كثير الاطلاع على كلام العرب؛ معرفةُ المعاني و البيان و تُستحسن له معرفةُ علم البديع.

فعلم المعاني: هو ما يبحث عن أمور يحترز بها عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى ذهن المخاطب.

وعلم البيان: هو ما يبحث عن أمور يحترز بها عن التعقيد المعنوي.

وعلم البديع: هو ما يبحث عن أمور يراد بها تحسين الكلام بعد بلاغته.

و حيث إن علم البيان يحترز به عن التعقيد المعنوي فهو دخيل في فصاحة الكلام.

و حيث إن علم المعاني يحترز بها عن الخطأ في تأدية المعنى فهو دخيل في البلاغة.

و أما البديع فهو أمر خارجي يراد به تحسين الكلام بعد بلاغته لاغير.

و ظهر مما تقدم أن النظر في كل من الفصاحة و البلاغة إلى اللفظ و المعنى جميعاً و إن كان في الفصاحة إلى اللفظ أكثر.

❖ أساليب البيان

يحسن بطالب البلاغة أيضا أن يعرف شيئاً مِنْ أسلوب الكلام (الذي هو كيفية صوغ المعنى في ألفاظ مؤلّفة).

و أنواع الأساليب ثلاثة:

١. الأسلوب العلمي:

و هو أهدأ الأساليب، و أكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم، و الفكر المستقيم، و أبعدها عن الخيال الشعري؛ لأنه يخاطب العقل، و يناجي الفكر، و يشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض و خفاء، و أظهر ميزات هذا الأسلوب الوضوح.

فيجب أن يعنى فيه باختيار الألفاظ الخالية من الاشتراك و أن تؤلَّف هذه الألفاظ في سهولة و جلاء، حتى تكون ثوبا شفّافاً للمعنى المقصود، و حتى لا تصبح مثاراً للظنون و مجالاً للتوجيه و التأويل.

ويحسن التنحّي عن المجاز و محسِّنات البديع في هذا الأسلوب، إلا ما يجيء من ذلك عفواً، من غير أن يمسّ أصلا من أصوله أو ميزة من ميزاته.

أمّا التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام، و توضيحها بذكر مماثلها فهو في هذا الأسلوب مقبول.

فإذن لابدّ أن يبدو فيه أثر القوة و الجمال و قوته في سطوع بيانه و رصانة حججه. و جماله في سهولة عباراته و سلامة الذوق في اختيار كلماته و حسن تقريره للمعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

٢. الأسلوب الأدبي:

و الجمال أبرز صفاته، و أظهر مميزاته و منشأ جماله ما فيه من خيال رائع و تصوير دقيق و تلمّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء و إلباس المعنوي ثوبَ المحسوس و إظهار المحسوس في صورة المعنوي.

هذا و من السهل عليك أن تَعرف أن الشعر و النثر الفني هما مَوطنا هذا الأسلوب، ففيهما يزدهر و فيهما قنّة الفنّ و الجمال.

٣. الأسلوب الخطابي:

هنا تبرز قوة المعاني و الألفاظ، و قوة الحجّة و البرهان، و قوة العقل الخصيب، و هنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم و استنهاض هممهم، و لجمال هذا الأسلوب و وضوحه، شأن كبير في تأثيره و وصوله إلى قرارة النفوس، وممّا يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه و قوة عارضته و سطوع حجته و نبرات صوته و حسن إلقائه و مُحكم إشاراته.

و من أظهر مميزات هذا الأسلوب: التكرار و استعمال المترادفات و ضرب الأمثال و اختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين.

و يحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار و أن تكون مواطن الوقف كافية شافية ثمّ واضحة قوية.

و يظن الناشئون في صناعة الأدب أنه كلّما كثر المجاز و كثرت التشبيهات و الأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه.

و هذا خطأ بين فإنّه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التكلّف و لا يفسده شرّ من تعمُّدِ الصناعة.

«١»

علم المعاني

١. في تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء.

٢. في حقيقة الإنشاء و تقسيمه.

٣. في أحوال المسند إليه.

٤. في أحوال المسند.

٥. في الإطلاق و التقييد.

٦. في أحوال متعلقات الفعل.

٧. في القصر.

٨. في الوصل و الفصل.

٩. في الإيجاز و الإطناب و المساواة.

❖ مقدمة

تقدم أنّ الكلام البليغ هو الذي يصوّره المتكلم بصورة تناسب أحوال الخطاب و إذاً فلابد لطالب البلاغة أن يدرس هذه الاحوال و الصور المناسبة لها فيجعل لكل مقام مقالاً يناسبه و قد اتفق رجال البيان على تسمية العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال باسم علم المعاني.

تعريف علم المعاني و موضوعه و فوائده و واضعه و استمداده:

١. **علم المعاني**[١] أصول و قواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

٢. و **موضوعه** اللفظ العربي من حيث احواله التى تفيد المعاني الثواني[٢] التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم.

٣. و **فوائده:**

أ. معرفة إعجاز القرآن الكريم: فإن من وجوه إعجاز القرآن إعجازه البياني من حيث البلاغة.

ب. فهم دقائق معاني القرآن الكريم فإن من معانيه اللطيفة و الدقيقة ما لايعرف إلا بمعرفة هذا العلم.

ج. فهم دقائق معاني الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله و الأئمة الأطهار عليهم السلام.

---

١. بالتخفيف جمع معنى على وزن مَفعَل (تاج العروس).

٢. المعانى الاول ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب و هو اصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف و التنكير او غيرهما. قال بعض اهل المعانى: الكلام الذى يوصف بالبلاغة هو الذى يدل بلفظه على معناه اللغوى او العرفى او الشرعى ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذى يريد المتكلم اثباته او نفيه فهناك الفاظ و معان اول و معان ثوان فالمعانى الأُول هى مدلولات التركيب و الالفاظ التى تسمى فى علم النحو اصل المعنى. و المعانى الثوانى هى الاغراض التى سياق لها الكلام لذا قيل (مقتضى الحال) و هو المعنى الثانى كرد الانكار و دفع الشك مثلاً اذا قلنا ان زيداً قائمٌ فالمعنى الاول هو القيام الموكد و المعنى الثانى هو رد الانكار و دفع الشك بالتوكيد و هلم جرّاً.

د. الوقوف على أسرار البلاغة و الفصاحة في منثور كلام العرب و منظومه كي تتمكن من التعبير عن المقصود بكلام بليغ و الاحتذاء حذو كلام البلغاء و النسج على منواله على حسب الإمكان.

هـ. التفرقة بين جيد الكلام و رديئه.

٤. **واضعه:** الشيخ عبدالقاهر الجرجاني المتوفّى سنة ٤٧١ هـ.[1]

٥. **استمداده:** من الكتاب الشريف والسنّه وكلام العرب.

و اعلم أن لكل جملة ركنين:

مسنداً و مسنداً إليه و بينهما نسبة تدعى اسنادا و حكما.

و مازاد على المسند و المسنداليه من مفعول و حال و تمييز و نحوها فهو قيد

والإسناد ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتاً أو نفياً نحو: الله واحد لا شريك له.

مواضع المسند ثمانية:

١. **خبر المبتدأ**، نحو «حرام» في قول جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: الغِيبة حرام علي كلّ مسلم... و تأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب[2].

٢. **الفعل التام**، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(المؤمنون/١)

٣. **اسم الفعل**، نحو: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (المؤمنون/٣٦)

٤. **المبتدأ الوصفي** المستغني عن الخبر بمرفوعه، نحو: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (مريم/ ٤٦)

---

١. قال ابن أبى الحديد المعتزلى: كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة و موردها و منشأ البلاغة و مولدها و منه عليه السلام ظهر مكنونها و عنه أخذت قوانينها. (شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٥).

٢. بحارالأنوار، ٧٢/ ٢٥٧.

٥. **أخبار النواسخ**، (نحو كان و نظائرها و إنّ و نظائرها) نحو: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ (القصص/١٠)

٦. **المفعول الثاني** لظّن و أخواتها، نحو: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(الكهف/ ١٨)

٧. **المفعول الثالث** لأرى و أخواتها، نحو: أعلمت سعداً سعيداً فاضلاً.

٨. **المصدر** النائب عن فعل الأمر و غيره، نحو: صبراً بني الكرام[١]. و نحو قياماً لا قعوداً اى: قم قياماً و لا تقعد قعودا.

و **مواضع المسند إليه** ستة:

١. **الفاعل** للفعل التام أو المبتدأ الوصفي المستغني بمرفوعه عن الخبر او اسم الفعل او المصدر النائب عن فعل الامر و غيره نحو: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(الصف/٣). و ...

٢. **أسماء النواسخ**، نحو كان و أخواتها و إن و أخواتها، كقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(الاعراف/ ٥).

٣. **المبتدأ** الذي له خبر، نحو قول النبي ﷺ...: زينة العلم الإحسان[٢].

٤. **المفعول الأول** لظن و أخواتها، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ (الممتحنه/ ١٠).

٥. **المفعول الثاني** لأرى و أخواتها، نحو: أريتك بكراً فاسقاً.

٦. **نائب الفاعل** للفعل التام أو المبتدأ الوصفي المستغني بمرفوعه عن الخبر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الإنشقاق/٨-٧). و نحو: أ مضروبٌ زيدٌ؟

---

١. بحارالأنوار، ۱۵۵/۶.

٢. بحار الأنوار، ٢/ ٢٦.

الباب الأول

في تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء

المبحث الأول

في حقيقة الخبر

الخبر: كلام يحتمل الصدق و الكذب لذاته.[1]

و المراد بصدق الخبر مطابقته للواقع و نفس الأمر ثبوتاً و نفياً، و المراد بكذبه عدم مطابقته له كذلك.

فجملة «العلم نافع»، حيث إن نسبتها الكلامية (و هي ثبوت النفع للعلم) مطابقةٌ للنسبة الخارجية، أي لما في الخارج و الواقع فهى صادقة و جملة «الجهل نافع»، حيث إن نسبتها الكلامية ليست مطابقة للنسبة الخارجية فهى كاذبة.

المقاصد و الأغراض التي من أجلها يلقى الخبر

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

أ. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة: إذا كان جاهلاً له و يسمى هذا النوع فائدةَ الخبر، نحو قول الصادق عليه السلام: الصّدق عزٌّ.[2]

ب. إفادة المخاطب أن المتكلّم عالم بالحكم أيضاً: كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحَه

---

١ . من فوائد قيد « لذاته» أنّه قد يتوهم غافل فيظن أن التعريف يشمل بعض الإنشاءات، كما لو استفهم شخص عن شيء يعلمه، أو سأل الغنى سؤال الفقير، أو تمنّى انسان شيئاً و هو واجد له، فإنّ هؤلاء نرميهم بالكذب، و فى عين الوقت نقول للمستفهم الجاهل و السائل الفقير و المتمنى الفاقد اليائس إنّهم صادقون، و من المعلوم أنّ الاستفهام و الطلب بالسؤال و التمنى من أقسام الإنشاء و لكنّا إذا دققنا هذه الأمثلة و أشباهها يرتفع هذا التوهم لأننا نجد أن الاستفهام الحقيقى لايكون إلا عن جهل و السؤال لايكون إلّا عن حاجة، و التمنى لايكون إلا عن فقدان و يأس، فهذه الإنشاءات تدل بالدلالة الالتزاميّة على الإخبار عن الجهل أو الحاجة أو اليأس، فالموصوف بالصدق أو الكذب هو الخبر المدلول عليه بالالتزام لا ذات الإنشاء. (المنطق / الشيخ محمد رضا المظفر).

٢ . الكافى، ٢۶/١.

في الامتحان و علمته من طريق آخرَ: أنت نجحت في الامتحان، و يسمى هذا النوعُ لازمَ الفائدة[1]، لأنه يلزم من افادة الخبر الحكم افادته ان المتكلم عالم به او ظانّ به.

و قد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن و من سياق الكلام؛ أهمّها:

١. **الاسترحام و الاستعطاف**، كقوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (القصص/١٦). و نحو: و انا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين (فى دعاء الكميل).

٢. **تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله**، نحو: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ (النساء/٩٥).

٣. **إظهار الضّعف و الخشوع**، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾(مريم/٤).

٤. **إظهار التحسّر على شيء محبوب**، نحو: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾(آل عمران/ ٣٦).

٥. **إظهار الفرح او الشماتة**، نحو:﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾(الإسراء/ ٨١).

٦. **التوبيخ**، كقولك للعاثر: الشمس طالعة.

٧. **التذكير** و منه التذكير بما بين المراتب من التفاوت، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾(فاطر/٢٠-١٩).

٨. **التحذير**، نحو: ابغض الحلال الى الله الطلاق.

٩. **الفخر**، نحو: قول الإمام زين العابدين عليه السلام : **أنا ابن مكة و منى أنا ابن زمزم و الصفا. . أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء و ناحت عليه الطير في الهواء.**[2]

---

١. و لقائل ان يقول ان الغرض الاصلى فى الخبر هو الاوّل و امّا الثانى فمن الاغراض غير الاصليه.

٢. نفس المهموم/ ٤٥٢-٤٤٨.

١٠. المدح، كقوله:

فإنـــك شـــمس و الملـــوك كواكـــب إذا طلعـــت لـــم يبـــد منهـــنّ كوكـــب

و اعلم أنّ الأغراض لا تنحصر فيما ذكرناه، فهناك أغراض كثيرة و المرجع في معرفتها هو الذوق السليم بمعونة سياق الكلام و القرائن.

المبحث الثاني

في تأكيد[1] الخبر و عدمه

حيث كان الغرض الاصلی من الكلام إفادة المخاطب فلابدّ أن يكون الكلام بحيث يوصل المخاطب إلى التصديق بالحكم فيجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يشخّص حالته من حيث التصديق و عدمه بعدالإخبار و يعطيه ما يناسبها.

فحقّ الكلام؛ أن يكون بقدر الحاجة، لا زائداً عنها، لئلا يكون عبثاً و لا ناقصاً عنها لئلا يخلّ بالغرض.

لهذا تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث أحوال من هذه الجهة:

أولاً: أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر. و في هذا الحال لايؤكد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التوكيد، كقول علی عليه السلام: افضل الزهد اخفاء الزهد.[2]

و يسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً.

ثانياً: أن يكون المخاطب متردداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، و الوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم، ليتمكّن فی نفسه و يطرح الخلاف وراء ظهره، نحو: إنّ الأمير منتصر. و منه قوله تعالى: ﴿إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾(بقره: ٦٩)

و يسمّى هذا الضرب من الخبر طلبياً.

---

١ . المراد بالتأكيد فی هذا الباب تأكيد الحكم لا تأكيد أحد أجزاء الكلام.

٢ . نهج البلاغه/ الحكمه ٢٨.

ثالثاً: أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذي يراد إلقائه إليه، معتقداً خلافه، فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر، على حسب حاله من الإنكار قوة و ضعفاً، نحو ما وقع في حكايته تعالى عن رسل عيسى عليه السلام بعد ما أرسل إليهم اثنين فكذبوهما فعزز بثالث، فيحكي قولهم: إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ مؤكداً بإن و اسمية الجملة فكذبوهم قائلين: ﴿مَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ فـ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (يس/١٥و١٦) مؤكِدين كلامهم بمؤكَدَين آخرين هما القسم و لام الابتداء.

و يسمّى هذا الضرب من الخبر إنكارياً.

و اعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضاً، نحو: ما المقتصد بمفتقر و نحو: و الله ما المستشير بنادم.

و على ضوء ذلك يُردّ ما أورده الكندي الفيلسوف على كلام العرب، من أن فيه حشواً. فقد روى الأنباري: أن الكندي ركب إلى المبرد و قال إني أجد في كلام العرب حشواً، أجد العرب تقول: عبدالله قائم ثم تقول: إن عبدالله قائم ثم تقول: إن عبدالله لقائم. فالالفاظ متكررة و المعنى واحدٌ.

فقال المبرد بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم: عبدالله قائم إخبار عن قيامه، و قولهم: إنّ عبدالله قائم جواب عن سؤال سائل، و قولهم: إن عبدالله لقائم جواب عن إنكار منكر لقيامه

تنبيهات

الأول: في أدوات توكيد الخبر.

لتوكيد الخبر أدوات كثيرة[1]، و أشهرها إنّ و لام الإبتداء و أحرف التّنبيه نحو: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس/٦٢) و القسم، و نونا التوكيد، و الحروف الزائدة المؤكِّدة للنسبة، نحو: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر/٣٦) و قد، و أمّا الشّرطية، و إنّما، و اسمية الجملة[2]، و ضمير الفصل، و تقديم الفاعل المعنوي.

الثاني: في العدول عن مقتضى ظاهر الحال.

يسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجاً على مقتضى ظاهر الحال.

و قد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر و يورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم، و سلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة.

و اعلم أن «الحال» في هذا المقام هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيّفاً بكيفيّة مخصوصة سواءٌ كان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع - كأن يكون المخاطب منكرا للحكم واقعاً - أو كان ثبوته بالنظر الي اعتبار المتكلم - كأن لايكون المخاطب منكراً للحكم و لكن

---

١ . و قد ذكروا لتوكيد الحكم ادوات كثيره منها: ١- إنّ ٢- إن المخففه ٣- انّ ۴- القسم ۵- نون التوكيد الثقيله ۶- نون التوكيد الخفيفه ٧- لام الابتداء ٨- اسميّه الجمله ٩- تكرار الجمله ١٠- امّا الشرطيّه ١١- ضمير الفصل ١٢- ضمير الشأن ١٣- حروف التنبيه (أما، ألا، هاء التنبيه) ١۴- حروف الزياده ١۵- تقديم الفاعل المعنوى ١۶- قد التحقيقيّه ١٧- السين ١٨- سوف ١٩- كانّ لتاكيد التشبه ٢٠- لكنّ لتاكيد الاستدراك ٢١- لا النافيه للجنس ٢٢- لَنْ ٢٣- لمّا النافيه ٢۴- لعلّ لتوكيد الترجى ٢۵- ليت لتوكيد التمنى ٢۶- تكرار النفى ٢٧- إنّما ٢٨- أنّما ٢٩- لام الجحد ٣٠- لو ٣١- لولا ٣٢- الحال الموكّده لمضمون الجمله ٣٣- كلاّ بمعنى حقّاً ٣۴- اقامة الدليل على المدّعى و غير ذلك فبعضها مختص بالخبر مثل لن و لمّا النافيه و لا النّافيه للجنس و بعضها مختص بالانشاء مثل ليت و بعضها مشترك بينهما كنونى التوكيد.

٢ . يظهر منهم ان افادة الجمله الاسميه التوكيد مشروطة و فى شروطها اقوال: ١- اذا قصد بها التوكيد ٢- اذا اقترنت بمؤكّدٍ آخر ٣- اذا اعدلت عن الفعليه و قيل انها لا تفيد التوكيد. حاشية الدسوقى ج١، ص٢۵، من شروح التلخيص.

ظهر عليه شئٌ من امارات الانكار فينزله المتكلم منزلة المنكر و يوكد له الخبر.

فالقسم الاوّل يسمي ظاهر الحال و القسم الثاني حالٌ اعتباري فالحال علي قسمين:

١- ظاهر الحال ٢- الحال الاعتباري. فالحال اعم مطلقاً و كل من القسمين اخص منه مطلقاً و بين القسمين تباين و كذلك مقتضي الحال على قسمين: ١- مقتضي الظاهر(اي مقتضي ظاهر الحال) ٢- و مقتضي الحال الاعتباري و مقتضي الحال اعم مطلقاً و كل من القسمين اخص منه مطلقاً فكل مقتضي الظاهر مقتضي الحال و لا عكس و كل مقتضي الحال الاعتباري مقتضي الحال و لا عكس.

و من موارد العدول:

١. **تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردّد**، إذا تقدّم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر كقوله تعالى:﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(هود/ ٣٧).

لمّا أمر المولى نوحاً أولاً بصنع الفلك، و نهاه ثانياً عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل في مقام السائل المتردد. هل حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ. فقوله: وَلاَ تُخَاطِبْنِي، يشير إلى حكم الخبر و أنه عذاب، و قوله: إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ يبين خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمناً في قوله: لاَ تُخَاطِبْنِي.

٢. **تنزيل العالِم منزلة المنكر**، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار؛ كقول حَجَل بن نضلة القيسي من أولاد عمّ شقيق:

جــاء شــقيق عارضــاً رُمحَــه   إنّ بنــي عمّــك فيهــم رمــاحٌ

فشقيقٌ رجل لاينكر رماح بني عمه ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته عارضاً رمحه[1]؛ بمنزلة إنكاره أن لبني عمه رماحاً، و لن يجد منهم مقاوماً له كأنهم كلهم في

---

١. أي: واضعاً رمحه على فخذيه بالعرض و هو راكب أو حاملاً له عرضاً على كتفه في جهة العدو بدون اكتراثه به.

نظره عُزلٌ، (ليس مع أحد منهم رمح) فأكد له الكلام لذلك[1].

٣. **تنزيل المتردد منزلة الخالي**، كقولك للمتردد في قدوم الأمير مع شهرته: قدم الأمير.

٤. **تنزيل المتردد منزلة المنكر**، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: إن الفرج لقريب.

٥. **تنزيل المنكر منزلة الخالي**، إذا كان لديه دلائل و شواهد لو تأملها لارتدع و زال إنكاره كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾(البقرة/ ١٦٣)وكقولك لمن ينكر منفعة الطب: الطب نافع.

٦. **تنزيل المنكر منزلة المتردد**، كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكاراً ضعيفاً: إن الجاه بالمال يصحبك ما صحبك المال، و الجاه بالأدب غير زائل عنك.

الثالث: في توكيد الخبر لشرف الحكم.

قد يؤكد الخبر لشرف الحكم و تقويته، مع أنه ليس فيه تردّد و لا إنكار و لا تنزيل، كقولك في افتتاح الكلام: إن أفضل ما نطق به اللسان كذا.

---

١ . خوطب خطاب التفات بعد غيبة تهكماً به، و رمياً له بالنزق و خرق الرأى.

المبحث الثالث

في مدلول الخبر

الجملة الخبرية قد تكون فعلية و قد تكون اسمية:

فالأولى هي ما تركبت من فعل و فاعل، أو من فعل و نائب فاعل؛ و هي: موضوعة لإفادة الحدوث في زمن معين مع الاختصار مضافاً على ما ذكر نحو: يعيش البخيل عيشة الفقراء، و يحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. و نحو: أشرقت الشمس و قد ولّى الظلام هارباً. فيستفاد من ذلك ثبوت الإشراق للشمس، و ذهاب الظلام في الزمان الماضي و حدوث الإشراق و الذهاب.

و قد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئاً فشيئاً بحسب المقام، و بمعونة القرائن، لا بحسب الوضع، بشرط أن يكون الفعل مضارعاً نحو قول المتنبّي:

تدبّر شرق الأرض و الغرب كفه و ليس لها يوماً عن المجد شاغل

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك ديدنه، و شأنه المستمر الذي لا يحيد عنه و يتجدّد آناً فآناً.

والثانية هي ما تركبت من مبتدأ و خبر، و هي لا تفيد شيئاً زائداً على الثبوت، من التجدد و الإستمرار و الدوام، نحو: الأرض متحركة، فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك و لا دوامه أو استمراره.

و قد تفيد الجملة الاسمية الاستمرار الثبوتي و الدوام بحسب القرائن، إذا لم يكن في خبرها فعل، و ذلك بأن يكون الحديث في مقام المدح، أو في معرض الذم، كقوله

تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم/٤).

فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت، و منه قول النضر بن جؤبة يتمدح بالغنى و الكرم:

لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا　　لكن يمرّ عليها و هو منطلق

يريد أن دراهمه لا ثبات لها في الصرة و لا بقاء، فهي دائماً تنطلق منها، و تمرق مروق السهام من قِسِيِّها، لتوزع على المعوزين و أرباب الحاجات.

و اعلم أن الجملة الاسمية إذا كان خبرها جملة فعلية فهي كالجملة الفعلية في جميع ما ذكر. نحو: الوطن يسعد بأبنائه، و نحو:

نروح و نغدو لحاجاتنا　　و حاجة من عاش لا تنقضي

تمارين

١. ما الفرق بين فائدة الخبر و لازم فائدته؟

٢. ما الفرق بين مقتضى الظاهر و مقتضى الحال؟

٣. على أيّ شيء تدل الجملة الفعلية و الاسمية بالقرائن ؟

٤. عيِّن الأغراض المستفادة من الخبر في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى:﴿لِلهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/٢٨٤).

قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ (النساء/ ١٣٧).

قال محمد بن علي الجواد عليه السلام: **المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله و واعظ من نفسه و قبول ممّن ينصحه.**[١]

قال علي أميرالمؤمنين عليه السلام: **أهلك الناس اثنان، خوف الفقر و طلب الفخر.** [٢]

٥. بيّن المؤكدات في العبارات التالية، و ضروب الخبر الثلاثة:

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(التوبة / ١٠٣).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾(الحج/١)

قال علي بن موسى الرّضا عليه السلام: رحم الله عبداً أحيي أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال عليه السلام: يتعلم علومنا و يعلّمها الناس، فإن الناس لوعلموا محاسن كلامنا لاتّبعونا.[٣]

قولك لمن ينكر توحيد الإله: الله الذي لا إله إلا هو.

٦. بيّن فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية:

قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد/٣٩)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ (لقمان/٣٤).

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: **العالم يعرف الجاهل، لأنه كان قبلُ جاهلاً، الجاهل لا يعرف العالم، لأنه لم يكن قبل عالماً.**[٤]

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: **أوحى الله تعالى إلى الدنيا أخدمي من خدمني و أتعبي من خدمك.**[٥]

---

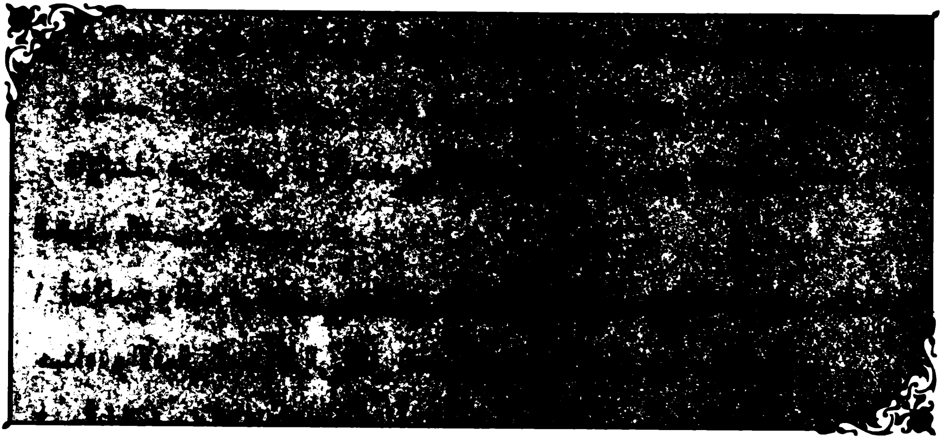
١. تحف العقول، ٧٢٨.

٢. تحف العقول، ١٥٠.

٣. عيون أخبار الرضا ١/ ٣٠٧.

٤. غرر الحكم ١/٧١.

٥. من لا يحضره الفقيه/ باب النوادر ٦/ ٢٩١.



الإنشاء لغة: الإيجاد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء﴾ (الواقعة/ ٣٥)

و اصطلاحاً: كلام لايحتمل صدقاً و لا كذباً لذاته[١]، نحو اغفر و ارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق و لا كذب.

و إن شئت فقل في تعريف الإنشاء: هو ما لايحصل مضمونه و لايتحقق إلا إذا تلفّظت به. فطلب الفعل في الأمر و طلب الكف في النهي، و طلب المحبوب في التمني، و طلب الفهم في الاستفهام[٢]، و طلب الإقبال في النداء، كل ذلك لايحصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.

و ينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي، و إنشاء غير طلبي.

فالإنشاء غير الطلبي: ما لايستدعي مطلوباً، و يكون بصيغ المدح، و الذم، و صيغ العقود، والقسم، والتعجّب.

١. أما **المدح و الذم** فيكونان بـ«نعم» و «بئس»، و ما جرى مجراهما، نحو «حبّذا» و «لا حبذا»، و الأفعال المحوّلة إلى فَعُل نحو: طاب علي نفساً و خبث بكر أصلاً.

٢. و أما **العقود و الايقاعات:** فتكون بالماضي كثيراً، نحو: بعتُ و اشتريت و وهبت، و بغيره قليلاً، نحو: أنا بائع، و عبدي حرّ لوجه الله تعالى.

٣. و أما **القسم:** فيكون بالواو، والباء، و التاء، و بغيرها، نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

٤. و أما **التعجب:** فيكون قياسياً بصيغتين، «ما أفعَله» و «أفعِل به» و سماعياً بغيرهما، نحو: لله درّه عالماً، و كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة / ٢٨)

و اعلم أنّ الإنشاء غير الطلبي لاتبحث عنه علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء فيجري فيها جميع ما يجري في الأخبار. و إنّما المبحوث عنه في علم المعاني في مبحث الإنشاء هو الإنشاء الطلبي لما يمتاز به من لطائف بلاغية.

---

١. راجع مبحث الخبر.

٢. و التعبير الدقيق أن يقال: الاستفهام طلب الإفهام لأن السائل يطلب المسئول إفهامه الحكم.

إذن يتضح أن الإنشاء الطلبي هو الذي يستدعي مطلوباً و يشترط في صحة الطلب أن يكون المطلوب غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

و لو استعملت صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية، و يتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام كالتهديد في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ (فصلت/٤٠).

و أنواعه خمسة: الأمر، و النهي، و الاستفهام، و التمني، و النداء.[١]

و في هذا الباب خمسة مباحث.

---

١. و يكون الإنشاء الطلبى بالعرض و التحضيض أيضاً، ولكن لم يتعرض لهما البيانيون لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام و التمنى، فالأول من الهمزة مع «لا» النافية فى « ألا» و الثاني من «هل» و «لو» للتمنى مع «لا» و «ما» الزائدتين فى « هلّا» و «ألّا » بقلب الهاء همزة و كذا: «لولا» و «لوما».

المبحث الأول

في الأمر

الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء[١] مع الإلزام، و له ثلاث صيغ:

١. **فعل الأمر**[٢]، كما في قوله تعالى:﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(مريم/١٢) و قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(الطلاق/٧).

٢. **اسم فعل الأمر**، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة/١٠٥).

٣. **المصدر النائب عن فعل الأمر**، كما في قول أبي عبدالله الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام فما الموت إلاّ قنطرة يعبربكم عن البؤس و الضرّاء إلي الجنان الواسعة و النعيم الدائمة[٣].

و قد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي و هو الطلب مع الاستعلاء و الإلزام إلى معان أخرى، تستفاد من سياق الكلام و قرائن الأحوال منها:

١. **الدعاء**، في حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ (النمل/١٩).

٢. **الالتماس**، و يكون عرفاً من الإنسان لمن يساويه، كقولك: أعطني القلم أيها الأخ. من دون الاستعلاء و التضرّع.

٣. **الإرشاد**، كقوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾(البقرة/٢٨٢).

---

١. إختلف العلماء فى اعتبار العلوّ و الاستعلاء فى الأمر، على أقوال: ١. اعتبار العلو ٢. اعتبار الاستعلاء ٣. اعتبار العلو و الاستعلاء ٤. اعتبار العلو أو الاستعلاء ٥. عدم اعتبار شيء منهما.

٢. المراد من فعل الأمر فى هذا المقام، مصطلح الصرفيين فيشمل المضارع المجزوم بلام الأمر أيضاً.

٣. بحار الأنوار ٦/ ١٥٥.

٤. **التهديد**، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(فصّلت/٤٠).

٥. **التعجيز**، كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾(البقرة/٢٣).

٦. **الإباحة**، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(البقره/١٨٧).

٧. **الامتنان**، كقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ الله﴾(النحل/١١٤).

٨. **الإهانة**، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾(الإسراء/٥٠).

٩. **الدوام**، كقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾(الفاتحة/٦).

١٠. **التمني**، كقول امرئ القيس:

ألا أيهـا الليـل الطويـل ألا انجلـي　　　بصبـح و مـا الإصبـاح منـك بأمثـل

١١. **الإخبار**، كقوله ﷺ: من كذب علي متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار[١]

١٢. **التسوية**، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾(الطور/١٦).

١٣. **التخيير**، نحو: تزوّج هنداً أو أختها.

١٤. **التأديب**، كقول الاب لابنه: كل ممّا يليك.

١٥. **التعجّب اوالتعجيب** كقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ﴾(الإسراء/٤٨).

إلى غير ذلك من معانٍ أخرى فهذه المعاني ليست على سبيل الحصر، بل هناك معانٍ كثيرة تستفاد من قرائن الأحوال و تبادر المعنى و سياق الكلام.

---

١. بحار الأنوار، ٢/ ٣٤٥.

تمارين

١. ما الفرق بين التسخير و الإهانة ؟

٢. هل تجد فرقاً في القرينية بين التسوية و ما بعدها من جانب و ما قبلها من العناوين من جانب آخر؟

٣. بيّن ما يراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية:

قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(الأعراف/١٩٩).

قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(الملك/١٣).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة/١١١).

قال رسول الله ﷺ: يا أباذرّ، اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، و صحّتك قبل سقمك، و غناك قبل فقرك، و فراغك قبل شغلك، و حياتك قبل موتك[١].

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: اصحَب مَن تتزين به، و لا تصحب من يتزين بك[٢].

---

١. بحار الأنوار٧٧/ ٧٥.

٢. بحار الأنوار٧٦/ ٢٦٧.

المبحث الثاني

في النهي

النهي: هو طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، و له صيغة واحدة: صيغة النهي[1]، كقوله تعالى:﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾(الحجرات/١٢).

و قد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معان أخر، تستفاد من سياق الكلام و قرائن الأحوال، منها:

١. **الدعاء**، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(البقرة/ ٢٨٦).

٢. **الالتماس**، كقولك لمن يساويك من دون استعلاء و لا تضرّع: أيها الأخ لاتتوانَ.

٣. **الإرشاد**، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة/ ١٠١).

٤. **التيئيس**، كقوله تعالى:﴿ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾(التوبه/٦٦).

٥. **التمني**، نحو: يا ليلة الأنس لا تنقضي. و كقوله:

يــا ليــل طــل يــا نــوم زل يــا صبــح قــف لا تطلــع

٦. **التهديد**، كقولك لخادمك: لا تطع أمري، عند ما تريد أن تخوّفه عدمَ إطاعته لأمرك.

٧. **الكراهة**، نحو قول علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: لا تنامنّ قبل طلوع الشمس فإني أكرهها لك، إنّ الله يقسّم في ذلك الوقت أرزاق العباد على أيدينا يجريها.[2]

٨. **التوبيخ**، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ (بقره/٤١) و نحو لا تنه عن خلق و تأتي مثله.

---

١. المراد به النهي عند الصرفيين و يعبّر عنه النحويون بالمضارع المجزوم بلا.

٢. الوسائل٤/باب كراهة النوم ما بين الطلوع الفجر و طلوع الشمس/ الحديث١١.

٩. **التحقير**، كقوله:

لا تطلــب المجــد إنّ المجــد ســلّمه صعــب، وعــش مســتريحاً ناعــم البــال

و هناك معانٍ أخرى تستطيع إدراكها بسياق الكلام و تبادر المعنى.

تمارين

١. أذكر ما يراد من صيغ النهي الآتية:

﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة/ ٤٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التحريم/٧).

قال محمد بن علي الباقر عليه‌السلام: **لا تأكل بنا الناسَ فيفقرَك الله.**[1]

قال جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام: **لا تدع قيام الليل، فإنّ المغبون من حرم صلاة اللّيل.**[2]

لا تحسب المجد تمراً أنت آكلُه لَن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا

لا تحتجب عن العيون أيها القمر.

قولك لمن يهمل في دَراسته: لا تدرس.

---

١. الكافي٣/ ٤٠٦.

٢. بحار الأنوار٨٣/ ١٢٧.

المبحث الثالث

في الاستفهام

الاستفهام: هو طلب العلم بشيء. و يستلزم أنه لم يكن معلوماً من قبل للمستفِهم و ذلك بأداة من أدواته الآتية؛ و هي: الهمزة، و هل، و ما، و من، و متى، و أيان، و كيف، و أين، و أنّى، و كم، و أيّ.

و تنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ. ما يطلب به **التصور** تارة، و **التصديق** تارة أخرى، و هو الهمزة.

ب. ما يطلب به **التصديق** فقط، و هو هل.

ج. ما يطلب به **التصور** فقط، و هو بقية ألفاظ الاستفهام.

❖ الهمزة[1]

يطلب بالهمزة أحد أمرين: تصور، أو تصديق؛

أ. **فالتصور:** هو إدراك المفرد، نحو قولك: أعلي مسافر أم سعيد؟ تعتقد أن السفر حصل من أحدهما، و لكن تطلب تعيين المسافر و لذا يجاب فيه بالتعيين، فيقال: سعيد مثلاً.

و حكم الهمزة التي لطلب التصور أن يليها المسئول عنه بها، سواء أكان ركناً أم غيره؛ نحو: أأنت فعلت هذا أم يوسف؟ و نحو: أراكباً حضرت أم ماشياً؟

و يكون له معادل يذكر بعد أم و تسمّى متّصلة.

و قد يستغنى عن ذكر المعادل إذا كان عامّاً، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء/ ٦٢) أي: أم غيرك؟

١ . الهمزة أصل أدوات الاستفهام فتدخل على المنفى و المضارع الذى هو للحال و «إن» و الشرط و حرف العطف و اسم بعده فعل، بخلاف هل فإنها لا تدخل على شىء مما ذكر.

ب. و **التصديق**: هو إدراك وقوع نسبة بين أجزاء الكلام أو عدم وقوعها فالمسئول عنه في التصديق نسبة لايعلم ثبوتها و لانفيها، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته مصدّقاً للجواب إثباتاً بنعم أو نفياً بلا.

و همزة الاستفهام تكون لطلب التصديق إذا أريد بها النسبة. و يكثر طلب التصديق في الجمل الفعلية كقولك: أحضر الأمير؟ و يقل طلب التصديق في الجمل الاسمية نحو: أعلي مسافر؟

تستفهم عن ثبوت النسبة و نفيها و في هذه الحالة يجاب بلفظة «نعم» أو «لا».

و يمتنع أن يذكر مع همزة التصديق معادل كما مثل. فإن جاءت «أم» بعدها قدّرت منقطعة فتدل على استئناف الكلام بعدها، و تكون بمعنى «بل» أو «بل أ» كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد/ ٢٤)[١].

❖ هَلْ

و يطلب بها التصديق فقط، أي: معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لا غير، نحو هل حافظ المصريون على مجد أسلافهم؟

و لأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد «أم» المتصلة، فلذا:

أ. امتنع هل سعد قام أم سعيد؟ لأنَّ وقوع المفرد (و هو سعيد) بعد «أم» الواقعة في حيز الاستفهام قرينة على ان ام متصله. لأنها لطلب تعيين أحد الأمرين بعد العلم بأصل الحكم و (هل) لا تناسب ذلك، لأنها لطلب الحكم، فالحكم فيها غير معلوم، فحينئذ يؤدّي الجمع بين «هل» و «أم» المتصلة إلى التناقض لأن «أم» المتصلة تفيد أن الحكم معلوم و «هل» تفيد أن الحكم مجهول.

فحيثما جائت أم كذلك فتكون منقطعة نحو: هل جاء صديقك أم عدوّك؟

---

١. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ و يتصفّحونه و يعتبرون به، و يقضون ما عليهم من الحقوق ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَاهى﴾ «أم» المنقطعة. تفسير جوامع الجامع٤/ ١٢٥.

ب. و قبح استعمال «هل» في تركيب هو مظنّة للعلم بحصول أصل النسبة، و هو ما يتقدّم فيه المعمول على الفعل، نحو: هل خليلاً أكرمت؟ فتقديم المعمول على الفعل يقتضي غالباً حصول العلم للمتكلم بأصل الحكم فتكون «هل» لطلب حصول الحاصل و هو عبث[١].

تنبيهات

الأول: هل كالسين و سوف تخلّص المضارع للاستقبال. فلا يقال هل تصدق؟ جواباً لمن قال أحبّك، بل تقول له: أتصدق؟

و لأجل اختصاصها بالتصديق، و تخليصها المضارع للاستقبال قوي اتصالها بالفعل نحو: هل يجيء علي؟

فإن عدل عن الفعل إلى الاسم لإبراز ما يحصل في صورة الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله كان هذا العدول أبلغ في إفادة المقصود كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾(الأنبياء/ ٨٠) فهذا التركيب أدلّ على طلب الشكر من قولك، هل تشكرون، و ذلك لأن الفعل لازم بعد هل و العدول عنه يدل على قوة الداعي لذلك لما ذكر.

الثاني: هل نوعان: بسيطة و مركبة.

أ. **فالبسيطة** هي التي يستفهم بها عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو: هل العنقاء موجودة، و نحو: هل الخلّ الوفي موجود؟

ب. و **المركبة** هي التي يستفهم بها عن ثبوت شيء لشيء و عدم ثبوته له، نحو هل المريخ مسكون؟ هل النبات حسّاس؟[٢]

---

١ . وعلّل غير السكاكي قبح(هل رجل عرف و هل زيد عرف) بانّ هل بمعنى قد فى الاصل و اصله أهل و تركب الهمزة قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام فاقيمت هى مقام الهمزه و قد تطفلت عليها فى الاستفهام و قد من خواص الافعال فكذا ما هى بمعناها (مختصر المعانى).

٢ . فيستفهم بـ«هل» البسيطة عن مفاد كان التامة و بـ«هل» المركبة عن مفاد كان الناقصة.

الثالث: بقية أدوات الاستفهام أسماء، فيسأل بها عن معناها

و هي: «ما، و من، و متى، و أيان، و كيف، و أين، و أنّى، و كم، و أيّ». و هي موضوعة لطلب التصور فقط. ولهذا يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه.

١- **ما:** موضوعة للاستفهام عن غير العقلاء، و يطلب بها:

إيضاح الاسم: نحو ما العسجد؟ فيقال في الجواب: إنّه ذهب.

بيان **حقيقة المسمّى:** نحو ما الإنسان؟ فيجاب بأنه حيوان ناطق.

تعيين الجنس: نحو ما في الدار؟ فيقال في الجواب: طعامٌ او انسانٌ، مثلاً.

بيان **الصفة:** نحو ما خليل؟ و جوابه: طويل أو قصير، مثلاً.

و تقع «هل» البسيطة في الترتيب العقلي بين «ما» التي لشرح الاسم، و «ما» التي للحقيقة. فمن يجهل معنى البشر مثلاً يسأل أولاً بـ«ما» عن شرحه، فيجاب بإنسان؛ ثم بـ«هل» البسيطة عن وجوده، فيجاب بنعم، ثم بـ«ما» عن حقيقته فيجاب بحيوان ناطق.

٢- **من:** موضوعة للاستفهام، و يطلب بها تعيين أفراد العاقل، نحو: من فتح مصر؟ و كقوله تعالى:﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾(يس/ ٥٢).

٣- **متى:** موضوعة للاستفهام، و يطلب بها **تعيين الزمان** سواءٌ أكان ماضياً ام مستقبلاً، نحو قول المؤمنين في الندبة للموعود: متى ترانا و نراك و قد نشرت لواء النّصر ترى؟[١] و نحو: متى ترجع؟ و تقول: غداً مثلاً.

٤- **أيّان:** موضوعة للاستفهام، و يطلب بها **تعيين الزمان المستقبل خاصة** و تكون في موضع التعظيم و التفخيم دون غيره، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة/٦).

٥- **كيف:** موضوعة للاستفهام، و يطلب بها **تعيين الحال**، كقولك: كيف زيد؟ فالجواب: صحيح أو سقيم. و كقول الشاعر:

---

١. الندبة/ مفاتيح الجنان.

قال لي كيف أنت قلتُ عليلٌ   سهرٌ دائم و حزنٌ طويلُ

٦- **أين**: موضوعة للاستفهام، و يطلب بها تعيين المكان كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾(القيامة/ ١٠).

٧- **أنّي**: موضوعة للاستفهام و تأتي لمعنيين:

١. فتكون بمعنى «**كيف**»، كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(البقرة/٢٥٩).
أي: كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟

٢. تكون بمعنى «**مِن أين**»، كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ (آل عمران/٣٧)
أي من أين لكِ هذا؟

٨- **كم**: موضوعة للاستفهام و يطلب بها **تعيين العدد**، كقوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ (الكهف/١٩).

٩- **أيّ**: موضوعة للاستفهام، و يطلب بها **تمييز أحد المتشاركات** في أمر يعمّها أو أحد المتشاركين، كقوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾(مريم/ ٧٣). و يسأل بها عن الزمان و المكان، و الحال، و العدد، و العاقل، و غيره على حسب ما تضاف إليه و لذا تأخذ معناها مما تضاف إليه. فإن أضيفت إلى ما تفيده «ما» أخذت معناها و إن أضيفت إلى ما تفيده «متى، أو كيف أو غيرهما من الأدوات السابقة» أخذت معناها.

و قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي و هو طلب العلم بمجهول فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض أخرى، تفهم من القرائن، و من أهمّ ذلك:

١. **الأمر**، كقوله تعالى:﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة / ٩١) أي: انتهوا.

٢. **النهي**، كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾(التوبة/١٣) أي: لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه.

٣. **النفي**، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(الرحمن/٦٠). أي: ما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان.

وكقول الشاعر:

هل الدهر إلا ساعةٌ ثمّ تنقضي بما كان فيها من بلاء و من خفض

٤. **الإنكار**[1] كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾(الأنعام/٤٠). وكقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾(البقرة/٦١).

٥. **التشويق**، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف/١٠).

٦. **الاستئناس**، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾(طه/ ١٧).

٧. **التقرير**، كقوله تعالى:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(الإنشراح / ١).

٨. **التهويل**، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾(الحاقة/ ٣).

٩. **الاستبعاد**، كقوله تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (الدخان/١٣).

و نحو قول الشاعر:

من لي بإنسان إذا أغضبته و جهلت كان الحلم ردّ جوابه

١٠. **التحقير**، نحو: أهذا الذي مدحته كثيراً؟

١١. **التعجب**، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان/٧).

و كقول الشاعر:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي؟

---

١. المراد من الإنكار فى هذا المقام، هو الإنكار التوبيخى عند النحويين.

١٢. **التهكّم**، كقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء﴾(هود/ ٨٧).

١٣. **الوعيد**، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾(الفجر/ ٦).

١٤. **الاستبطاء**، كقوله تعالى:﴿مَتَى نَصْرُ اللّهِ﴾(البقرة/ ٢١٤).

١٥. **التحسّر**، كقول شمس الدين الكوفي:

مـا للمنـازل أصبحـت لا أهلهـا ... أهلـي، ولا جيرانهـا جيرانـي؟

١٦. **التنبيه على الضلال**، كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾(التكوير/ ٢٦).

١٧. **التكثير**، كقول أبي العلاء المعرّي:

صـاح، هـذي قبورنـا تمـلأ الرّحـب ... فأيـن القبـور مـن عهـد عـاد؟

١٨. **الترغيب**، «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً» (بقره/٢٤٥).

و اعلم أن كل ما وضع من الأخبار في صورة الاستفهام في الأمثلة تجدّدت له مزيّة بلاغية، زادت المعنى روعة و جمالاً.

تمارين

ما هي المعاني التي استعمل فيها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾(الرعد/ ١٦).

﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ الله هُمْ يَكْفُرُونَ﴾(النحل/ ٧٢).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى،وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى،وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾(الضحى/٨-٦).

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ (الإسراء/٤٠).

جاء حِبر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته، فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره، قال: فكيف رأيته، قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[١].

قلت لأبي عبدالله عليه السلام فلان من عبادته و دينه و فضله، فقال: كيف عقله، قلت: لا أدري: فقال إنّ الثّواب على قدر العقل[٢].

عن ابن درّاج قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾(الحجرات/١٤) فقال لي: ألا ترى أنّ الإيمان غير الإسلام.[٣]

نسب إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام:

أتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

قال الشاعر:

ما أنت يا دنيا أرؤيا نائم أم ليل عُرس أم بساط سُلاف؟

---

١ . الكافى١/ ٩٨.

٢ . الكافى١/ ١١.

٣ . الكافى٢/ ٢٤.

المبحث الرابع

في التّمنّي

التمنّي: هو طلب الشيء المحبوب الذى لا يرجى و لا يتوقّع حصوله و هو:

١. إمّا يكون مستحيلاً، كقوله:

ألا ليت الشّباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

٢. و إمّايكون ممكناً غير مطموع في نيله، كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾(القصص/ ٧٩).

و إذا كان الأمر المحبوب ممّا يرجى حصوله كان ترجّياً، و يعبّر فيه بعسى، و لعلّ كقوله تعالى[1]: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه٤٤/٤٣)

و قد تستعمل في الترجّي «ليت» لغرض بلاغي و هو إبراز المَرجوّ في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله، كقوله:

فيا ليت ما بيني و بين أحبتي من البعد ما بيني و بين المصائب

و قد تستعمل أيضاً لإظهار الندم، كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان / ٢٧).

و للتمنّي أداة واحدة أصلية و هي «ليت»، و ادوات غير أصليّة و هي كثيرة اشهرها[2] اربعة نائبة عنها و يتمنّى بها لغرض بلاغي و هي:

---

١ . اعلم أنّ عسى و لعلّ فى كلامه تعالى مستعمل فى معنى الترجى أيضاً، و ليس من الواجب قيام صفة الرجاء بنفس المتكلم بل يكفى قيامها بالمخاطب أو بمقام التخاطب، فالله سبحانه إنّما يقول: عسى أن يكون كذا، لا لأنّه يرجوه تعالى عن ذلك، بل ليرجوه المخاطب أو السامع. الميزان فى تفسير القرآن ٢/ ١۶۵.

٢ . تارة يكون التمنى بالامر و النهى و تارة بالتضمين و ... .

١. **هل**: كقوله تعالى حكاية عن المكذبين: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (الأعراف/٥٣).
و عدل عن «ليت» إلى «هل» لإبراز المتمنى المستحيل في صورة المستفهم عنه الممكن لكمال العناية به.

٢. **لو**، كقوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء/١٠٢).
و سبب العدول عن «ليت» إلى «لو» الدلالة على نفي مُتمنّاه، حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد، لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الشرط.

٣. **لعلّ**، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر/٣٦).

و سبب العدول إلى «لعلّ» الدلالة على كمال العناية، فكأنّه مما يرجى حصوله.

٤. **ألا**، كقوله الشاعر

ألا عمـر ولـىّ مسـتطاع رجوعـه ... فيـرأب مـا أثـأتْ يـدُ الغفـلات

و لهذا نصب «يرأب» لانه جواب تمنٍ مقرون بالفاء.

تمارين

بيِّن المعاني المستفادة من صيغ التَمني و الترجّي فيمايأتي:

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾(غافر/١١).

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾(غافر/٣٦).

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾(النبأ/ ٤٠).

قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾(الطلاق/ ١).

ليت شعري أين استقرّت بك النوى بل أيّ أرض تقلّك أوثرى أبرضوى أوغيرها أم ذي طوى.[١]

قال الشاعر:

كلّ مــن فــي الكــون يشــكو دهــره   ليــت شــعري هــذه الدنيــا لمــن؟

---

١ . الندبة/ مفاتيح الجنان.

المبحث الخامس

في النداء

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء.

و أدواته ثمان: **الهمزة، و أي، و يا، و آي، و آ، و أيا، و هَيا، و وا.**

والأصل في النداء أن يكون لسامع و قد ينزّل غير السامع منزلة السامع الحاضر فينادى، إشارة إلى أنّه لشدّة حضوره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه، لايغيب عن القلب و كأنّه ماثل أمام العين.

كقول الشاعر:

أســكّان نعمـــان الأراك تيقّنـــوا　　　بأنّكــم فــي ربــع قلبــي ســكّان

وأدوات النداء في كيفية الاستعمال نوعان:

١. **الهمزة و أي** لنداء القريب.

٢. **باقي الأدوات** لنداء البعيد[١].

و قد ينزّل القريب منزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة و أي؛ و ذلك لأغراض منها:

أ. **الإشارة إلى علوّ مرتبته**، فيجعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان، كقولك: أيا مولاي و أنت معه للدلالة على أن المنادى عظيم القدر،رفيع الشأن.

ب. **الإشارة إلى انحطاط منزلته و درجته**، كقولك: أيا هذا، لمن هو معك.

ج. **الإشارة إلى أن السامع لغفلته و شرود ذهنه كأنه غيرقريب**، كقولك للساهي: أيافلان.

---

١. و منهم من جعل «يا» للأعمّ.

و قد تخرج أدوات النداء عن المعنى الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من السياق و القرائن منها:

١. **الإغراء** كقولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم.

٢. **الاستغاثة**، نحو: يالله لِلمؤمنين.

٣. **الندبة**، نحو قول زينب الكبرى عليها السلام وامحمداه واعلياه واجعفراه واحمزتاه.

٤. **التّعجب**، كقول الشاعر:

يــا لــك مــن قبّــرة بمعمــر خــلا لــك الجـوّ فبيضـي و اصفـري

٥. **الزجر**: كقول الشاعر:

أ فــؤادي متــى المتــاب ألمّــا تصـح و الشّـيب فـوق رأسـي ألمّـا

٦. **التحسّر و التوجّع**، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ/٤٠).

وكقول الشاعر:

أيـا قبـر معـن كيـف واريـت جـوده و قـد كان منـه البـرّ و البحـر مترعـاً[١]

٧. **التحير و التضجّر**،كقول امرئ القيس متضجّراً من طول ليله:

ألا أيهـا اللّيـل الطّويـل ألا انجلـي بصبـح و مـا الإصبـاح منـك بأمثَـل

أي: ألا يا أيها اللّيلُ.

و يكثر هذا في نداء الأطلال و المطايا، و نحوها.

---

١. و قد روي: فيا قبر و قد روي ايضاً: و يا قبر.

تمارين

بيّن المعاني الحقيقية المستفادة من صيغ النداء، و المجازية المستفادة من القرائن:

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود/٤٢).

قال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ (يس/٣٠)

قال الله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(الزخرف/ ٨٨)

قال الله تعالى في حديث قدسي: يا موسي ضع الكبر، و دع الفخر، و اذكر أنّك ساكن القبر، فليمنعك ذلك من الشّهوات.[1]

قال الشاعر:

يــــا أيهـــا الظالــــم فـــي فعلــــه الظلــــم مــــردودٌ علــــى مــــن ظلــــم

قال الشاعر:

يـــا أعـــدل النــــاس إلا فـــي معاملتـــي فيك الخصام و أنت الخصم و الحكم

---

١ . بحارالأنوار٧٧/ ٣٥.

تنبيهات

الأول: يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض كثيرة، أهمها:

١. **التفاؤل:** نحو: هداك الله لصالح الأعمال. كأن الهداية حصلت بالفعل فأخبر عنها، و نحو: وفّقك الله للتقوى.

٢. **الاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً و احتراماً**، نحو: رحم الله فلانًا و نحو: ينظر مولاي في أمري و يقضي حاجتي.

٣. **التنبيه على تيسّر المطلوب لقوة الأسباب:** كقول الأمير لجنده: تأخذون بنواصيهم و تنزلونهم من صياصيهم.

٤. **المبالغة في الطلب** لشدة الاهتمام بالمطلوب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ (البقرة/ ٨٤) لم يقل لا تسفكوا، قصداً للمبالغة في النهي، حتى كأنهم نهوا فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامتثال.

٥. **إظهار الرغبة**، نحو قولك في احدٍ: رزقني الله لقاءه.

الثاني: يوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض منها:

١. **إظهار العناية بالشيء و الاهتمام بشأنه** كقوله تعالي: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (اعراف/٢٩) و لم يقل « و إقامة وجوهكم» إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة لعظيم خطرها و جليل قدرها في الدين.

٢. **التّحاشي و الاحتراز عن مساواة اللاحق للسابق**، كقوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ﴾ (هود/٥٥و٥٤) لم يقل: وأشهدكم تحاشياً و فراراً من مساواة شهادتهم لشهادة الله تعالى.[1]

---

١. و يمكن القول بالعكس كما ذكر فى التحرير و التنوير ج١١، ص٢٨٠.

الثالث: الإنشاء كالخبر في كثير مّما ذكر فيه، و ممّا سيذكر في الأبواب التالية (من الذكر و الحذف وغيرهما) إن شاءالله تعالى.

الرابع: يستعمل كلٌّ من الأمر و النهي و الاستفهام في أغراض أخر، يرجع في إدراكها إلى الذوق و سياق الكلام، و لا يكون استعمالها في غيرما وضعت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزية يترقّى بها الكلام في درجات البلاغة.

تمارين

بيّن فيما يلي الغرض من وضع الإنشاء موضع الخبر و بالعكس:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء/ ٢٣).

قال الله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران/ ٩٧).

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ (هود/ ٤١).

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن/ ٦٠).

قول الشاعر:

كلّ خليل كنت خاللته   لا ترك الله له واضحة

الباب الثالث

في أحوال المسندإليه

و أحواله هي: الذكر، و الحذف، و التعريف، و التنكير، و التقديم، و التأخير، و في هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول

في ذكر المسندإليه

كل لفظ دالّ على معنى في الكلام أريد إفهامه خليق طبعاً بالذكر، لتأدية المعنى المراد به.

فلهذا يذكر المسندإليه وجوباً، حيث لا تدلّ عليه قرينة عند حذفه،لأن ذكره هو الأصل و لامجوّز للحذف.

و وجود القرينة الدالّة عليه يجوّز حذفه، و معه قديترجّح الذكر و قديترجّح الحذف.

فمن مرجّحات الذكر:

١. **زيادة التقرير و الايضاح للسامع**، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(البقرة/٥).

٢. **قلّة الثقة بالقرينة**، لضعفها أو ضعف فهم السامع، نحو: سعدٌ نعم الزعيم، تقول ذلك: إذا سبق لك ذكر سعد و طال عهد السامع به أو ذكرمعه كلام في شأن غيره.

٣. **التأكيد في مقام الرد على المخاطب**، نحو: الله واحدٌ، ردًّا على من قال: الله ليس بواحد و له شريك.

٤. **التلذّذ**، نحو: الله ربّي، الله حسبي.

٥. **التعريض بغباوة السامع**، نحو: سعيدٌ قال كذا، في جواب من قال: ماذا قال سعيدٌ؟

٦. **التسجيل على السامع**: حتّى لايتأتّى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد: نعم زيد هذا أقر بأن عليه كذا[١].

---

١. فيذكر المسندإليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل: إنّما فهم الشاهد أنّك أشرت إلى غيرى فأجاب، ولذلك لم أُنكر و لم أطلب الإعذار فيه.

٧. **التعظيم**، نحو: سيف الدولة حاضر، في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٨. **الإهانة**، نحو: السارق قادم، في جواب من قال: هل حضر السارق؟

إلى غيرذلك من مرجحات الذكر و سيأتي مرجحات الحذف في مبحثه إن شاءالله.

المبحث الثاني

في حذف المسند إليه

الحذف خلاف الأصل و لايجوز إلاّ عند وجود قرينة تدل على المحذوف.

و معه قد يترجح الحذف لأغراض منها:

١. **الاختصار**، كقوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾(الذاريات/٢٩) أي: أنا عجوز عقيم.

٢. **إخفاء الأمر عن غير من أريد إفهامه**، نحو: مقبلٌ، تريد علياً مثلاً.

٣. **تيسّر الإنكار إن مسّت إليه الحاجة**، نحو: لئيمٌ خسيسٌ، بعد ذكر شخص لاتذكر اسمه ليتأتّى لك عند الحاجة أن تقول ماأردته ولاقصدته.

٤. **الحذر من فوات فرصة سانحة**، كقول منبّه الصياد: «غزالٌ»، أي: هذا غزالٌ.

٥. **اختبار تنبّه السامع له عند القرينة، أو مقدار تنبّهه**، نحو: نعم الزعيم، تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد و طال عهد السامع به.

٦. **المحافظة على وزن**، كقوله:

على أنّني راضٍ بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا علي و لا ليا

أي: لا عليّ شيء.

٧. **ادعاء كونه معلوماً**، نحو: وهاب الألوف. أي: فلان.

و غير ذلك من الأغراض، والمرجع في تعيينها الذوق الأدبي مع لحاظ القرائن التي توحي إليك بما في القول من بلاغة وحسن بيان.

المبحث الثالث

في تعريف المسندإليه

حقّ المسندإليه أن يكون معرفة ليكون الحكم أتمّ فائدة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(البقرة/١٢٧).

وتعريفه إمّا بالإضمار، و إمّا بالعلمية، و إمّا بالإشارة، و إمّا بالموصولية، و إمّا بأل، و إمّا بالإضافة.

و في هذا المبحث عدّة فصول.

الفصل الأول

في تعريف المسندإليه بالإضمار

يؤتي بالمسندإليه **ضميراً** لأغراض:

١. **لكون الحديث في مقام التكلّم**، كقوله ﷺ: **أنا النّبي لاكذب، أنا ابن عبد المطلب.**[١]

٢. **لكون الحديث في مقام الخطاب**، كقول الشاعر:

و أنـت الّـذي أخلفتنـي ماوعدتنـي   وأشمتَ بي من كان فيك يلوم

٣. **لكون الحديث في مقام الغيبة** لكون المسندإليه معهوداً فى ذهن السامع و اريد الاشارة اليه، نحو: الله تبارك و تعالى ولابدّ من تقدّم ذكره:

أ. إمّا **لفظاً**، كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾(يونس/١٠٩)

ب. وإمّا **معنىً ضمناً**، لدلالة اللفظ عليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا

---

١. بحار الأنوار/١٦/ ٢٠٥.

﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ (النور/٢٨) أي: الرجوع.

ج. و إما معنىً سياقاً، لدلالة قرينة حال عليه[١]،كقوله تعالى:﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ (النساء/١١) أي: الميت.

تنبيهات

الأول: الأصل في الخطاب أن يكون لسامع معين،[٢] نحو: أنت استرققتني بإحسانك و قد يخاطب:

أ. **غيرالسامع**، إذا كان مستحضراً في القلب، نحو قول الشاعر:

أسكّان نعمان الأراك تيقّنوا ... بأنّكم في ربع قلبي سكّان

ب. **غيرالمعين**، إذا قصدتعميم الخطاب لكلّ من يمكن خطابه على سبيل البدل، لا التّناول دفعة واحدة، كقول المتنبّي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... و إن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

الثاني: الأصل في وضع ضمير الغائب عدم ذكره إلا بعد تقدُّم ما يفسّره بأحد الأنواع المذكورة و قد يعدل عن هذا الأصل، فيؤتى بضمير الغائب من دون التقدّم لأغراض منها:

أ. **تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشويقه إليه:** و يطّرد ذلك في باب نعم و بئس، و في باب ضمير الشأن و القصّة، كقوله تعالى: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾(الكهف/٥٠) و قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (الحج/٤٦) وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص/١).

ب. **ادّعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن**، نحو: أقبل و عليه الهيبة و الوقار و

---

١ . هذا ما قد يعبر عنه بكون المسند إليه فى حكم المذكور.

٢ . هذا فى الخطابات الشفاهية و أما فى الكتابة فالأصل أن يكون الخطاب لقارئ معيّن.

يسمّى هذا العدولُ بالإضمار في مقام الإظهار.

الثالث: يوضع الظاهر سواء أكان علماً، أو صفة، أو إشارة موضع الضمير، لأغراض كثيرة، منها:

أ. **إلقاء المهابة في نفس السامع**، كقولك لخادمك: مولاك يقول كذا.

ب. **التبرّك**، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾(الكهف/٣٨).

ج. **التلذّذ**، كقول الشاعر:

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبّذا نجد على القرب والبعد

د. **الاستعطاف**، نحو قول الإمام زين العابدين عليه السلام: سيّدى عبدك ببابك أقامته الخصاصة بين يديك يقرع باب إحسانك بدعائه.[١] أي: أنا ببابك.

و يسمّى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار.

الفصل الثاني

في تعريف المسندإليه بالعلمية

يؤتى بالمسندإليه **علماً**[٢] إذا تعين طريقاً **لإحضار معناه في ذهن السامع**، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(البقرة/١٢٧)و أمّا إذا لم يتعين طريقاً فلأغراض أخرى، منها:

١. **المدح في الألقاب التي تُشعربذلك**، نحو: جاء نصر، و حضر صلاح الدين.

٢. **الذم و الإهانة**، نحو: جاء صخر، و ذهب تأبّط شرّاً.

٣. **التفاؤل**، نحو: سعد في دارك.

٤. **التشاؤم**، نحو: حربٌ في البلد.

---

١. دعاء أبى حمزة الثمالى/ مفاتيح الجنان.

٢. المراد من العلم فى المقام معناه العام.

٥. **التبرّك**، نحو: ألله أكرمني، في جواب: هل أكرمك الله؟

٦. **التلذّذ**، كقول علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

لا غـرو إن قتـل الحسـين و شـيخه ... قـد كان خيـراً مـن حسـين و أكرمـا
فـلا تفرحـوا يـا أهـل كوفـان بالـذي ... أصيـب حسـين كان ذلـك أعظمـا
قتيـل بشـط النهـر نفسـي فـداؤه ... جـزاءُ الّـذي أرداه نـار جهنّمـا

٧. **الكناية عن معنى يصلح العلم لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلمية**، نحو: أبولهب فعل كذا، كناية عن كونه جهنّمياً، لأن اللهب الحقيقي هو لهب جهنّم، فيصح أن يلاحظ فيه ذلك.

الفصل الثالث

في تعريف المسندإليه بالإشارة

يؤتى بالمسندإليه **اسم إشارة**، إذا تعين طريقاً **لإحضار المشارإليه في ذهن السامع**، بأن يكون حاضراً محسوساً، و لايعرف المتكلم أو السامع اسمه الخاص، و لا معيناً آخر، كقولك: أتبيع لي هذا، مشيراً إلى شيء لا تعرف له اسماً و لا وصفاً.

أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى، منها:

١. **بيان حاله في القرب**، كقوله تعالى: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا﴾(يوسف/٦٥) أو في التوسّط، نحو: «ذاك ولدي»، أو في البعد، نحوقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾(ق/٢٠).

٢. **تعظيم درجته بالقرب**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(الإسراء/٩) أو **تعظيم درجته بالبعد**،كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾(البقرة/٢).

٣. **التّحقير بالقرب**، كقوله تعالى: ﴿هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(الأنبياء/٣) أو التّحقير بالبعد، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾(الماعون/٢).

٤. إظهار الاستغراب، كقول الشاعر:

كـم عاقـلٍ عاقـلٍ أعيـت مذاهبـه — و جاهـلٍ جاهـلٍ تلقـاه مرزوقـاً
هـذا الّـذي تـرك الأوهـام حائـرة — و صيـر العالـم النّحريـر زنديقـاً

٥. كمال العناية بتمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق في علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

هـذا الـذي تعـرف البطحـاء وطأتـه — و البيـت تعرفـه و الحـلّ و الحـرم
هـذا ابـن خيـر عبـاد الله كلهـم — هـذا التقي النقي الطاهـر العلم
هـذا الـذي أحمـد المختـار والـده — صلى عليه إلهـي مـا جـرى القلـم[١]

---

١. حج هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الاستلام من الزحام فنصب له منبر فجلس عليه و أطاف به أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام و عليه إزار و رداء من أحسن الناس وجها و أطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز فجعل يطوف فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبة له فقال شامي: من هذا؟ يا أمير المؤمنين فقال: لا أعرفه. لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق و كان حاضرًا: لكني أنا أعرفه فقال الشامي: من هو؟ يا أبافراس فأنشأ قصيدة ذكربعضها في الأغاني و الحلية و الحماسة و القصيدة بتمامها هذه:

يـا سـائلي أيـن حـل الجـود و الكـرم — عنـدي بيـان إذا طلابـه قدمـوا
هـذا الـذي تعـرف البطحـاء وطأتـه — و البيـت تعرفـه و الحـل و الحـرم
هـذا ابـن خيـر عبـاد الله كلهـم — هـذا التقـي النقـي الطاهـر العلـم
هـذا الـذي أحمـد المختـار والـده — صلـى عليـه إلهـي مـا جـرى القلـم
لـو يعلـم الركـن مـن قـد جـاء يلثمـه — لخـر يلثـم منـه مـا وطـئ القـدم
هـذا علـيّ رسـول الله والـده — أمسـت بنـور هـداه تهتـدي الأمـم
هـذا الـذي عمـه الطيـار جعفـر — و المقتـول حمـزة ليـث حبـه قسـم
هـذا ابـن سـيدة النسـوان فاطمـة — و ابـن الوصـي الـذي فـي سـيفه نقـم
إذا رأتـه قريـش قـال قائلهـا — إلـى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرم

يــكاد يُمســكه عرفــان راحتــه ‏ ركــن الحطيــم إذا مــا جــاء يســتلم
و ليــس قولــك: مــن هــذا؟ بضائــره ‏ العــرب تعــرف مــن أنكــرت و العجــم
ينمــي إلــى ذروة العــز التــي قصــرت ‏ عــن نيلهــا عــرب الإســلام و العجــم
يغضــي حيــاء و يغضــى مــن مهابتــه ‏ فمــا يكلــم إلا حيــن يبتســم
ينجــاب نــور الدجــى عــن نــور غرتــه ‏ كالشــمس ينجــاب عــن إشــراقها الظلــم
بكفــه خيــزران ريحــه عبــق ‏ مــن كــف أروع فــي عرنينــه شــمم
مــا قــال لا قــطٍ إلا فــي تشــهده ‏ لــو لا التشــهد كانــت لاؤه نعــم
مشــتقة مــن رســول الله نبعتــه ‏ طابــت عناصــره و الخيــم و الشــيم
حمــال أثقــال أقــوام إذا فدحــوا ‏ حلــو الشــمائل تحلــو عنــده نعــم
إن قــال قــال بمــا يهــوى جميعهــم ‏ و إن تكلــم يومــاً زانــه الكلــم
هــذا ابــن فاطمــة إن كنــت جاهلــه ‏ بجــده أنبيــاء الله قــد ختمــوا
الله فضلــه قدمــاً و شــرفه ‏ جــرى بــذاك لــه فــي لوحــه القلــم
مــن جــده دان فضــل الأنبيــاء لــه ‏ و فضــل أمتــه دانــت لهــا الأمــم
عــم البريــة بالإحســان و انقشــعت ‏ عنهــا العمايــة و الإمــلاق و الظلــم
كلتــا يديــه غيــاث عــم نفعهمــا ‏ يســتوكفان و لا يعروهمــا عــدم
ســهل الخليقــة لا تخشــى بــوادره ‏ يزينــه خصلتــان الحلــم و الكــرم
لا يخلــف الوعــد ميمونــاً نقيبتــه ‏ رحــب الفنــاء أريــب حيــن يعتــرم
مــن معشــر حبهــم ديــن و بغضهــم ‏ كفــر و قربهــم منجــى و معتصــم
يســتدفع الســوء و البلــوى بحبهــم ‏ و يســتزاد بــه الإحســان و النعــم
مقــدم بعــد ذكــر الله ذكرهــم ‏ فــي كل فــرض و مختــوم بــه الكلــم
إن عِــدّ أهــل التقــى كانــوا أئمتهــم ‏ أو قيــل مــن خيــر أهــل الأرض؟ قيــل هــم
لا يســتطيع جــواد بعــد غايتهــم ‏ و لا يدانيهــم قــوم و إن كرمــوا
هــم الغيــوث إذا مــا أزمــة أزمــت ‏ و الأســد أســد الشــرى و البــأس محتــدم
يأبــى لهــم أن يحــل الــذم ســاحتهم ‏ خيــم كريــم و أيــد بالنــدى هضــم
لا يقبــض العســر بســطاً مــن أكفهــم ‏ ســيان ذلــك إن أثــروا و إن عدمــوا

٦. التعريض بغباوة المخاطب، حتى كأنه لايفهم غيرالمحسوس نحو:

اولئـــك آبائـــي فجئنـــي بمثلهـــم إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المجامـــع

٧. التنبيه على أن المشار إليه المعقّب بأوصاف، جدير لأجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة/٥).

فإن الله سبحانه ذكرالمتقين و أوصافهم من الإيمان بالغيب و إقامة الصلاة و غيرهما، ثمّ أتى بالمسندإليه (أولئك) اسمَ إشارة تنبيهاً على أن المشار إليهم جديرون -من أجل تلك الخصال- بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً و الفلاح آجلاً.

وكثيراً ما يشار إلى القريب غير المشاهد بإشارة البعيد، تنزيلاً للبعد عن العيان منزلة البعد عن المكان، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ (الكهف/٨٢).

أي القبائـــل ليســـت فـــي رقابهـــم لأوليـــة هـــذا أو لـــه نعـــم؟
مـــن يعـــرف الله يعـــرف أوليـــة ذا فالديـــن مـــن بيـــت هـــذا نالـــه الأمـــم
بيوتهـــم فـــي قريـــش يســـتضاء بهـــا فـــي النائبـــات و عنـــد الحكـــم إن حكمـــوا
فجـــده مـــن قريـــش فـــي أرومتهـــا محمـــد و علـــي بعـــده علـــم
بـــدر لـــه شـــاهد و الشـــعب مـــن أحـــد و الخندقـــان و يـــوم الفتـــح قـــد علمـــوا
و خيبـــر و حنيـــن يشـــهدان لـــه و فـــي قريظـــة يـــوم صيلـــم قتـــم
مواطـــن قـــد علـــت فـــي كل نائبـــة علـــى الصحابـــة لـــم أكتـــم كمـــا كتمـــوا

فغضب هشام و منع جائزته و قال ألا قلت فينا مثلها قال هات جداً كجده و أباً كأبيه و أماً كأمه حتى أقول فيكم مثلها فحبسوه بعسفان بين مكة و المدينة فبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث إليه باثني عشر ألف درهم و قال أعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به فردها و قال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله و لرسوله و ما كنت لأرزأ عليه شيئاً فردها إليه و قال بحقي عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك و علم نيتك فقبلها فجعل الفرزدق يهجو هشاماً و هو في الحبس فكان مما هجاه به قوله:

أ يحبســـني بيـــن المدينـــة و التـــي إليهـــا قلـــوب النـــاس يهـــوي منيبهـــا
يقلـــب رأســـا لـــم يكـــن رأس ســـيد و عينـــا لـــه حـــولاء بـــاد عيوبهـــا

فأخبر هشام بذلك فأطلقه و في رواية أبي بكر العلاف أنه أخرجه إلى البصرة. (بحارالأنوار ٤٦/ ١٢٥).

الفصل الرابع

في تعريف المسند إليه بالموصولية

يؤتى بالمسند إليه **اسم موصول** إذا تعين طريقاً **لإحضار معناه**، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف/٤٥) و كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تستطع تعريفه بمعرّف آخر.

أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى منها:

١. **التشويق**: و ذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حكماً غريباً، كقوله:

و الـــذي حـــارت البريـــة فيـــه حيـــوان مســـتحدث مـــن جمـــاد[1]

٢. **التنبيه على خطأ المخاطب**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾(الأعراف/١٩٤)وكقول الشاعر:

إنّ الذيـــن تَرونهـــم إخوانكـــم يشـــفي غليـــل صدورهـــم أن تصرعـــوا

أي: من تعتقدونهم إخوتكم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الاعتقاد، و لا يفهم هذا المعنى لو قيل: إن قوم كذا يشفي الخ.

٣. **التنبيه على خطأ غير المخاطب**، كقوله عروة بن أُذَنْية:

إن التـــي زعمـــت فـــؤادك ملهـــا خُلقتْ هـواك كمـا خُلقـتَ هـوىً لهـا[2]

٤. **التعظيم**، نحو: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾(طه/ ٧٨) أي: غطّاهم و سترهم من البحر موج عظيم، و نحو قول الشاعر:

إن الـــذي ســـمك الســـماء بنـــى لنـــا بيتـــاً دعائمـــه أعـــز و أطـــول

---

١ . يعنى تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى.

٢ . ديوان عروة بن أذينه ص٥٩.

٥. **التحقير**، نحو: من لم يدرِ حقيقة الحال قال ما قال.

٦. **استهجان التصريح بالاسم**، كقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[١](يوسف /٢٣).

و نحو: الذى ربانى ابى[٢].

٧. **الإشارة إلى الوجه الذي يبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب**، كقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(الحج/٥٠).

٨. **التوبيخ**، نحو: الذى احسن اليك قد اسأت اليه.

٩. **الاستغراق**، نحو: الذين يأتونك فأكرمهم.

١٠. **الإبهام**، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِوَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[٣] (العاديات /١٠-٩).

و اعلم أن التعريف بالموصولية مبحث دقيق المسلك، يوقفك على دقائق من البلاغة تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك، فأسرار و لطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها، و اعتبر في كل مقام ما تراه مناسباً حسب ذوقك السليم و السياق.

الفصل الخامس

في تعريف المسندإليه بال

يؤتى بالمسند إليه **معرّفاً بال العهدية** أو **ال الجنسية** لأغراض آتية:

١. **ال العهدية:** تدخل على المسندإليه للإشارة إلى معهود بين المتخاطبين.

و عهده يكون:

---

١ . أى: زليخا و لم يصّرح باسمها لاستهجان التصريح باسم المرأة (تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٧٧/۴، و المختصر).

٢ . بان كان اسمه قبيحاً كان يكون برغوث مثلاً او جحش او بطّه او غيره.

٣ . أى: ما يزالون فى حالة إبهام بالنسبة لهويتهم. (الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل٢/٣٩٨).

أ. **بتقدّم ذكره امّا صريحاً**، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾(نور/ ٣٥) و يسمّى عهداً صريحياً.

اوْ **تلويحاً**، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾(آل عمران/٣٦) فالذكر و إن لم يكن مسبوقاً صريحاً إلا أنه إشارة إلي مَا في الآية قبله؛ ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ فإن التحرير هو العتق لخدمة بيت المَقْدِس و إنّهم كانوا لا يحرّرون لخدمتها إلا الذكور[١] فالذكر تقدم كناية بلفظة ماو يسمّى عهداً كنائياً.

ب. **بحضوره بذاته فى الخارج** كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة/٣) و يسمى عهداً حضورياً أو بمفهومه فى الذهن[٢] كقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾(توبه/٤٠)، و نحو: هل انعقد المجلس،و يسمّى عهداً علميّاً.

٢. **ال الجنسية**: و تدخل على المسند إليه لأغراض ثلاثة:

أ. **الإشارة إلى الحقيقة**، من حيث هي بقطع النظر عن عمومها و خصوصها، نحو: الإنسان حيوان ناطق و نحو: الذهب اثمن من الفضّه. و تسمّى لام الجنس لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس بقطع النظر عن الأفراد.

ب. **الإشارة إلى الحقيقة في ضمن مبهم**، إذا قامت القرينة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾(يوسف/ ١٣) و مدخولها في المعنى كالنكرة و ان كان فى اللفظ تجرى عليه احكام المعارف من وقوعه مبتدئاً و ذا حالٍ و وصفاً لمعرفة و موصوفاً بها و نحو ذلك و تسمّى لام العهد الذهني[٣].

ج. **الإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ امّا مطلقاً**؛

---

١. المعنى أنه: وَلَيْسَ الذَّكَرُ الذى أرادته بلفظة (مَا)كَالأُنثَى التى وهبناها لها.

٢. يسميه النحويون عهداًء

٣. هذا عند البلاغيين و هو غير العهد الذهنى المصطلح عند النحويين.

- بمعونة قرينة حالية، كقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾(الأنعام/٧٣) أي: كل غيب و شهادة.

- بمعونة قرينة لفظية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾(العصر/٢) أي: كل إنسان لفي خسر، بدليل الاستثناء بعده، و يسمّى استغراقاً حقيقياً.

د- و **امّا مقيّداً**، نحو: جمع الأمير التجّار و ألقى عليهم نصائحه، أي جمع الأمير تجار مملكته، لا تجار العالم أجمعَ و يسمّى استغراقاً عرفياً.

تنبيهان

الأول: استغراق المفرد فى النفى أشمل من استغراق المثنى و الجمع و اسم الجمع، بدليل صحة لارجال في الدار، إذا كان فيها رجل أو رجلان، بخلاف قولك: لارجل، فإنه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان.

و أمّا في الإثبات فإستغراق المثنى تتناول كل اثنين اثنين و استغراق المفرد و الجمع يتناول كل واحد من الأفراد بل هو في الجمع أَظهر، كما دلّ عليه الاستقراء و صرح به أئمة اللغة و علماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (البقرة/٣٣) و كقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل‌عمران/١٣٤) و كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ (البقرة/٣١) إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم كما في المطولات.

الثاني: قد يعرّف المسند إليه بلام الجنس ليفيد قصره على المسند نحو « الحكم حكم الله » اى لاحكم الا حكم الله كما انه قد يعرف المسند بلام الجنس ليفيد قصره على المسند اليه نحو « و هو القاهر فوق عبادِهِ» هذا اذا كان المعرف بلام الجنس احدهما و امّا اذا كان كلّ منهما معرفاً بلام الجنس فيقصر الاعم على الاخص سواء كان الاعم مسنداً اليه و الاخص

مسنداً نحو « الناس العلماء» او كان الاعم مسنداً و الاخص مسنداً اليه نحو «العلماء الناس» و اذا كان بينهما عموم و خصوص من وجه نحو « العلماء الخاشعون» فيحال الى القرائن اذ قد يقصد فى هذه الصوره قصر المسند اليه على المسند و بالعكس فان لم تكن قرينة فالاظهر قصر المسند اليه على المسند.

الفصل السادس

في تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسندإليه **معرّفاً بالإضافة** إلى شيء من المعارف السّابقة لأغراض كثيرة منها:

١. أنّها **أخصر طريق** ممكن إلى إحضاره في ذهن السامع: نحو: جاء غلامي فإنّه أخصر من قولك: جاء الذي هو غلام لي.

٢. **تعذّر التعدّد أو تعسُّرهُ**، نحو: أجمع أهل الحقّ على كذا، و أهل مصر كرام.

٣. **الخروج من تبعة تقديم البعض على البعض**، نحو: حضر أمراء الجند.

٤. **التعظيم للمضاف**، نحو: كاتب السلطان حضر. أو **التعظيم للمضاف إليه**، نحو: تلميذي الأمير، أو غيرهما، نحو: أخو الوزير عندي.

٥. **التحقير للمضاف**، نحو: ولد اللصّ قادم أو التحقير للمضاف إليه، نحو: رفيق زيد لصّ، أو **غيرهما**، نحو: أخو اللصّ عند عمرو.

٦. **الاختصار** لدواعٍ كضيق المقام، لفرط الضجر و السّآمة، كقول جعفر بن علبة و هو في السجن بمكة:

هواي[١] مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب و جثماني بمكة موثق

و اعلم أنّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المصحّح لأن يقال المضاف للمضاف إليه فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً كقوله تعالى: ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ

---

١. فلفظ هواى أخصر من «الذى أهواه و نحوه».

وَالنَّهَارِ﴾(سبأ/٣٣) و كما في الإضافة لأدنى ملابسة كقوله:

إذا كوكـــب الخرقـــاء لاح بســـحرة «ســهيلٌ» أذاعــت غزلهــا فــي القرائــب[١]

١ . أضاف الكوكب إلى (الخرقاء) أى المرأة الحمقاء -مع أنه ليس لها- لأنها لا تتذكّر كسوتها إلا وقت طلوع «سهيل» سحراً فى الشتاء، و تفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها فى الصيف، فإذا طلعت سهيل و هو كوكب قريب من القطب الجنوبى فى السحر، و ذلك قرب الشتاء أحسّت بالبرد و احتاجت إلى الكسوة، ففرقت غزلها أى: قطنها أو كتانها -الذى يصير غزلاً- فى أقاربها، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى مناسبة، و قد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص.

المبحث الرابع

في تنكير المسنداليه

يؤتى بالمسنداليه **نكرة**، لعدم علم المتكلم أو المخاطب بجهة من جهات التعريف حقيقة أو ادعاءً، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك، إذا لم تعرف ما يعينه من علم أو صلة أو نحوهما حقيقة أو ادعاءً، و قد يكون لأغراض أخرى منها:

١. **التكثير**، كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾(آل عمران/١٨٤).

أي: رسلٌ كثيرون.

٢. **التقليل**، كقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾(التوبة/٧٢).

٣و٤. **التعظيم و التحقير**، كقول ابن أبي السمط:

. لـه حاجـبٌ عـن كل أمـر يشـينهُ   و ليس لـه عـن طالـب العـرف حاجـب

أي: له مانع عظيم عن كل عيب و ليس له مانع حقير عن طالب الإحسان.

و اعلم أن الفرق بين التعظيم و التكثير أن التعظيم بحسب رفعة الشأن و علو الطبقة، و أن التكثير باعتبار الكميات و المقادير، و يلاحظ هذا الفرق في التحقير و التقليل أيضاً.

٥. **إخفاء الأمر**، نحو قولك: قال رجل: إنك انحرفت عن الصواب، تخفي اسمه، حتى لا يلحقه أذى.

٦. **قصد الإفراد**، نحو: ويلٌ أهون من ويلين. أي: ويل واحد أهون من ويلين.

٧. **قصد النوعية**، نحو: لكلّ داء دواءٌ. أي: لكل نوع من الداء نوع من الدواء.

المبحث الخامس

في تقديم المسند إليه

مرتبة المسندإليه **التقديم** و ذلك لأنّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، فاستحقّ التقديم، و لتقديمه دواع شتّى منها:

١. **تعجيل المسرّة**، نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

٢. **تعجيل المساءة**، نحو: القصاص حكم به القاضي.

٣. **التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدّم مشعراً بغرابة**، كقول أبي العلاء المعري:

والـذي حـارت البريـة فيـه حيـوان مسـتحدث مـن جمـاد

٤. **الاهتمام**، نحو قول الشاعر:

علـي حبّـه جنّـة قسـيم النـار و الجنّـة
وصـيّ المصطفـى حقّـاً إمـام الإنـس و الجنّـة

٥. **التبرك**، نحو: اسم الله اهتديت به.

٦. **النص على عموم السلب**: و يسمى شمول النفى ايضاً و هو يكون بتقديم أداة العموم ككلّ و نحوه على أداة النفي ليفيد النفى عن كل فردٍ ، نحو: (كل ظالم لا يفلح)، المعنى: لا يفلح أحدٌ من الظلمة. فيكون بمعنى السالبه الكليه و نحو قول النبي ﷺ: لمّا قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة ام نسيت؟ قال ﷺ كل ذلك لم يكن اى لم يقع هذا و لا ذاك.

٧. **إفادة التخصيص** قطعاً إذا كان المسندإليه مسبوقاً بنفي، و المسند جملة فعليه، نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم أقله و هو مقول لغيري. و لذا لا يصحّ أن يقال: ما أنا قلت هذا و لا غيري، لأن مفهوم «ما أنا قلت» أنّه مقول للغير، و منطوق «و لا غيري» كونه

غير مقول للغير فيحصل التناقض سلباً و إيجاباً.

و إذا لم يسبق المسندإليه نفي كان تقديمه محتملاً لتخصيص الحكم به أو تقويته، إذا كان المسند جملة فعلية، نحو: أنت لا تبخل. و نحو: هو يهب الألوف، فإن فيهما الإسناد مرّتين: إسناد الفعل إلى الضمير المستتر و إسناد الجملة إلى المنفصل.

٨. **التاكيد**، كقوله تعالى: ﴿وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (فرقان/٣) اذ المراد تحقيق الحكم و توكيده لا التخصيص و الأنفراد.

المبحث السادس

في تأخير المسندإليه

يؤخر المسندإليه إن اقتضى المقام تقديم المسند كما سيجيء.

تمارين

بيِّن احوال المسندإليه - من سبب ذكره اَو حذفه اَو تعريفه و... - في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن/١٠).

قال الله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(المؤمنون/٩٢).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾(الحشر/٢٣).

قال جعفر بن محمد الباقر عليهما السلام: جاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال إنّي قد حرمت الصّلاة باللّيل فقال عليه السلام: قد قيدتك ذنوبك.[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسبَ نفسه أشدَّ من محاسبة الشريك شريكَه والسّيد عبدَه.[2]

قال الشاعر:

أنا مصدر الكلم البوادي | بين المحاضر و النوادي

قال الشاعر:

حريص على الدنيا مضيع لدينه | وليس لما في بيته بمضيع

١. بحارالأنوار١٢٧/٨٣.

٢. بحار الأنوار٨٨/٧٧.

الباب الرابع

في أحوال المسند

و أحواله: هي الذكر و الحذف و التعريف و التنكير و التقديم و التأخير و غيرها، و في هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

في ذكر المسند و حذفه

الأصل في المسند ذكره و لا يجوز حذفه إلا عند وجود قرينة دالة عليه، وهى كوقوع الكلام جوابا لسؤال محقق كقوله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ (لقمان/٢٥) أي: خلقهنّ الله. أو لسؤال مقدر كقوله تعالى: ﴿يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ (النور/٣٧-٣٦) بقرائة«يسبَّح» مبنياً للمفعول أي: يسبِّحه رجالٌ، كأنّه قيل: من يسبِّحه؟

و قد يترجح الذكر مع القرينة المجوزة للحذف لامور منها:

١. **ضعف التعويل على دلالة القرينة**، نحو: حالي مستقيم و رزقي ميسور، إذ لو حذف ميسور لا يدلّ عليه المذكور لخفاء دلالته عليه.

٢. **التاكيد فى الرد**، نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس/٧٩) جواباً لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس/٧٨).

و قد يترجح الحذف و ذلك إذا تعلّق به غرض ممّا مرّ في حذف المسنداليه، نحو:

١. **الاحتراز عن العبث**، نحو: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة/٣) أي: و رسوله بريء منهم أيضاً، فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.

٢. **ضيق المقام عن إطالة الكلام**، كقول الشاعر:

نحـن بمـا عنـدنا و أنـت بمـا عنـ ـدك راض و الـرّأي مـختلف

أي: نحن بما عندنا راضون، فحذف لضيق المقام.

وقد يجب حذفه اتباعاً و مجاراة لما جاء في الاستعمالات الواردة عن العرب، نحو: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ/٣١) أي: لولا أنتم موجودون.

المبحث الثاني

في تعريف المسند و تنكيره

يعرّف المسند لغرضين:

١. **إفادة السامع حكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طرق التعريف**، نحو: هذا الخطيب، و ذاك نقيب الأشراف.

٢. **إفادة قصره على المسندإليه** بشرط أن يكون المسند معرّفاً بلام الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾(البروج/١٤).

و ينكّر المسندلأغراض منها:

١. **عدم الموجب لتعريفه**: و ذلك لعدم إرادة العهد أو الحصر، نحو: أنت أمير و هو وزير.

٢. **إفادة التفخيم**، كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٢).

٣. **افادة التحقير**، كقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ (الرعد/٢٦).

المبحث الثالث

في تقديم المسند و تأخيره

يُقدّم المسند إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً، نحو: قام علي، أو ممّا له الصدارة في الكلام، نحو: أين الطريق؟ أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

١. **التخصيص بالمسند إليه**، كقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ (الصّافات/٤٧).

٢. **التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت**، كقوله:

لـــه همـــم لا منتهـــى لكبارهـــا ... و همّتــه الصغـرى أجـلّ مــن الدهــر
لـــه راحـــة لـــو أنّ معشـار جودهـا ... علـى البـرّ كان البـرّ أنـدى مـن البحـر

فلو قيل: همم لا منتهى لكبارها له، لتوهّم ابتداءً كون «له» صفة لما قبله.

٣. **التشويق للمتأخر**: إذا كان في المتقدّم ما يشوق لذكره من طوله او غرابته، كتقديم المسند في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ (آل عمران/١٩٠).

٤. **التفاؤل**، كما تقول للمريض: في عافية أنت. و كقوله:

سعـــدت بغـــرّة وجهـــك الأيـــام ... و تـــزينت بلقائـــك الأعـــوام

٥. **تعجيل المساءة**، كقول المتنبي:

و مـن نكـد الدنيـا علـى الحـرّ أن يـرى ... عـــدوّاً لـــه مـــا مـــن صداقتـــه بـــدّ

٦. **تعجيل المسرّة للسامع**: كقولك لتلميذ يسألك عن نتيجة امتحانه: ناجح أنت.

وغيرها كالتعجّب و تعجيل التعظيم أو المدح أو الذم أو الترحم أو الدعاء، نحو: لله

درّك، و عظيم أنت يا ألله، و نعم الزعيم سعد، و بئس الرجل خليل، و فقير أبوك، و مبارك وصولك بالسلامة، و هلمّ جرّاً.

و يؤخّر المسند لأن تأخيره هو الأصل و لم يتعلّق بتقديمه غرض أو تعلّق بتقديم المسندإليه غرض، نحو: الوطن عزيز.

تنبيه

ينقسم المسند إلى مفرد و جملة و المسند الجملة إلى قسمين:

١. أن يكون سببيا[١]، نحو: خليل أبوه منتصر، أو أبوه انتصر، أو انتصر أبوه.

٢. و أن يكون **غيرسببي**، يقصد فيها أحد الأمرين:

أ. **تخصيص الحكم بالمسندإليه**: نحو: أنا سعيت في حاجتك أي: الساعي فيها أنا لا غيري، و ﴿أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾(يوسف/٥١)

ب. **تأكيد الحكم**، نحو: سعدٌ حضر، و ذلك لما في الجملة من تَكرار الإسناد مرتين.

و يؤتى بالمسند ظرفاً و جاراً و مجروراً للاختصار، نحو: خليل عندك و محمود في المدرسة.

---

١. و هو جملةٌ علقت على مبتداءٍ بعائدٍ لا يكون مسندا إليه فی تلك الجملة.

تمارين

١. عيِّن أسباب حذف المسند أو ذكره و تعريفه أو تنكيره فيمايلي:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٣٢).

قال رسول الله ﷺ: ألا و إن الله خلق الدنيا دار بلوي و الآخرة دار عقبي فجعل بلوي الدنيا لثواب الآخرة سبباً و ثواب الآخرة من بلوي الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطي و يبتلي ليجزي.[١]

قال الشاعر:

من قاس جدواك يوماً ... بالسُّحب أخطأ مدحك
السّحب تعطي و تبكي ... و أنت تعطي و تضحك

٢. بيِّن أسباب التقديم و التأخير للمسند فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(الإخلاص/ ٤).

قال الله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(الإسراء/١١٠)

قال علي أميرالمؤمنين عليه السلام: لكل ذي رمق قوت[٢].

قال الحسين الشهيد عليه السلام: إنّا لله و إنّا إليه راجعون و على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد[٣].

---

١. بحار الأنوار/٧٤/ ١٨٩.

٢. الكافي/٨/٢٣.

٣. بحارالأنوار/٤٤/٣٢٦.

الباب الخامس

في الإطلاق و التقييد

إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزأيها (المسند إليه و المسند) فهى مطلقةٌ و ذلك حين لا يتعلق الغرض بتقييد ها بوجه من الوجوه أو تعلّق غرض بإطلاقه كأن يذهب السامع فيه كلّ مذهب ممكن.

و إذا زيد عليهما شيء مما يتعلّق بهما أو بأحدهما فهى مقيدةٌ و ذلك حيث يراد زيادة الفائدة و تقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الكلام كلمّا كثرت قيوده ازداد إيضاحاً أو تخصيصاً، فإذا تعلّق غرض بالتقييد، تكون فائدته أتم و أكمل و لو حذف القيد حينئذ لكان الكلام كذباً أو غير مقصود، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (الدخان /٣٨) فلو حذف الحال لكان كذباً، بدليل المشاهدة و الواقع. و كقوله تعالى: ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾(النساء/٤٣) إذ لو حذف وَأَنتُمْ سُكَارَى لفات الغرض المقصود و هو النهي عن قرب الصلاة حال كونهم سكارى. و صار المتبادر الى الذهن النهى عن التقرب الى الصلاة بنفسها.

و التقييد يكون بالتوابع، و ضمير الفصل، و النواسخ، و أدوات الشرط، و النفي، و المفاعيل الخمسة، و الحال و التمييز، و في هذا الباب جملة مباحث.

المبحث الأول

في التقييد بالنعت

أما **النعت**، فيؤتى به للمقاصد و الأغراض التي يدل عليها، منها:

١. **تخصيص المنعوت** اذا كان نكرةً ، كقوله تعالى: ﴿إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة /٦٩).

٢. **توضيحه** اذا كان معرفةً كقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر/٥٣).

٣. **الكشف عن حقيقته**، نحو: الجسم الطويل العريض العميق، يشغل حيزاً من الفراغ.

٤. **التأكيد**، نحو: أمسِ الدابرُ كان يوماً عظيماً. و كقوله تعالى: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ﴾ (الحاقه/١٣)

٥. **المدح**، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾(الحشر/٢٣).

٦. **الذم**، كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل /٩٨).

٧. **الترحم**، نحو قول علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: **فإني عبدك المسكين المستكين**.[١]

---

١ . الصحيفة السجادية الدعاء ٢١/ ١٤.

المبحث الثاني

في التقييد بالتوكيد

أما **التوكيد**، فيؤتى به للأغراض التي يدل عليها، و هي:

١. **مجرّد التقرير** و تحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، نحو: جاء الأمير الأمير.

٢. **التقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر**، نحو: جاءني الأمير نفسه، لدفع انّ الجائي رسول الامير لانفسه و اسند مجيئه الى الامير مجازاً لانه ارسله و كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾(الحجر/ ٣٠). لدفع توهم ان المراد بالملائكه اكثرهم لا كلهم.

٣. **صحّة العطف**، كقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[١](البقرة/ ٣٥).

---

١. «أنت» تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه. (عن الكشاف/ الزمخشرى).

المبحث الثالث

في التقييد بعطف البيان

أما **عطف البيان**، فيؤتى به للمقاصد و الأغراض التي يدل عليها وهي:

أ. **مجرّد التوضيح للمتبوع باسم مختصّ به**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(طه /١٢).

ب. **المدح**، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾(المائدة / ٩٧).

فالبيت الحرام، عطف بيان للمدح.

ج. **تخصيصه إن كان نكرة**، كقوله تعالى:﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ (النور/٣٥).

المبحث الرابع

في التقييد بعطف النسق

أما عطف النسق، فيؤتى به للأغراض الآتية:

١. **تفصيل المسندإليه باختصار**،كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ﴾(انعام/٨٤) و نحو: جاء سعد و سعيد، فإنّه أخصر من: جاء سعد، جاء سعيد، و لايعلم منه تفصيل المسند لأن الواو لمطلق الجمع.

٢. **تفصيل المسند مع الاختصار أيضاً**، نحو: جاء نصر فمنصور أو ثمّ منصور، أو قدم الحجيج حتى المشاة، لأن هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند، إلا أن الأول يفيد الترتيب مع التعقيب، و الثاني يفيد الترتيب مع التراخي، و الثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله من الأقوى إلى الأضعف، أو بالعكس، نحو: مات الناس حتى الأنبياء.

٣. **صرف الحكم إلى آخر**، نحو: جاء منصور بل نصر.

٤. **نفي حكم المتبوع عن التابع**، نحو: جاء نصر لا منصور.

٥. **اثبات الحكم المنفي عن المتبوع للتابع**، نحو: ما جاء نصر لكن منصور او ما جاء نصرٌ بل منصور.

٦و٧و٨. **الشك من المتكلم أو التشكيك للسامع، أو الإبهام**: كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(سبأ/ ٢٤).

٩و١٠. **الإباحة أو التخيير**[١]:

مثال الأول: تعلّم نحواً أو صرفاً. أو نحو: تعلّم إمّا صرفاً و إمّا نحواً.

و مثال الثاني: تزوّج هنداً أو أختها. أو نحو: تزوّج إما هنداً و إما أختها.

---

١. الإباحة ترديد الأمر بين شيئين يجوز الجمع بينهما بخلاف التخيير فإنه يتحتّم أحدهما و لا يجوز الجمع بينهما (موسوعة النحو و الصرف و الإعراب).

المبحث الخامس

في التقييد بالبدل

أما **البدل**: فيؤتى به للمقاصد و الأغراض التي يدلّ عليها، منها:

١. زيادة **التقرير** و الإيضاح، نحو: حضر ابني علي، في بدل الكل.

٢. تمكين المعنى فى ذهن السامع بالتفسير بعد الابهام، نحو: سافر الجند أغلبه، في بدل البعض. و نحو: نفعني الأستاذ علمه، في بدل الاشتمال.

٣. **إفادة المبالغة** ، نحو: وجهك بدر شمس، و ذلك في بدل البداء.

المبحث السادس

في التقييد بضمير الفصل

يؤتى **بضمير الفصل** لأغراض منها:

١. **التخصيص**،[1] كقوله تعالى: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾ (المزمّل/٢٠).

٢. **تأكيد الحكم** إذا كان في التركيب مخصص آخر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(التوبة/١١٨).

٣. **تمييز الخبر عن التابع**، نحو: العالم هو العامل بعلمه.

١. أي تخصيص المسند إليه بالمسند بمعنى قصر المسند عليه (المختصر).

المبحث السابع

في التقييد بالنواسخ

التقييد بها يكون للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظ النواسخ، منها:

١. افادة الاستمرار، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(النساء/١٠٠).

٢. إفادة الاقتران بأحد الأزمنة، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ (النمل/٤٨).

٣. التوقيت بزمن معين في «ظل، و بات، و أصبح، و أمسى، و أضحى»: نحو قول النبي صلى الله عليه وآله: إذ أصبحت آمناً في سرْبك معافىً في بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء[1].

٤. إفادة التحول في «صار» و ما في معناه، كقوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ (النحل/٥٨).

٥. التوقيت بحالة معينة في «مادام»، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(مريم/٣١).

٦. إفادة التأكيد في«إنّ و أنّ»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر/٤٤).

٧. إفادة التشبيه في كأنّ، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ (المرسلات/٣٣).

٨. إفادة الاستدراك في «لكنّ» نحو قول محمد بن علي الباقر عليه السلام: إنه ما من سنة أقل مطراً من سنة ولكنّ الله يضعه حيث يشاء[2].

---

١. بحارالأنوار/١٦/١١٨.

٢. بحارالأنوار/٧٠/٣٢٩.

۹. **الرجاء** في «لعلّ» نحو قول جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما السلام: إنه قال: إذا سجد أحدكم فليباشر بكفيه الأرض لعل الله يدفع عنه الغل يوم القيامة.[١]

۱۰. **التمني** في «ليت» نحو قول أميرالمؤمنين عليه السلام في الدعاء: ليت شعري في غفلاتي أمعرض أنت عني أم ناظر إلي و ليت شعري في طول منامي وقلّة شكري في نعمك علي ما حالي.[٢]

۱۱. **المقاربة** في «كاد، و كرب، و أوشك» كقول النبي صلى الله عليه وآله: إني أوشكُ أن أدعى فأجيب و إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي أهل بيتي.[٣]

۱۲. **اليقين** في «وجد، و ألفى، و درى، و علم و رأى» كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾(الممتحنة / ۱۰).

۱۳. **الظن** في «خال، و زعم، و حسب و ما بمعناها» كقول الشاعر:

ما زلت تتبع ما تولي يداً بيدٍ   حتى ظننت حياتي من أياديكا

۱٤. **التحويل** في «اتخذ، و جعل، و صير» كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾(البقرة / ۱۲٦).

---

۱. الفقيه ۱/ ۳۱۲

۲. المستدرك ۵/ ۲۰۹.

۳. بحار الأنوار ۲۳ / ۱۰۸.

المبحث الثامن

في التقييد بالشرط

التقييد به يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط، كالزمان في «متى و أيان»، و المكان في «أين»، و «أنّى»، و «حيثما»، و الحال في «كيفما»، و استيفاء ذلك و تحقيق الفرق بين تلك الأدوات يذكر في علم النحو.

و إنما يفرق هنا بين «إن» و «إذا» و «لو»، لاختصاصها بمزايا تعد من وجوه البلاغة.

❖ **الفرق بين «إن» و «إذا» و «لو»**

الأصل استعمال **«إن»** و **«إذا»** الشرطيتين في المستقبل بخلاف **«لو»** الشرطية فإن الأصل فيها أن تستعمل في المضي.

و الفرق بين «إن» و «إذا» أن الأصل عدم جزم و قطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع «إن»، و من ثَمَّ كثر أن تستعمل «إن» في الأحوال التي يندر وقوعها و كثر أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه.

بخلاف «إذا» فتستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، و من أجل هذا تستعمل «إذا» في الأحوال الكثيرة الوقوع غالباً و يتلوها الماضي كثيراً لدلالته على الوقوع و الحصول قطعاً، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾[١] (الأعراف/١٣١) فلكون مجيء الحسنة منه تعالى محققاً، ذكر هو مع الماضي و «إذا». (و انّما كان ما ذكر محققاً لأن

---

١ . استشهد بالآية الشريفة فى استعمال «إذا» فى الأحوال الكثيرة الوقوع و استعمال «إن» فى النادرة دون استعمالها فى الاستقبال و المثال للقطعية و الاستقبال قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات/٥٣) و المثال للاحتمال و الاستقبال قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد/٧)

المراد بها مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خصب، و رخاء، و كثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية في لفظة الحسنة) و لكون مجيء السيئة نادراً، ذكر هو مع المضارع و «إن». (و إنّما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوع قليل و هو جدب و بلاء كما يفهم من التنكير في سيئة الدال على التقليل).

و« لو»: للشرط في الماضي مع الجزم و القطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء.[١] على أن الجزاء لوقع، لو وجد الشرط. و يجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك. و تسمّى «لو» حرفَ امتناع لامْتناع، و نحو: ﴿وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل/٩) أي: انتفت هدايته إياكم، بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول: اعلم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب، فإذا قلت إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبراً بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال.

و يتفرّع على هذا أنها تُعدّ خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها.

الثاني: ما تقدم من الفرق بين إن و إذا، هو مقتضى الظاهر.

و قد يخرج الكلام على خلافه، فتستعمل إن في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه لأغراض كثيرة، منها:

أ. **التجاهل**، نحو قول المعتذر: إن كنتُ فعلت هذا فعن خطأ.

ب. **تنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل** لمخالفته لمقتضى علمه: كقولك للمتكبّر توبيخاً له: إن كنت من تراب فلا تفتخر.

ج. **تغليب غير القطعي على القطعي**: كما إذا كان السفر قطعي الحصول لسعيد، غير قطعي لخليل، فتقول إن سافرتما كان كذا. و كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا

---

١. في مغني اللبيب أنها تفيد امتناع الشرط خاصة و لا دلالة لها على امتناع الجواب و لا على ثبوته.

نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا﴾ (بقره/٢٣) بناءً على ان الكل لم يُشَكَّ فى ارتيابه بل قطع بارتياب بعضٍ منهم فغلّب من شك فى ارتيابه على من قطع به.

و قد تستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض، منها:

أ. **الإشعار بأن ذلك الشرط لاينبغي أن يكون مشكوكاً فيه**: (بل ينبغي أن يكون مجزوماً به) نحو: إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس.

ب. **تغليب القطعى على غيرالقطعى**، نحو: إذا لم تسافرا كان كذا، و هلم جرّا.

الثالث: لمّا كانت «إن» و «إذا» لتعليق حصول الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب ان يكون شرط و جزاء كل منهما جملة فعلية استقبالية لفظاً و معنىً، كقوله تعالى:

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ﴾(الكهف/ ٢٩) و نحو قول الشاعر:

و النفـــس راغبـــة إذا رغّبتهـــا ... وإذا تُـــردّ إلـــى قليـــل تقنـــع

و لايعدل عن استقبالية الجملة لفظاً و معنى، إلى استقباليتها معنى فقط، إلا لدواع غالباً، منها.[١]

أ. **التفاؤل**، نحو: إن عشت فعلت الخير.

ب. **قوة الأسباب**، نحو: إن اشتريت كان كذا و كذا.

ج. **تنزيل قطعي الوقوع منزلة الواقع**، كقولك: إن متّ كان ميراثى للفقراء.

الرابع: علم مما تقدم من كون «لو» للشرط في الماضي، لزوم كون جملتي شرطها و

---

١. و قد تستعمل «إن» فى غير الاستقبال لفظاً و لامعنىً. و ذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط الماضى حقيقة، كقول أبي العلاء المعري:

فيــا وطنــى إن فاتنـي بــك سابــق ... مــن الدهــر فلينعـم بساكنك البــال

و قد تستعمل «إذا» أيضاً فى الماضى حقيقة، نحو: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ (الكهف/٩٦) و للاستمرار نحو: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا﴾ (البقرة/ ١٤).

جزائها فعليتين ماضويتين و انتفائهما.

و هذا هو مقتضى الظاهر و قد يخرج الكلام على خلافه فتُستعمل لو في المضارع لدواع اقتضاها المقام، منها:

أ. **الإشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يقصد استمراره فيما مضى، وقتاً بعد وقت، و حصوله مرة بعد أخرى**، كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ (الحجرات/ ٧)

ب. **تنزيل المضارع منزلة الماضي**، لصدوره عمن المستقبل عنده كالماضي في تحقق الوقوع، و لا تخلف في أخباره، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (السجدة/ ١٢) و كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[١](الأنعام/٢٧) و كذا لأغراض أخرى يأتي بعضها في الخاتمه.

١ . نزل وقوفهم على النار فى يوم القيامة منزلة الماضى، فاستعمل فيه «إذ» و لفظ الماضى و حينئذ فكان الظاهر أن يقال «و لو رأيت» بلفظ الماضى، لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلاً للمستقبل الصادر عمن لاخلاف فى خبره، منزلة الماضى الذى علم و تحقق معناه، كأنه قيل: قد انقضى هذا الأمر و ما رأيته، و لو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً.

المبحث التاسع

في التقييد بالنفي

التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص، مما تفيده أحرف النفي السبعة، و هي: «لا، و ما، و لات، و إن، و لن، و لم، و لمّا».

فـ«لا» للنفي مطلقاً و «ما» و «إن» لنفي الحال، إن دخلت على المضارع و«لات» لنفي الأحيان و«لن» لنفي الاستقبال و«لم» و« لما» لنفي المضي، إلا أنه بـ«لمّا»ينسحب إلى زمن التكلم، و يختص بالمتوقع و على هذا فلا يقال: لمّا يقم خليلٌ ثم قام، و لا: لمّا يجتمع النقيضان، كما يقال: لم يقم علي ثم قام و لم يجتمع الضدان، فلمّا في النفي تقابل «قد» التقريبية في الإثبات، و حينئذ يكون نفيها متصلاً بالحال.[١]

---

١ . و قريباً من الحال غالباً كما قال إبن هشام فى مغنى اللبيب: و قال ابن مالك: لا يشترط كون منفى لما قريباً من الحال مثل: (و عصى إبليس ربه و لما يندم) بل ذلك غالب انتهى. وفي المثال نظر من وجه آخر.

المبحث العاشر

في التقييد بالمفاعيل الخمسة و نحوها

التقييد بها يكون لتأكيد الفعل أو لبيان نوعه أو عدده أو ما وقع عليه أو فيه أو لأجله أو بمقارنته.

و يقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها. و يقيد بالتمييز لبيان ما خفي من ذات أو نسبة. كقوله تعالى: ﴿رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾(الأعراف/ ١٥٠) و قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(يوسف/٤).

تنبيهان

الأول: تقدم أن كل لفظ يدل على معنى قصد إفهامه خليق طبعاً بالذكر، فإذا أريد إفهام المفاعيل و نحوها لايجوز حذفها إلا مع قيام قرينة تدل عليها و معه قد يترجح ذكرها لأغراض سبقت في ذكر المسندإليه و قد يترجح حذفها لأغراض منها:

١. **طلب الاختصار**، كقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (الفتح/ ١٤) أي: يغفر الذنوب. و نحو: ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس/ ٢٥) أي: عباده. و كقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد/٣٩) أي يثبت ما يشاء و لو ذكر لفات الغرض المقصود و هو الاختصار.

٢. **البيان بعد الإبهام**، كما في حذف مفعول فعل المشيئة و نحوها، إذا وقع ذلك الفعل شرطاً فإن الجواب يدل عليه و يبينه بعد إبهامه، فيكون أوقع في النفس، و يقدر المفعول مصدراً من فعل الجواب، نحو: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن﴾ (الكهف/ ٢٩) أي: فمن شاء الإيمان.

٣. المحافظة على فاصلة أو وزن:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ (الأعلى/ ١٠) إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن على سنن رؤوس الآية السابقة[١].

و الثاني: كقول المتنبّي:

بناهــا فأعلــى و القنــا يقــرع القنــا و مــوج المنايــا حــولها متلاطــم

أي: فأعلاها.

٤. تعين المفعول حقيقة أو ادعاءً، نحو: نحمد و نشكر، أي: الله تعالى لتعين أنه المحمود المشكور و نحو: نحب و نتولى اى علياً عليه السلام.

الثاني: وقد يترك المفعول به وغيره من الفضلات حيث لايتعلق غرض المتكم ببيانه أصلاً.

و الفرق بينه و بين الحذف أن المحذوف ملحوظ و مراد للمتكلم دون المتروك فإنه لايتعلق غرض المتكلم ببيانه أصلاً، نحو كثير من الفضلات في المحاورات و المكاتبات، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة/١٢٧) فإنّه اكتفى فيه ببيان ركني الكلام و المفعول به و ترك فيه المفعول له و المفعول المطلق و المفعول فيه و الحال و غيرها من الفضلات لعدم تعلق غرضه سبحانه و تعالى ببيانها.

و منه تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر/٩).

---

١. ﴿فذكرَ إن نفعت الذكرى سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ (الأعلى/١١-٩).

تمارين

١. عيّن التقييد في الجمل الآتية و اذكر سبب تقييده:

قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (غافر/٧٩).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان/٤٦-٤٣).

قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننتُ أن خيار أُمتي لن يناموا[1].

قال الحسين الشهيد عليه السلام: إعلموا أنّ حوائج النّاس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النّعم، فتتحوّل إلى غيركم[2].

قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

قال الشاعر

لا تيأسن و كن بالصبر معتصماً لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

٢. بيّن الأسباب التي جاءت لأجلها الجمل الآتية مقترنة بـ «إن» و «إذا» و «لو»:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات/٦).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (الأنفال/٣١).

قال علي بن الحسين عليهما السلام زين العابدين: لو يعلم النّاس ما في طلب العلم، لطلبوه و لو بسفك المُهَج و خوض اللُّجَج[3].

---

١. البحار٧٦/٣٣٣.

٢. البحار٧٨/١٢٧.

٣. الكافي١/٤٣.

الباب السادس

في أحوال متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة، منها: المفعول، و الحال، و الظرف، و الجار و المجرور، و أحوالها هي: الذكر و الحذف و التعريف و التنكير و التقديم و التأخير و أغراض الأربعة الأُول هي الأغراض المذكورة في بابي المسند و المسندإليه، و إنما نبحث هنا عن تقديمها على ركني الجملة أو أحدهما.

و الأصل في هذه المتعلقات أن يتأخرن من ركني الجملة.

المبحث الأول

في تقديم المتعلقات على ركني الجملة

تتقدم المتعلقات على ركني الجملة لأغراض، منها:

١. **تخصيصها بالفعل**، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (نحل/١١٤) اى ان كنتم تخصونه بالعباده.

و كقوله تعالى: ﴿إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(الشورى/٥٣).

٢. **مراعاة الفاصلة**، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾(الحاقة /٣١).

٣. **التبرّك**، نحو: القرآن الكريم تلوت.

٤. **التلذذ**، نحو: الحبيب قابلتُ.

و غيرها ممّا تقدّم في تقديم المسندإليه.

المبحث الثاني

في تقديم متعلقات الفعل على الفاعل

تتقدم المتعلقات على الفاعل لأسباب:

١. **دفع التوهم**، كقوله تعالى: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (يس/٢٠) فلو أخر المجرور لتُوُهّم أنه من صلة الفاعل و هو خلاف الواقع، لأنه صلة لفعله.

٢. **رعاية الوزن اوالفاصلة**، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[١] (النجم/٢٣) فلو قدّم الفاعل لاختلفت الفواصل، لأنها مبنية على الألف.

٣. **الأهمية**، نحو: قتل الخارجيّ فلانٌ.

---

١. و كقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ (طه/٦٧)

تنبيهات

الأول: الأصل في العامل أن يتقدم على المعمول و يحفظ هذا الأصل بين الفعل و الفاعل و نائبه دائماً.

الثاني: الأصل في متعلّقات الفعل تقدّم عمدتها على فضلتها و لاتتقدّم الفضلة على العمدة إلاّ لأغراض كما سبق.

الثالث: تقديم بعض الفضلات على بعض لأسباب:[1]

١. **الأصالة في التقدّم معنى**: و ذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير، و إن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة.

٢. **الإخلال في تأخيره**، نحو: مررت راكباً بفلان، فلو أخرتَ الحال لتوهم أنها حال من المجرور و هو خلاف الواقع المقصود، فإنها حال من الفاعل.

الرابع: قال الطّيبى -فى التقديم الواقع بين المعمولات- و ذلك للاهتمام دون التخصيص[2].

---

١ . زاد بعضهم في الأسباب، الأصالة في التقدم لفظاً، نحو: حسبت الهلال طالعاً ولكنه خطأ لأن مفعولى فعل القلب ليسا من الفضلات بل ركنان.

٢ . التبيان، ص ٧١.

تمارين

عيِّن المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل، و اذكر سبب تقدمه:

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات/١٨،١٧).

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾(الروم/٢٦).

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾(البقرة/٧١).

قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نَسِي ذكَره، و إن ذكرأعانه[١].

قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: يجب للمؤمن على المؤمن، أن يستر عليه سبعين كبيرة[٢].

قال الشاعر:

ألقَت مقاليدَها الدنيا إلى رجل ... ما زال وقفاً عليه الجود و الكرم

قال الشاعر:

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... و يأكل المالَ غيرُ مَن جمعه

---

١ . البحار١٦٤/٧٧.

٢ . الكافي٢٠٧/٢.

الباب السابع

في تعريف القصر

القصر لغة: الحبس، قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾(الرحمن/٧٢)

و اصطلاحاً: هو تخصيص شيء بشيء و قصره عليه بطريق مخصوص.

نحو: ما شوقيّ إلاّ شاعر، فمعناه تخصيص الشاعرية بشوقيّ و قصره عليه، و نفي صفة الكتابة عنه ردّاً على من ظنّ أنه شاعر، و كاتب، مثلاً.

و الذي دلّ على هذا التخصيص هو النفي بكلمة «ما» و الاستثناء بكلمة «إلاّ» فما قبل إلاّ (و هو شوقي) يسمّى مقصوراً و ما بعدها (و هو شاعر) يسمّى مقصوراً عليه، و «ما» و «إلاّ» طريق القصر وأداته. ولو قلت شوقي شاعر بدون نفي واستثناء ما فهم هذا التخصيص.

و في هذا الباب أربعة مباحث.

---

١ . المشهورالفصيح في الاستعمال العربى دخول الباء في مادة «خصص» على المقصور والمحصور؛ قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء﴾ (آل عمران/٧٤) ويقال: نخُصُّك بالعبادة أى: نَقصرها عليك ونَحصُرها فيك ولذلك قيل: تخصيص الشاعرية بشوقيّ فالضمير في «قصره» في قوله: تخصيص شيء بشيء و قصره عليه، يعود إلى الشيء الثانى وفي «عليه» إلى الشيء الاول. لكن كثيراما أدخل على المقصورعليه في هذا الكتاب فيما تقدّم وما يأتى تسهيلاً للمبتدئ فإنّه بمذاق الفُرس أنسب وإلى لسانهم أقرب بل قيل: وقع العكس في الاستعمال العربىّ.

المبحث الأول

في طرق القصر

للقصر فى الاصطلاح طرق اربعة و هى:

أولاً: يكون القصر **بالنفي و الاستثناء**، كقوله تعالى: ﴿وَما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾(هود/٨٨)

ثانياً: يكون القصر بـ«**إنما**»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/٢٨) و كقول الشاعر:

إنمـــا يشتـــري المحامـــد حـــر   طـــاب نفســـا لهـــن بالأثمـــان

ثالثاً: يكون القصر **بالعطف** بـ«**لا**» و« **بل**» و« **لكن**»[١]، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، و كقول الشاعر:

عمـــر الفتـــى ذكـــره لا طـــول مدتـــه   و موتـــه خزيـــه لا يومـــه الدانـــي

رابعاً: يكون القصر **بتقديم ما حقه التأخير**، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/٥) أي: نخصك بالعبادة و الاستعانة.

و ممّا تقدم علم أن لكل قصر **طرفين**، المقصور و المقصور عليه، و المقصور عليه:

١. في «النفي و الاستثناء»: هو المذكور بعد أداة الاستثناء، نحو: و ما توفيقي إلّا بالله.

٢. و مع «إنما»: هو المذكور بعدها، و يكون مؤخراً في الجملة وجوباً، نحو: إنما الدنيا غرور.

---

١. للعطف بهذه الحروف شروط ذكر فى النحو و هي:

أولا: يشترط فى العطف بكلّ واحد من « بل» و« لكن» أن تسبق بنفي، أو نهي، و أن يكون المعطوف بهما مفرداً، و ألا تقترن « لكن» بالواو.

ثانياً: يشترط في العطف بـ«لا»، إفراد معطوفها، و أن تسبق بإثبات أو أمر، و ألا يكون ما بعدها داخلاً في عموم ماقبلها، فلا يجوز نحو: جائنى رجل لا زيد. و ألّاتقترن بعاطف.

۳. و مع «لا العاطفة»: هو المذكور قبلها المقابل لما بعدها، نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

٤. و مع « بل و لكن العاطفتين»: هو المذكور بعدهما، نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، و نحو: ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى.

٥. و في «تقديم ما حقه التأخير»: هو المذكور المتقدّم، نحو: على الله توكلنا، و كقول المتنبي:

و مــن البليّــة عــذل مــن لا يرعَــوي عــن غَيّــه و خطــاب مــن لا يفهــم

تنبيهات

الأول: يكون فى القصر بإنما وصف لايوجد فى العطف و النفى و الاستثناء و هو **الاختصار** لأنها تفيد الإثبات للشيء و النفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات، ثم النفي، أو عكسه.

الثاني: التقديم يدلّ على القصر بطريق الذوق السليم و الفكر الصائب، لأنه من تتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقه التأخير يجد بأنهم كثيراً ما يريدون بذلك، التخصيص، بخلاف الثلاث الباقية، فتدلّ على القصر بالوضع اللغوي.

الثالث: تعريف المسند أو المسند إليه بلام الجنس يفيد الحصر نحو: الحكم حكم الله و نحو: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾ (الأنعام/ ١٨) و قد مرّ البحث عنه سابقاً فراجع[1].

الرابع: ان القصر يعتبر ضرباً من ضروب الايجاز لانه فى قوةِ جملتين.

١. التنبيه الثانى، ص ٩٩.

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة و الإضافة

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة و الإضافة إلى قسمين:

أ. **قصر حقيقي**: و هو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة و الواقع، بألّا يتعداه إلى غيره أصلاً، تحقيقاً، نحو: لا إله إلاّ الله، أو ادعاءً نحو: لا زعيم إلا سعد.

ب. **قصر إضافي**: و هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة و النسبة إلى شيء آخر معين، لا إلى جميع ما عداه، نحو: ما المسافر إلا خليل، فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلاً و ليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه إذ الواقع يشهد ببطلانه.

تنبيهات

الأول: الأصل في العطف أن ينص فيه على المثبت و المنفي إلا إذا خيف التطويل، نحو: زيدٌ يجيد السباحة لا غير، أي لا المصارعة، و لا الملاكمة ولا غير ذلك من الرياضات.

و في الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط.

الثاني: النفي بلا العاطفة، لا يجتمع مع النفي و الاستثناء، فلا تقول ما محمد إلا ذكي لا غبي، لأن شرط جواز النفي بلا، ألاّ يكون منفيها منفياً صريحاً قبلها بغيرها.

و يجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من «إنما»، و «التقديم»، فتقول: إنما محمد ذكي لا غبي و بالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.[1]

---

١ . لعدم صراحة النفى فى «إنما»، و «التقديم».

الثالث: الأصل في النفي و الاستثناء أن يجيء لامرٍ يجهله المخاطب و ينكره و قد ياتى لما هو منزل هذه المنزلة لداعٍ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾(فاطر/٢٢-٢٣) فان المخاطب عالم بالحكم و غيرمنكر له لكنه لما كان يحرص و يتهالك على اسلامهم كانّه يعتقد بانّ واجبه الاسماع و الانذار فنزّل منزلة الجاهل بالحكم و المنكر له فاستعمل له النفى و الاستثناء.

الرابع: الأصل في«إنما» أن تجيء لامرٍ من شأنه أن لا يجهله المخاطب و لا ينكره لوضوحه بحيث يزول انكاره بادنى تنبيهٍ و قد تاتى لما هو منزل هذه المنزلة لداعٍ كقوله تعالى حكايةً عن المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(البقرة/ ١١) فكونهم مصلحين غير مفسدين ليس بامرٍ من شأنه ان لا يجهله المخاطب و لا ينكره ولكنهم نزلوه منزلته لا دعائهم انّ هذا امر جليّ لا شك فيه و كقوله تعالى: ﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾(يس/١١) فهذا يكون له تاثير اذا كان مع من يومن بالله و يخشاه و امّا الكافر فالانذار و تركه معه سيان و كقول الشاعر:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

أغراض القصر

الاصل فى اسلوب القصر ان يكون للتخصيص كما سبق. وقد يكون لاغراضٍ اخرى دون التخصيص منها:

١. **تمكين الكلام و تقريره في ذهن السامع**، كقول الشاعر:

و ما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

و نحو:

و ما لامرئ طول الخلود وإنما ... يخلده طول الثناء فيخلد

٢. المبالغة في المعنى إذا كان القصر ادعائياً، كقول الشاعر:

و مـــا المـــرء إلا الأصغـــران لســـانه و معقولـــه و الجســـم خلـــق مصـــور

و كقوله:

لا سيـــف إلا ذوالـــفقار و لا فتـــى إلا علـــي

و ذوالفقار، لقب سيف علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام.

٣. التعريض، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾(الرعد/١٩) إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، و لكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم **القصر** باعتبار طرفيه، المقصور و المقصور عليه، (سواء أ كان القصر حقيقياً أم إضافياً) إلى نوعين:

أ. **قصر صفة على موصوف:** هو أن تحبس الصفة على موصوفها و تختصّ به، فلا يتّصف بها غيره، و قد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات.

مثاله من الحقيقي: لا رازق إلاّ الله. و مثاله من الإضافي: لازعيم إلا سعد.

ب. **قصر موصوف على صفة:** هو أن يحبس الموصوف على الصفة[۱] و يختصّ بها، دون غيرها و قد يشاركه غيره فيها.

مثاله من الإضافي[۲]، قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾ (آل‌عمران/ ۱۴۴).

---

۱. اعلم أن المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية الّتى تدل على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً، فعلاً أو غير فعل، فالمراد بالصفة ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل و نحوه و ليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت.

۲. لا يتأتى قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى، كيف و فى الصفات المنفية عن الموصوف الصفات المتناقضة؟ و لا يمكن نفى الصفتين المتناقضتين عن شيء.

المبحث الرابع

في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم **القصر الإضافي**[١] بنوعيه السابقين على حسب حال المخاطب إلى:

أ. **قصر إفراد:** إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو: إنما الله إله واحدٌ، ردّاً على من اعتقد أنّ الله واحد و ثلاثة مثلاً.

ب. **قصر قلب:** إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تُثبته، نحو: ما سافر إلا علي، ردّاً على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي. فقد قلبت و عكست عليه اعتقاده.

ج. **قصر تعيين:** إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، في خطاب من شكّ و تردّد في أنّ الأرض متحركة أو ثابتة؟

و اعلم أن القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ و الخبر، و بين الفعل و الفاعل أو نائبه أو المفعول أو الحال و غير ذلك من المتعلقات، و لايقع القصر مع المفعول معه و المفعول المطلق التاكيدى.

و أيضاً القصر يحدد المعاني تحديداً كاملاً و يكثر ذلك في المسائل العلمية و ما يماثلها.

---

١ . الصحيح انقسام القصر الحقيقى إلى الأقسام الثلاثة أيضاً. و دعوى اختصاص المقسم بالقصر الإضافى (لأن العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو بجميعها إلاّ واحدة و لا يتردد فى ذلك كما لا يعتقد اتصاف جميع الأمور بصفة أو جميعها إلاّ واحدة بها و لا يتردد فى ذلك)، مدفوعة بأن الرد و إن كان بقضية سالبة كلية ولكن لا يلزم منه كون المردود كلياً لأن نقيض السالبة الكلية، الموجبة الجزئية.

فلو اعتقد أحد أن الإله ثلاثة و قلت له: « لا إله إلاّ الله » فالقصر قصر إفراد و حقيقى، لأنه باعتبار الحقيقة و الواقع حيث أن المناط فى كون القصر حقيقياً، الحقيقة و الواقع أو لحاظ المتكلم, و لا دخل لاعتقاد المخاطب بذلك، و المثال نفسه يكون قصر تعيين إذا خوطب به المتردد فى ذلك.

تمارين

عيّن المقصور، و المقصور عليه،و نوع القصر و طريقته، فيما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل/١٠٥).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (الكهف/١١٠).

قال رسول الله ﷺ: إنّما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق، و من تقدّمها مرق، و من لزمها لحق[١].

قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله و أطاعه، و ما كانوا يعرفون إلاّ بالتّواضع و التّخشّع و أداء الأمانة و كثرة ذكر الله[٢].

لا حول و لا قوة إلاّ بالله.

قال الشاعر:

ليس عارٌ بأن يقال فقيرٌ   إنما العار أن يقال بخيل

قال الشاعر:

إلى الله كلّ الأمر في الخلق كلهم   و ليس إلى المخلوق شيء من الأمر

المرء بآدابه لا بثيابه.

---

١. اثباة الهداة ١/٦٠٩/ الشيخ الحر العاملی.

٢. تحف العقول/٢٩٥.

الباب الثامن

في الوصل و الفصل

❖ تمهيد

العلم بمواقع الجمل، و الوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف بالواو و الاستئناف و التهدي إلى إيقاع العطف بالواو أو تركه في مواقعهما صعب المسلك، لايوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطاً موفوراً من البلاغة، و طبع على إدراك محاسنها، و رزق حظاً من المعرفة في ذوق الكلام، و ذلك لغموض هذا الباب، ودقة مسلكه، و عظيم خطره و كثير فائدته، يدل على هذا، أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد سئل عنها بعض البلغاء، فقال: هي معرفة الفصل و الوصل.

❖ تعريف الوصل و الفصل في حدود البلاغة

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، و **الفصل** ترك هذا العطف و المجيء بهما منثورة، تستأنف واحدة منهما بعد الأخرى، فالجملة الثانية تأتي في الأساليب البليغة مفصولة أحياناً، و موصولة أحياناً.

فمن الفصل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(فصلت / ٣٤) فجملة ادْفَعْ مفصولة عمّا قبلها، و لو قيل: و ادفع بالّتي هي أحسن، لما كان بليغاً لما سياتى.

و من الوصل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة/١١٩) عطف جملة وَكُونُوا على ما قبلها. و لو قيل: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً لما سياتى.

❖ بلاغة الوصل

بلاغة الوصل لا تتحقق إلا **بالواو العاطفة** دون بقية حروف العطف، لأن الواو هي الأداة الّتي تخفى الحاجة إليها، و يحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرّد الربط و تشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: مضى وقت الكسل و جاء زمن العمل، و قم و اسعَ في الخير.

بخلاف العطف بغير الواو فيفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في الفاء و كالترتيب مع التراخي في «ثمّ»، و هكذا باقي حروف العطف الّتي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، و لايقع اشتباه في استعماله.

و شرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع، كالموافقة في نحو: يقرأ و يكتب، و كالمضادة في نحو: يضحك و يبكي، و إنما كانت المضادة في حكم الموافقة، لأن الذهن يتصوّر أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر بالبال عند ذكر الجهل، كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

و الجامع يجب أن يكون باعتبار المسندإليه و المسند جميعاً.

فلايقال: خليل قادم، و البعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسندإليهما، كما لايقال: سعيد عالم، و خليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين، و في هذا الباب مبحثان.

المبحث الأول

في مواضع الوصل

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، و يقع في ثلاثة مواضع:

الأول: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية و الإنشائية لفظاً و معنىً أو معنىً فقط و لم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما و كانت بينهما مناسبة تامة في المعنى.

فمثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[1](الانفطار ١٣-١٤).

ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(الشورى / ١٥). و قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّه وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء/ ٣٦) وصل جملة لاَ تُشْرِكُواْ بجملة اعْبُدُواْ لاتحادهما في الإنشاء، و أن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤديه لخالقه و يخصّه به.

و من هذا النوع قول الشوقي بك:

عالجـوا الحكمـة و استشـفوا بهـا   و انشـدوا مـا حـلّ منهـا فـي السِّير

فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر الحكمة و بواجب الشباب في طلبها، و الانتفاع بها.

و مثال المختلفتين، قوله سبحانه: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللّه وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (هود/٥٤) أي: إني أشهد الله و أشهدكم، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية

---

١ . فى هذا الكلام جملتان خبريتان وصلت الثانية بالأولى لأن بين الجملتين تناسباً فى الفكر، فإذا جرى فى الذهن حال أحد الفريقين تصور حال الفريق الآخر.

لفظاً ولكنها خبرية في المعنى.[١] و نحو: اذهب إلى فلان و تقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً ولكنها إنشائية معنىً، أي: و قل له. فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المعوّل عليه، و لهذا وجب الوصل (و عطف الجملة الثانية على الأولى) لوجود الجامع بينهما، و لم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

الثاني: دفع توهّم غير المراد، و ذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية و الإنشائية، و كان الفصل يوهم خلاف المقصود، كما تقول لمن يسألك: هل بريءَ علي من المرض؟ مجيباً «لا و شفاه الله» فترك الواو يوهم الدعاء عليه و هو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له[٢].

و لهذا وجب أيضاً الوصل و (عطف الجملة الثانية الدعائية الإنشائية على الجملة الأولي الخبرية المصوّرة بلفظ «لا»).

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، و قصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، كقوله تعالى: ﴿اللّه يَقْبِضُ وَيَبْصُط﴾ (بقره/٢٤٥) و نحو: علي يقول و يفعل. و ذلك لان الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد و اذا كانت كذلك كان عطف الثانيه عليها جارياً مجرى عطف المفرد و تكفى فيه المناسبة بين المعطوف و المعطوف عليه.

---

١. و يمكن العكس كما ذكر فى التحرير و التنوير،ج١١، ص٢٨٠.

٢. قد يقال ان الواو اذا جاءت لدفع الوهم فالظاهر انها زائدة و ليست عاطفة بل زيدت لدفع توهم النفى لما بعدها فهى الحقيقة و دخلت زائدةً لتاكيد عودها لما قبلها و ذلك شان الزائد يوتى به للتاكيد و التاكيد اكثر ما ياتى لدفع ايهام غير المراد ... فاذا كان الوصل الصورى بالحرف الزائد يدفع الوهم فاى داعٍ الى ان يوتى بالوصل المعنوى فى غير محله مع الاستغناء عنه.

المبحث الثاني

في مواضع الفصل

أحياناً تتقارب الجمل في معناها تقارباً تاماً، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، و قد تنقطع الصّلة بينهما، إمّا لاختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية و الأخرى خبرية، و إمّا لتباعد معناهما، بحيث لاتكون بين المعنيين مناسبة، و في هذه الأحوال يجب الفصل وهی فی خمسة مواضع:

الموضع الأول: كمال الاتصال و هو اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً و امتزاجاً معنوياً بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها وهي:

أ. كون الجملة الثانية **بمنزلة البدل** من الجملة الأولى، نحو: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ (الشعراء/ ۱۳۳-۱۳۲).

ب. كون الجملة الثانية **بياناً** لإبهام في الجملة الأولى، كقوله سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (طه/۱۲۰)فجملة: قَالَ يَا آدَمُ . . . بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

ج. كون الجملة الثانية **مؤكدة** للجملة الأولى، بما يشبه أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً، كقوله عزوجل: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق/ ۱۷) و كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة/۹-۸) و كقوله تعالى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ (لقمان/۷) لم يعطف الجملة الاخيرة على ما قبلها لان المقصود من التشبيه بمن فی اذنيه وقرٌ هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع

الا ان الثانى ابلغ و آكد فى الذى اريد. فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع من عطف الشيء على نفسه و يوجب الفصل.

الموضع الثاني: كمال الانقطاع و هو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً.

أ. بأن تختلفا خبراً و إنشاءً، لفظاً و معنىً، أو معنىً فقط، نحو: حضر الأمير حفظه الله، و نحو: تكلم إني مُصغٍ إليك، و كقول الشاعر:

و قـــال رائدهـــم أرســـوا نزاولهـــا فحتـــف كلّ امـــرئ يجـــري بمقـــدار

حيث لم يعطف نزاولها على ارسوا لانه خبر لفظاً و معنى و ارسوا انشاءٌ كذلك.

ب. أو بألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى و لا ارتباط، بل كلٌّ منهما مستقلّ بنفسه، كقولك: علي كاتب، الحمام طائر. فإنه لا مناسبة بين كتابة علي و طيران الحمام. فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لايمكن دفعه أصلاً و هو التباين بين الجملتين، و لهذا: وجب الفصل (و ترك العطف) لأن العطف يكون للربط و لا ربط بين الجملتين في شدّة التباعد و كمال الانقطاع.

الموضع الثالث: شبه **كمال الاتصال** و هو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾(يوسف/٥٣) و نحو قول الشاعر:

زعـــم العـــواذل أننـــي فـــي غمـــرة صدقـــوا، ولكـــن غمرتـــي لا تنجلـــي

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا. و نحو:

السـيف أصـدق أنبـاءً مـن الكتـب فـي حـدّه الحـدّ بيـن الجـدّ و اللّعب

فكأنه استفهم و قيل له: لِم كان السيف أصدق؟ فأجاب بقوله: في حدّه الخ، فالمانع

من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين و لهذا وجب أيضاً الفصل.

الموضع الرابع: شبه كمال الانقطاع و هو فيما تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الاولى و لكن فى عطفها على الثانية فساد فى المعنى فيترك العطف بالمرّة دفعا لتوهم انها معطوفة على الثانية نحو:

وتظن سلمىٰ اننى ابغى بها　　　بدلاً اراها فى الضلال تهيم

فجملة(أراها) يصح عطفها على جملة «تظن سلمى» لكن يمنع من هذا توهم العطف على جمله «ابغى بها بدلاً» و فيه فساد فى المعنى لانه يقتضى ان تكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى مع انها ليست منها فوجب ايضا الفصل و المانع من العطف فى هذا الموضع امر خارجى يمكن دفعه بمعونة قرينة بخلاف المانع فى كمال الانقطاع فانه امر ذاتى لايمكن دفعه كما تقدم.

الموضع الخامس: التوسط بين الكمالين مع قيام المانع من العطف و هو كون الجملتين متناسبتين، لكن يمنع من العطف مانع، كتوهم التشريك في الحكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(البقرة/١٥-١٤) فجملة «الله يَسْتَهزِئُ بِهِمْ» لايصح عطفها على جملة «إِنَّا مَعَكُمْ» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، و الحال أنه من مقوله تعالى «جزاءً لهم»[1] و لا على جملة «قالوا» لئلا يتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف، و أنّ استهزاء الله بهم مقيد بحال «خلوهم إلى شياطينهم»، و الواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد

---

١. كقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى/ ٤٠) معنى استهزاء الله تعالى بهم إنزال الهوان و الحقارة بهم، أو إجراء أحكام المسلمين عليهم عاجلاً و قد أعدّ لهم أليم العقاب آجلاً، و سمّى جزاء الاستهزاء باسمه. تفسير جوامع الجامع١/ ٢٢.

بحال من الأحوال و لهذا وجب أيضاً الفصل.

هذا، فكل من الفصل و الوصل يجيء لأسباب بلاغية.

و يظهر مما ذكرنا أن الوصل جمع و ربط بين الجملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة و المعنى مع تغايرهما معنى أو لدفع اللبس أو لقصد التشريك في الإعراب. و الفصل ترك الربط بين الجملتين إما لأنهما متحدتان صورة و معنىً أو بمنزلة المتحدتين و إما لأنهما مختلفتان و لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى و إما لوجود مانع من العطف.

تنبيهان

الأول: لما كانت الحال تجيء، جملة، و قد تقترن بالواو، و قد لاتقترن فأشبهت الوصل و الفصل، و يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، نحو: جاء فؤاد و الشمس طالعة.

و يجب فصلها في ثلاثة مواضع:

١. إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية، نحو: ما تكلم فؤاد إلا قال خيراً، و كقول الشاعر:

كـن للخليـل نصيـراً جـار أو عـدلا ... ولا تشـحّ عليـه جـاد أو بخـلا

٢. إذا كان فعلها مضارعاً مثبتاً أو منفياً بما، أو لا[١]، كقوله تعالى: ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ﴾ (يوسف/١٦) و كقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ﴾(المائدة/٨٤) و نحو قول الشاعر:

عهدتـك مـا تصبـو وفيـك شـبيبة ... فمـا لـك بعـد الشيـب صبـاً متيمـاً

---

١. هذا قول البلاغيين أمّا النحويون فيقيّدون المضارع المثبت بالخلوّ من «قد» و يؤيّده قوله تعالى: «لم تؤذوننى و قد تعلمون أنى رسول الله» و البلاغيون يقدرون المبتدأ فى هذه الآية، أى: و أنتم قد تعلمون، تخلّصاً من دخول الواو على المضارع المثبت.

٣. إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: ﴿فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ (الأعراف/٤) و كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١](البقرة/٢).

الثاني: علم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية و الإنشائية، و لابد مع اتفاقهما من جهة بها تتجاذبان، و أمر جامع به تتآخذان، و ذلك الجامع: إما عقلي، أو وهمي، أو خَيالي.

فالجامع العقلي: أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الشيئين في القوة المفكرة كالتماثل، نحو: زيد شاعر و عمرو كاتب، ففي هذا المثال لا يحسن العطف إلا إذا كان بينهما مناسبة كصداقة أو أخوة أو نحو ذلك.

و **الجامع الوهمي**: أمر بسببه يقتضي الوهم اجتماع الشيئين في المفكرة كالتقارب بين البياض و الصفرة فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد، بخلاف العقل فإنه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد، هو اللون.

و **الجامع الخيالي**: أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الشيئين في المفكرة، بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف، لتلازمهما في صناعة خاصة أو عرف عام كالقلم والدواة و القرطاس في خيال الكاتب و كالسيف و الرمح و الدرع في خيال المحارب، و هلُم جراً.

و من موارد الوصل لهذا الجامع الخيالي أي: التقارن قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ

---

١ . هذا بناء على كون «ذلك» مبتدا و «الكتاب» خبره و كون «ال» الداخلة عليه للكمال و جملة «لاريب فيه» مستأنفة مؤكدة لمضمون الجملة. و فى الآية الكريمة أعاريب أخرى لاتكون عليها مستشهداً بها.

كَيۡفَ نُصِبَتۡ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾(الغاشية/٢٠-١٧).

فإن قيل: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء و الجبال و الأرض و لا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم و بواديهم، فانتظمها بالذكر على حسب ما انتظمها نظرهم.

و تخصيص الإبل بالذكر من جهة أن السورة مكية و أول من تتلى عليهم العرب و اتخاذ الآبال من أركان عيشتهم. فالإبل أموالهم و رواحلهم و منها عيشهم و لباسهم و نسج بيوتهم و هي حمالة أثقالهم و قد خلقها الله خلقاً عجيباً. و نقل بهم إلى التدبر في عظيم خلق السماء إذ هم ينظرونها نهارهم و ليلهم في إقامتهم و ظعنهم و أتبع ذكر السماء بذكر الجبال و كانت منازل للكثير منهم، ثم نزل بأنظارهم إلى الأرض و هي تحت أقدامهم و هي مَرعاهم و مُفترَشهم.

تمارين

عيّن أسباب الوصل والفصل في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور/۳۰).

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة/ ۸۲).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم/ ۵-۳).

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: شيعتنا من قدّم ما استحسن، وأمسك ما استقبح، وأظهر الجميل، وسارع بالأمر الجليل، رغبة إلي رحمة الجليل، فذاك منا وإلينا ومعنا حيثما كنا.[1]

قال الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم و حزن طويل

قال الشاعر:

و إنما المرء بأصغريه ... كل امرىء رهن بما لديه

لا تطلبن بآلة لك حاجة ... قلم البليغ بغير حظ مغزل

۱۰. قال الشاعر:

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الكريم يرى في ماله سبلاً

۱. بحار الأنوار ۶۵/۱۶۹.

الباب التاسع

في الإيجاز و الإطناب و المساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني و يخطر ببالك معنى منها فلا يعدو التعبير عنه طريقاً من طرق ثلاث:

أولاً: إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو **المساواة**. و هي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته، و الدُستور الذي يقاس عليه.

ثانياً: إذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو **الإطناب** فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي **حشو** أو **تطويل**.

ثالثاً: إذا نقص التعبير عن قدر المعنى مع وفائه بالغرض فذلك هو **الإيجاز**.

فكل ما يخطر ببال المتكلم من المعاني فله التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث. فتارة يوجز و تارة يسهب و تارة يأتي بالعبارة بين بين. و لا يعدّ الكلام في صورة من هذه الصور بليغاً، إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال الخطاب، و تدعو إليه مواطن الخطاب.

فإذا كان المقام للإطناب مثلاً و عدلت عنه إلى الإيجاز، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً.

و في هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

في الإيجاز و أقسامه

الإيجاز: كون اللفظ اقل من المعنى مع الوفاء به كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف/ ١٩٩) فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، و كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف/٥٤) فإذا لم تف العبارة بالغرض سمي إخلالاً و حذفاً رديئاً.

و ينقسم الإيجاز إلى قسمين:

الأول: إيجاز من غير حذف و يسمى إيجاز القصر و إيجاز البلاغة، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة /١٧٩) فإن الآية على اختصارها و إيجازها من أبلغ آيات القرآن فهي جامعة بين قوة الاستدلال و جمال المعنى و لطفه و سلاسة لفظها و صفاء تركيبها، و رقة الدلالة و ظهور المدلول.

و قد كان للبلغاء قبلها كلمات في القتل و القصاص تُعجبهم بلاغتها و جزالة أسلوبها و نظمها،[1] كقولهم: القتل أنفى للقتل غير أن الآية أنست الجميع و نفت الكل، فإنها:

أ. أقل حروفاً و أسهل في التلفظ.

ب. فيها تعريف القصاص و تنكير الحياة ليدل على أن النتيجة أوسع من القصاص و أعظم و هي مشتملة على بيان النتيجة و على بيان حقيقة المصلحة و هي الحياة.

ج. إن القصاص هو المؤدي إلى الحياة دون القتل فإن من القتل ما يقع عدواناً و لا يؤدي إلى حياة.

---

١ . قولهم: قتلُ البعض إحياء للجميع و قولهم: أكثروا القتل ليقلّ القتل، و أعجب من الجميع عندهم قولهم: القتل أنفى للقتل، و أنت ترى ما فيه بعد قياسه إلى الآية الكريمة.

د. هي مشتملة على أشياء أخرَ غيرِ القتل يؤدي إلى الحياة أيضاً فهو نصٌ فى المقصود بخلاف القتل فى قولهم و هي أقسام القصاص في غير القتل.

هـ. هي مشتملة على معنى زائد آخر، و هو معنى المتابعة التي تدل عليها كلمة القصاص دون القتل.

و. هي مستغنية عن التقدير بخلاف قولهم فان تقديره القتل انفى للقتل من تركه او من كل زاجرٍ.

ز. هي مشتملة على صنعة المطابقة و هى الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة كالقصاص و الحياة بخلاف قولهم

و ربما ذكر، بعضهم وجوهاً أخرى يعثر عليها المراجع غير أن الآية كلما زدت فيه تدبراً زادتك في تجلياتها بجمالها و غلبتك ببهور نورها، و كلمة الله هي العليا.[1]

و من امثله هذا الضرب قول سيد البلغاء على عليه السلام «تخفَفوا تلحقوا»[2] الذى قال عنه الشريف الرضى: «ما سمع كلام اقل منه مسموعاً و لا اكثر منه محصولاً و ما ابعد غورها من كلمة و انقع نطفتها من حكمة». و مراده عليه السلام من هذه الكلمة الوجيزة ان من يريد اللحاق باصحاب الاعمال الصالحة، عليه ان يخفّف من اثقال الشهوات و تحصيل اللذات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار.

و هذا القسم مطمح نظر البلغاء، و به تتفاوت أقدارهم، حتى أن بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي إيجاز القصر.

---

۱ . الميزان ۱/ ۴۳۴.

۲ . نهج البلاغه/خطبه/ ۲۱.

الثاني: إيجاز يسمى **إيجاز الحذف**، و ذلك بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما[1] يدل على المحذوف، من قرينة لفظية، أو معنوية. و ذلك المحذوف إما:

١. **حرف**، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّه تَفْتَؤُا تَذْكُرُ﴾(يوسف/٨٥) اى لا تفتأ.

٢. **اسم مضاف**، كقوله تعالى: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢٢) أي و جاء امرُ ربّك.

٣. **اسم مضاف إليه**، كقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾(الأعراف /١٤٢)أي: بعشر ليال.

٤. **اسم موصوف**، كقوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾(الفرقان /٧١) أي: عملاً صالحاً.

٥. **اسم صفة**، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾(كهف/٧٩) أي كل سفينةٍ صحيحةٍ

٦. **شرط**، كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(آل عمران /٣١)أي: إن تتبعوني.

٧. **جواب شرط**، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾(الأنعام /٢٧)أي: لرأيت أمراً فظيعاً.

٨. **مسند**، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله﴾ (لقمان /٢٥) أي: خلقهن الله.

---

١. لا بد عند الحذف مما يدل على الحذف و المحذوف و الدليل على الحذف إما قرينة عقلية أو لفظية و الدليل على تعيين المحذوف إما العقل، نحو: ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾ (الفجر/٢٢) أى: أمره أو عذابه و إما المقصود الأظهر، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ (المائدة/ ٣) أى: أكلها و إما العادة، نحو: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾(يوسف/٣٢) أى: فى مراودته لقوله تعالى: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ (يوسف/٣٠) فيتعين المراودة لا الحب المدلول عليه بقوله تعالى:﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (يوسف/٣٠) و لا الشأن الشامل لهما لأن الحب المفرط لايُلام صاحبه عليه فى العادة لقهره إياه فلا يقدر فى حبه و لا يقدر شأنه لكونه شاملاً له. و إما الشروع فيه نحو قول الخطيب: بسم الله الرحمن الرحيم. أى: أتكلم. و إما مقارنة الكلام للفعل، نحو قول مريد الأكل: بسم الله الرحمن الرحيم أى: آكل و نحو: «بالرفاء و البنين» لمن تزوج أى: أعرست ملتبساً بالألفة و البنين فإن مقارنة هذا الكلام للأعراس يدل على المحذوف.

۹. **مسند إليه**، كقوله تعالى: ﴿لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لله﴾ (الأنعام /۱۲) أي: هو لله.

۱۰. **متعلّق**، كقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(الأنبياء /۲۳) أي: عما يفعلون.

۱۱. **جملة**، كقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال/ ۸) قال بعضٌ التقدير: فَعَل ما فعل ليحق الحق .....

۱۲. **جمل**، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾(يوسف /٤٥،٤٦) أي: فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرّؤيا، فأرسلوه فأتاه، و قال له: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ.

و اعلم أن **دواعي الإيجاز** كثيرة، منها: تسهيل الحفظ و تقريب الفهم، و ضيق المقام، و إخفاء الأمر على غير من أريد إفهامه، و الضجر و السآمة و يستحسن الإيجاز في الاستعطاف، و شكوى الحال، و الاعتذارات، و التعزية، و العتاب، و الوعد، و الوعيد، و التوبيخ، و رسائل طلب الخراج، و جباية الأموال، و رسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة، و الأوامر و النواهي الملكية و الشكر على النعم. و مرجعك في إدراك أسرار بلاغة الإيجاز إلى الذوق الأدبي، و الإحساس الروحي.

المبحث الثاني

في الإطناب و أقسامه[1]

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة بحيث يكون العبارة زائدة عن متعارف أوساط الناس، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾(مريم/٤) أي: شختُ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة تسمى تطويلاً إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينه و حشواً إن كانت متعينه.

فالتطويل، كقول عدي العبادي في جذيمة الأبرش:

و قـــددت الأديـــم لـراهشيـــه ... و ألفـــى قولهـــا كذبـــاً و مينـــاً

فالمين و الكذب بمعنى واحد و لم يتعين الزائد منهما لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيباً و لا معية، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

و **الحشو**، كقول زهير بن أبي سلمى:

و أعلـم علـم اليـوم و الأمـس قبلـه ... و لكننـي عـن علـم مـا فـي غـدٍ عـمِ

و كل من الحشو و التطويل معيب في البيان، و كلا هما بمعزل عن مراتب البلاغة.

و اعلم أن دواعي الإطناب كثيرة، منها تثبيت المعنى، و توضيح المراد، و التوكيد، و دفع الإيهام، و إثارة الحمية و غير ذلك.

أنواع الإطناب كثيرة منها:

١. **ذكر الخاص بعد العام**، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة/٢٣٨) و فائدته التنبيه على خصوصية في الخاص حتى كأنه جزء آخر، مغاير لما قبله، و لهذا خصّت الصلاة الوسطى (و هي الظهر) بالذكر.

---

١. أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط الناس.

۲. ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(نوح/۲۸) و فائدته شمول بقية الأفراد و الاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام بعد ذكره أولاً في عنوان خاص. و قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي﴾ (انعام/١٦٢).

٣. الإيضاح بعد الإبهام: لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام و الإجمال، و مرة على سبيل التفصيل و الإيضاح، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾(الصف /۱۱-۱۰).

و كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾(الحجر/٦٦).

فقوله تبارك و تعالى: أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ ...تفسير و توضيح لذلك الأمر المبهم و فائدته توجيه الذهن إلى معرفته، و تفخيم شأن المبين، و تمكينه في النفس فأبهم في كلمة الأمر ثم وضحه بعد ذلك تهويلاً لأمر العذاب.

٤. التوشيع: و هو لغة: لَفّ القطن المندوف و اصطلاحاً: أن يؤتى في الكلام بمثنى مفسر بمفردين[1] ليرى المعنى في صورتين، تخرج فيهما من الخفاء إلى الظهور، نحو قول رسول الله ﷺ: العلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.[2] و قول على عليه السلام الناس اثنان: واحد أراح و آخر استراح.[3]

---

١. أو جمع مفسر بمفردات، كقول النبى ﷺ: ثلاثة معصوم من إبليس و جنوده: الذاكرون الله و الباكون من خشية الله و المستغفرون بالأسحار. (بحارالأنوار ۹۳/ ٢٨٤)

٢. بحار الأنوار١/ ٢٢٠.

٣. خصال/ب٢/ح٢١.

٥. **التكرير:** و هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض منها:

أ. **التأكيد و تقرير المعنى في النفس**، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(التكاثر/٣،٤) و كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الإنشراح/٦،٥)[١] و كقوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٢](القيامة/٣٥،٣٤)

ب. **دفع طول الفصل بين شيء و ما يتعلق به كالعامل بالنسبة الى معموله** فانّ الاوّل يتكرر عند ذكر الثانى لئلا يكون الثاني مبتوراً عن الاوّل ليس له طلاوة، كقوله تعالي حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف /٤) فكرر رأيت لطول الفصل، و من هذا قول الشاعر:

و إن امــــرأ دامــت مواثيــق عهـــده ... علــى مثـل هـــذا إنـــه لكريـــمُ

ج. **قصد الاستيعاب**، نحو: قرأت الكتاب باباً باباً و فهمته كلمة كلمة.

د. **زيادة الترغيب في أمر مطلوب**،كالعفو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(التغابن /١٤).

ه. **زيادة الترغيب في قبول النصح**: باستمالة المخاطب لقبول الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِيَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ

---

١ . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًاقال العلامة رحمه الله فى الميزان: تكرار للتأكيد و التثبيت، و قيل: استئناف و ذكروا أن فى الآيتين دلالة على أن مع العسر الواحد يسران بناء على أن المعرفة إذا أعيدت ثانية فى الكلام كان المراد بها عين الأولى بخلاف النكرة كما أنه لو قيل: إذا اكتسبت الدرهم أو درهماً فأنفق الدرهم كان المراد بالثاني هو الأول بخلاف ما لو قيل: إذا اكتسبت درهمًا فأنفق درهماً و ليست القاعدة بمطردة.

٢ . قال العلامة رحمه الله فى الميزان، قوله تعالى: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى لاريب أنه كلمة تهديد كرّرت لتأكيد التهديد. انتهى و لفظة «الأولى» فى الآية الشريفة بمعنى الأحق والأجدر أو بمعنى قرب أو الويل المنقلبة أو وليك المكروه. و على الأول بحذف المبتدأ و هو إمّا الشرّ و إما العقاب أو الذمّ أو ما أنت عليه من الحال.

و فى مجمع البيان: جاءت الرواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد أبى جهل ثمّ قال له: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى، فقال أبو جهل: بأىّ شيء تهددنى لا تستطيع أنت و لا ربك أن تفعلا بى شيئاً و إنّى لأعز أهل هذا الوادى، فأنزل الله سبحانه كماقال له رسول الله صلى الله عليه وآله و المعنى وليك المكروه يا أباجهل و قرب منك.

﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر/٣٩-٣٨) ففي تكرير يا قوم زيادة تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

و. **قصد التعظيم و التهويل**: كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ *مَا الْحَاقَّةُ﴾(حاقه/١و٢).

ز. **التلذذ بذكره**: نحو قول مروان بن أبي حفصة:

سقى الله نجدًا و السلام على نجد ... و يا حبذا نجد على القرب و البعد

٦. **الاعتراض** لغرض يقصده المتكلم و هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى، بجملة معترضة، أو أكثر. و ذلك لأغراض يرمي إليها البليغ غيردفع الإيهام منها:

أ. **الدعاء**، نحو: إني حفظك الله مريض. و كقول عوف بن محلم الشيباني:

إن الثمانين و بلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[1]

ب. **التنبيه على أمر**، كقول آخر:

و اعلم فعلم المرء ينفعه ... أن سوف يأتي كل ما قدرا

ج. **التنزيه**، كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾(النحل/٥٧).

د. **زيادة التأكيد**، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(لقمان/١٤).

هـ. **الاستعطاف**، كقول الشاعر:

و خفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتي لرأيت فيه جهنّما

و. **التهويل**، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(الواقعة/٧٦).

---

١. بلغتها بفتح التاء أى بلغك الله إياها و ترجمان كزعفران، و يجوز ضم التاء مع الجيم و ضم الجيم و فتح التاء و اعلم أنه قد يقع الاعتراض فى الاعتراض كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾(الواقعة ٧٨-٧٥).

٧. الإيغال، و هو لغة: سرعة السير و يستعمل في المبالغة في شيء، يقال: فلان يوغل في نظره و قرائته أي يبالغ فيهما، و اصطلاحاً: ختم الكلام بما يفيد نكتة: يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الخنساء:

وإن صخـــراً لتأتـــم الهـــداة بـــه　　　كأنـــه علـــم فـــي رأســـه نـــار

فقولها:كأنه علم واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها: في رأسه نار، لزيادة المبالغة.

٨. التذييل: و هو لغة: جعل شيء ذيلاً لشيء آخر و اصطلاحاً: تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها[١] اوْ لهما.

فالاوّل كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(الإسراء/٨١).

و الثانى نحو قول الذبيانى:

ولســتَ بمسُــتَبْقٍ اخــاً لا تلمُّــهُ　　　علــى شــعثٍ اىّ الرجــال المُهــذّب

و الثالث كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾(سبأ/١٧).

و **التذييل**، قسمان:

أ: **ما يجري مجرى الأمثال**، لاستقلال معناه، و استغنائه عما قبله، كقول طرفة:

كل خليـــل كنـــت خـــاللته　　　لا تـــرك اللـــه لـــه واضحـــة
كلهـــم أروغ مـــن ثعلـــب　　　مـــا أشبـــه الليلـــة بـــالبارحة

ب: **ما لا يجري مجرى الأمثال**، لعدم استغنائه عما قبله، و عدم استقلاله بإفادة المعنى المراد، كقول النابغة:

لــم يبــق جــودك لــي شــيئاً أؤملــه　　　تركتنــي أصحــب الدنيــا بــلا أمــل

---

١. التأكيد ضربان: تأكيد المنطوق كما فى هاتين الآيتن، و تأكيد المفهوم، كقول الشاعر:

و لست بمستبق أخاً لا تلمّه　　　على شعث أى الرجال المهذب؟

فقد دل بمفهومه على نفى الكمال من الرجال، فأكده بقوله:«أى الرجال المهذب» و المراد بالمنطوق هنا المعنى الذى نطق بمادته والمراد بالمفهوم المعنى الذى لم ينطق بمادته وليس المراد بهما هنا ما اصطلح عليه الأصوليون.

فالشطر الثاني مؤكد للأول، و ليس مستقلاً عنه، فلم يجر مجرى المثل.

۹. **الاحتراس**: و يقال له التكميل و هو لغة: التحفظ و التوقّى، و اصطلاحاً: أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يحفظ المراد و يدفع ذلك الوهم، فالاحتراس يوجد حيثما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لؤم، فيفطن لذلك و يأتي بما يخلصه، سواء أوقع الاحتراس في اثناء الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(الإنسان /۸)[۱] أي: مع حب الطعام و اشتهائهم له و ذلك أبلغ في الكرم، فلفظ عَلَى حُبِّهِ فضلة للاحتراس و لزيادة التحسين في المعنى.

فقال العلامة الطباطبايى ﷺ فى الميزان: ضمير على حبه للطعام على ما هو الظاهر منه و المراد بحبّه توقان النفس اليه لشدة الحاجة و قيل: الضمير لله سبحانه اى يطعمون الطعام حباً لله لا طمعاً فى الثواب، و يدفعه ان قوله تعالى حكاية منهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ (انسان/۹) يغنى عنه.[۲]

---

۱ . قد روى الخاص و العام أن الآيات من هذه السورة و هى قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾ (الإنسان/۲۲-۵)نزلت فى على و فاطمة والحسن و الحسين ﷺ و جارية لهم تسمّى فضة و هو المروى عن ابن عباس و مجاهد و أبى صالح و القصة طويلة، جملتها أنهم قالوا: مرض الحسن و الحسين ﷺ فعادهما جدهما ﷺ و وجوه العرب و قالوا: يا أباالحسن لو نذرت على ولديك نذراً، فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفا هما الله سبحانه و نذرت فاطمة ﷺ كذلك و كذلك فضة فبرءا و ليس عندهم شيء فاستقرض على ﷺ ثلاثة أصوع من شعير من يهودى وروى أنه أخذها ليغزل له صوفاً و جاء به على ﷺ فاطمة ﷺ فطحنت صاعاً منها فاختبزته و صلّى على ﷺ المغرب و قربته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم و سألهم فأعطوه و لم يذوقوا إلاّ الماء فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته و اختبزته و قدمته إلى على ﷺ فإذاً يتيم فى الباب يستطعم فأعطوه و لم يذوقوا إلاّ الماء فلمّا كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقى فطحنته و اختبزته و قدمته إلى على ﷺ فإذاً أسير بالباب يستطعم فأعطوه و لم يذوقوا إلاّ الماء فلمّا كان اليوم الرابع و قد قضوا نذورهم أتى على ﷺ و معه الحسن و الحسين ﷺ إلى النبى ﷺ و بهما ضعف فبكى رسول الله ﷺ و نزل جبرائيل ﷺ بسورة هل أتى. (مجمع البيان فى تفسير القرآن۱۰/ ۶۱۲)

۲ . تفسير الميزان/ المجلد العشرون/ص ۱۲۶.

و كقول طرفة بن العبد:

فسقــى ديــارك غيــر مفســدها   صــوب الربيــع و ديمــة تهمــي

فقوله: غيرمفسدها، للاحتراس.

امْ وقع الاحتراس في آخره، كقول أعرابية لرجل: أذل الله كل عدو لك إلا نفسك.

١٠. **التتميم**: و هو زيادة فضلة، كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جار و مجرور، توجد في المعنى حسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً، كقول ابن المعتز، يصف فرساً:

صَبَبْنــا عليهــا ظالميــن ســياطنا   فطــارت بهــا ايــدٍ ســراعٌ و ارجُــلُ

إذ لو حذف ظالمين لكان الكلام مبتذلاً لا رقّة فيه و لا طلاوة و يوهم انّها بليدة تستحقّ الضرب.

و يستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، و المدح، و الثناء و الذم، و الهجاء و الوعظ، و الإرشاد، و الخطابة في أمر من الأمور العامة، و التهنئة و منشورات الحكومة إلى الأمة، و كتب الولاة إلى الملوك، لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

و اعلم أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، و حجته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، و أفضل الكلام أبينه، و أبينه أشده إحاطة بالمعاني و لا يحاط بالمعاني إحاطة تامة، إلا بالإطناب.

و المختار أن الحاجة إلى كل من الإطناب، و الإيجاز، ماسة، و كل موضع لا يسد أحدهما مكان الآخر. و للذوق السليم القول الفصل في مواطن كل منهما.

المبحث الثالث

في المساواة

المساواة: هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له[١]، بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض.

و لسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة، فإنها هي الأصل المقيس عليه، و الدستور الذي يعتمد عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ﴾(البقرة/١١٠). و كقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور/٢١) وكقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ (الروم/ ٤٤) و كقوله تعالى: ﴿هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران/١٣٨) فان اللفظ على قدر المعنى لاينقص عنه و لايزيد عليه.

هذه أمثلة للمساواة، لا يستغني الكلام فيها عن لفظ منه، ولو حذف منه شيء لأخل بمعناه.

---

١ . المساواة هى ما ساوى لفظه معناه بحيث لايزيد أحدهما على الآخر، و هى نوعان: **الأول**: مساواة مع الاختصار، و هى أن يتحرى البليغ فى تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف، الكثيرة المعانى، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن/٦٠) وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾(فاطر/٤٣)

والثاني: مساواة بدون اختصار«و يسمى متعارف الأوساط» و هو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار، كقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن/٧٢).

و الوجهان فى المركز الأسمى من البلاغة غير أن الأول أدخل فيها و أدل عليها.

تمارين

بيِّن الإيجاز، و الإطناب و المساواة، و أقسام كل منها فيما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(البقرة /١٦٤).

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(الفجر/ ٤).

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ (الأنبياء/٩٤)

قال علي أمير المؤمنين عليه‌السلام: إنّ الله أخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرنّ شيئاً من معصيته فربّما وافق سخطه و أنت لا تعلم.[١]

قال جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام: من موجبات المغفرة إطعام السّغبان.[٢]

قال النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: عوّدوا ألسنتكم الاستغفار فإنّ الله تعالى لم يعلّمكم الاستغفار إلاّ و هو يريد أن يغفرلكم[٣].

قال الشاعر:

مـــا أحســـن الأيـــام إلا أنهـــا ... يـا صاحبـي إذا مضت لـم ترجـع

ولســـت بمســـتبق أخـــاً لا تلمـــه ... علـى شـعث أي الرجـال المهـذب؟

---

١ . بحارالأنوار٧٠ / ٣٤٩.

٢ . بحارالأنوار٧١ / ٣٦١.

٣ . بحارالانوار٩٠/ ٢٨٣.

خاتمة

علمت أن البلاغة هى مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، و رأيت في ما تقدم من الأحكام، أن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر.

و هذا بالطبع هو الأصل، و لكن قد يعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه مما تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم. و قد تقدم كثير من ذلك العدول المسمى بإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في الأبواب السابقة نحو:

أ. **وضع المضمر موضع المظهر**، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص /۱).

ب. **وضع المظهر موضع المضمر**، نحو: خير الناس من انتفع به الناس.[1]

ج. **تنزيل كل من خالي الذهن و المتردد و المنكر منزلة صاحبه.**

د. **تنزيل العالم منزلة الجاهل** و مثله «تجاهل العارف» بأن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلاً به و ذلك لأغراض سبقت في مبحث خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي و سيأتي في علم البديع.

و بقي من هذا القبيل أنواع أخرى كثيرة:

الأول: الالتفات: و هوالانتقال من كل من التكلم أو الخطاب، أو الغيبة إلى صاحبه، المشروط بكون الثانى على خلاف مقتضى ظاهر الحال[2] لمقتضيات و مناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، تفنناً في الحديث، و تلويناً للخطاب حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة، و تنشيطاً و حملاً على زيادة الإصغاء، فإن لكل جديد لذة و لبعض مواقعه لطائف، ملاك إدراكها الذوق السليم.

و اعلم أن صور العدول في الالتفات ستّ.

---

۱. بحارالأنوار ۷۲/ ۲۳.

۲. المطول/ ص۱۳۱.

١. **العدول من التكلم إلى الخطاب**، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس /٢٢) بناءاً على انها تعريض بالمخاطبين و المراد بالتعبير التكلمى و الخطاب معنىً واحد و هو المتكلم بحسب الظاهر و النكتة الخاصة فيه الاشارة الى انّ المقصود بالتوبيخ هم المخاطبون.

٢. **العدول من التكلّم إلى الغيبة**، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ﴾ (الزمر/٥٣).

و النكتة الخاصة فيه: أنه تعالى لم يقل: رحمتي، بل قال «رحمة الله» للإشارة إلى أنه الله الذي له الأسماء الحسنى و منها أنه غفور رحيم، كأنه يقول لا تقنطوا من رحمتي فإني أنا الله أغفر الذنوب جميعاً[١].

٣. **العدول من الخطاب إلى التكلّم**، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود/ ٩٠).

و الاصل ان يقال «إن ربكم رحيم ودود» لانّه المناسب لقوله تعالى «اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ» ولكن عدل عن الخطاب الى التكلم للإشارة إلى أن الله سبحانه و تعالى ربّهم و ربُّهُ لأنه في مقام الامتنان فعلى هذا لابدّ ان يكون المراد بضمير المتكلم المخاطبين.

٤. **العدول من الخطاب إلى الغيبة**، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران /٩).

وتوضيح ذلك: حيث أن هذا الميعاد لا يختص بهم بل يعمهم و غيرهم فكان الأولى العدول، إلى لفظة الجلالة لأن حكم الألوهية عام شامل لكل شيء.[٢]

---

١. الميزان ٢٨٠/١٧.

٢. الميزان ٣١/٣.

٥. العدول من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان /٤٨).

و **توضيح الالتفات من الغيبة إلى التكلم**: هو أن التكلم أليق بمقام الامتنان لان المتكلم هو الذى يمتَنُّ للآخر اى يذكر و يعدّ له ما فعل له من الخير.[1]

٦. العدول من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾ (مريم/٨٨و٨٩) و قوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (حمد/٤و٥) ليشير انّ الخلق قاصرون عن مخاطبتِهِ فاذا عرفوه بما هو له و تعبدوا و اقروا بالحمد له و ... تاهلّو حينئذ لمخاطبته و مناجاته فيقولون اياك ....

الثاني: القلب: و هو جعل كل من الجزأين في الكلام مكان صاحبه لنكتة، كالمبالغة في قول رؤبة بن العجاج:

و مهمة مغبرة أرجاؤه   كأن لون أرضه سماؤه

أي: كأن لون سماءه لغبرتها لون أرضه، و قلب مبالغة في وصف لون السماء بالغبرة، حتى صار بحيث يشبه به لون الأرض.

و نحو: أدخلت الخاتم في إصبعي، و القياس: أدخلت إصبعي في الخاتم و عرضت الناقة على الحوض، و القياس عرضت الحوض على الناقة.[2]

---

١. التحريروالتنوير١٩/٦٩.

٢. يستدل عليه بالتأمل فى المعنى فنحو: عرضت الناقة على الحوض. و أدخلت الخاتم فى أصبعى، و أصله أدخلت أصبعى فى الخاتم «لأن الظرف هو الخاتم» و عرضت الحوض على الناقة لأن العرض يكون على ماله «إدراك» و النكتة أن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه و تحريك المظروف نحو الظرف و لما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار، و إنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفًا و يشترط فى صحّته ان يكون كل من معنيى الجزئين يحكم الاخر «حقيقياً» كما فى مثال الناقة او ادعاءاً كما فى التشبيه المقلوب.

الثالث: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، و التعبير عن الماضى بالمضارع.

فمن أغراض التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

أ. التنبيه على تحقق وقوعه: كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل/١) أي: يأتي.

ب. التنبيه على قرب الوقوع، نحو: قدقامت الصلاة، أي: قرب القيام لها.

ج. التفاؤل، نحو: إن شفاك الله تذهب معي.

د. التعريض، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(الزمر/٦٥)ففيه تعريض للمشركين بأنهم قد حبطت أعمالهم.

و من أغراض التعبير عن الماضي بلفظ المضارع:

أ. **حكاية الحالة الماضية** لاستحضار الصورة الغريبة في الخيال، كقوله تعالى:﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر/٩) بدل فأثارت.

ب. **إفادة الاستمرار فيما مضى**، كقوله تعالى: ﴿لَوْيُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍمِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ (الحجرات/٧).

الرابع: التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات/٦). أوبلفظ اسم المفعول، كقوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾(هود/١٠٣) و ذلك لأن الوصفين المذكورين حقيقة في الحال، مجاز فيما سواه[١].

الخامس: ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه و ذلك:

١. **كتغليب المذكر على المؤنث** في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم/١٢). و قياسه القانتات. و نحو: الأبوين: للأب والأم، والقمرين: للشمس و القمر.

٢. و**كتغليب الأخفّ على غيره**، نحو: الحسنين، في الحسن و الحسين.

---

١. الصحيح ما التزم به الأصوليون من أن المشتق حقيقة فى المتلبس بالمبدأ حال تلبسه و مجاز فى ما سواه.

٣. و **كتغليب الأكثر على الأقل**، كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾(الأعراف /٨٨) أدخل (شعيب) في العود إلى ملّتهم، مع أنه لم يكن فيها قطّ، ثم خرج منها حتى يعود تغليباً للأكثر.

٤. و **كتغليب العاقل على غيره**، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١](الفاتحة/٢).

و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

تم علم المعاني و يليه علم البيان، و الله المستعان.

---

١ . هذا بناءً على أن العالمين جمع للعالم و إنما جمع بالواو و النون مع اختصاص هذا الجمع بصفات العقلاء أو ما في حكمها من أعلامهم، تغليبًا. هذا، أما بناءً على أن العالمين بمعنى العقلاء أو بمعنى العالم فلا يكون جمعًا بل ملحقاً به. قال رحمه الله في الميزان: العالمين جمع العالم بفتح اللام بمعنى ما يعلم به كالقالَب و الخاتَم و الطابَع بمعنى ما يقلب به و ما يختم به و ما يطبع به، يطلق على جميع الموجودات و على كل نوع مؤلف الأفراد و الأجزاء منها كعالم الجماد و عالم النبات وعالم الحيوان و عالم الإنسان وعلى صنف مجتمع أفراد أيضاً كعالم العرب و عالم العجم. انتهى.

«٢»

علم البيان

١. في التشبيه

٢. في المجاز

٣. في الكناية

❖ مقدمة

أ. البيان لغة: الكشف، و الإيضاح.

واصطلاحاً: أصولٌ و قواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية[1] على نفس ذلك المعنى.

فالمعنى الواحد يستطاع أداؤه بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه فإنك ترى علياً أمير المؤمنين عليه السلام يزهّد في الدنيا بأساليب مختلفة و إليك بعضها:

فإنه عليه السلام يقول: إن من هَوان الدنيا على الله أن لا يعصى إلاّ فيها و لا ينال ما عنده إلاّ بتركها.

أو يقول عليه السلام: إن دنياكم هذه لأهوَن في عيني من عُراق خنزيرفي يد مجزوم.

أو يقول عليه السلام: إن الدنيا كالحَية لين مسّها قاتل سمّها فأعرض عما يعجبك فيها.

أو يقول عليه السلام: إن الدنيا كالغول تُغوي من أطاعها و تُهلك من أجابها.

أو يقول عليه السلام: إن الدنيا دار أولها عَناءٌ و آخرها فَناءٌ في حلالها حساب و في حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن و من افتقرفيها حزن.

أو يقول عليه السلام: إن الدنيا ظِلّ الغمام و حُلم المنام و الفرح الموصول بالغمّ و العسل المشوب بالسمّ.

أو يقول عليه السلام: إن الدنيا تُعطي و ترتجع و تنقاد و تمتنع و توهش و تؤنس، و تُطمع و تُؤيس، و يعرض عنها السعداء و يرغب فيها الأ شقياء.[2]

---

۱ . قيل: الدلالة العقلية هنا هي الدلالة التضمنية المنطقية و التزاميتها.

و قيّدوها بالعقلية لأن الدلالة المطابقية تابعة لعلم المخاطب و لا تتفاوت الدلالات المطابقية وضوحاً، فإن المخاطب بقولك: عندي عسجد، إن علم أن العسجد معناه الذهب فلا تفاوت عنده بين هذا القول و بين قولك: عندى ذهب، فى وضوح الدلالة، و فيه أن الدلالة المطابقية و إن لا تتفاوت بعضها مع بعض في وضوح الدلالة و لكنها أوضح من الدلالة التضمينة والالتزامية.

۲ . كما فى بيان معنى كرم سعد، فتارة يدل عليه بطريق التشبيه بأن يقال: سعد كحاتم و مرّة بطريق المجاز

فى الروايتين الأوليين بيان صريح و دلالة مطابقية، و الأربع الوُسَط بطرق مختلفة من التشبيه، و الأخيرة بالاستعارة.

ب. موضوع هذا العلم: الألفاظ العربية، من حيث التشبيه، و المجاز و الكناية.

ج. واضعه: أبو عبيدة الذي دوّن مسائل هذا العلم في كتابه المسمى «مجاز القرآن» و تبعه الجاحظ، و ابن المعتز، و قُدامة، و أبو هلال العسكري و مازال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى عبد القاهر فأحكم أساسه، و شيّد بناءه، و رتَّب قواعده.

د. ثمرته: الوقوف على إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجنّ و الإنسُ في مُحاكاته و عجزوا عن الإتيان بمثله، و معرفةُ أسراره و أسرار كلام النبي صلى الله عليه وآله و الائمة الاطهار عليهم السلام و كلام العرب منثوره و منظومه و معرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة.

بأن يقال: رأيت بحراً فى دار سعد و أخرى بطريق الكناية بأن يقال: زيد كثير الرماد و لا يخفى أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعض كما ستعرفه.

الباب الأول

في التشبيه

❖ تمهيد

من طرق البيان و أساليبه أنه إذا أريد إثبات صفة لموصوف مع التوضيح أو وجه من المبالغة يعتمد إلى موصوف آخر بها تكون هذه الصفة واضحة فيه و يعقد بينهما مماثلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في الاتصاف بها.

و للتشبيه روعة و جمال و موقع حسن في البلاغة لجهات شتّى، منها إخراجه الخفي إلى الجلي و إدنائه البعيد من القريب، و إنه يزيد المعاني رفعة و وضوحاً و يكسبها جمالاً و فضلاً.

و هو فن ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.

❖ تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة

التشبيه لغة: الدلالة على مشارَكة شىء لشىءٍ فى معنًى.

و اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين لبيان اشتراكهما في صفة أوأكثر بأداة، لغرضٍ يقصده المتكلم.

و أركان التشبيه أربعة:

١. المشبَّه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.

٢. المشبَّه به: هو الأمر الذي يراد الحاق المشبه، به.

و هذان الركنان يسميان طرفي التشبيه.

٣. وجه الشبه: هو الوصف الذي قصد بيان اشتراك الطرفين فيه.

٤. أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، و يربط المشبّه بالمشبّه به.

ففي قول رسول الله ﷺ: **إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبتَه نفعك و إن شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النحلة كل شأنها منافع.**

فالمشبه هو مثل المؤمن و المشبه به هو مثل النحلة و الأداة هي الكاف و الوجه هو كون كل الشأن منافع[1].

---

١ . بحارالانوار/ج٦١/ص٢٣٨ .

المبحث الأول

في تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه ثلاثة انقسامات:

الأول: في تقسيم طرفي التشبيه إلي حسي و عقلي

طرفا التشبيه (المشبه، و المشبه به) على أقسام:

۱. **حسيَّان**[1] أي: مدركان هما او مادتهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، نحو: أنت كالشمس في الضياء وكما في تشبيه النجوم بالدرر.

۲. **عقليان** أي: مدركان بالعقل، نحو: العلم كالحياة و نحو: الضلال عن الحق كالعَمى، و نحو: الجهل كالموت.

۳. **مختلفان** و هو قسمان:

أ. **المشبه حسي**، و **المشبه به عقلي**،نحو: طبيب السوء كالموت.

ب. **المشبه عقلي**، و **المشبه به حسي**،نحو: العلم كالنور.

و اعلم ان كلاً من المشبه و المشبه به امّا حسى او خَيالى او عقلى او وهمى او وجدانى و المراد بالحسّى (فى التقسيم) الحسى و الخَيالى و المراد بالعقلى ما عدا الحسى أى

---

۱. اعلم أن من الحسى، التشبيه الخَيالى و هو ما لا تدركه الحواس الخمس و لكن تدرك مادته فقط و ركّبته المتخيلة من أمور كلها موجودة، و كل و احد منها يدرك بالحس، كقوله:

و كأن محمـــرّ الشقـ ـيق إذا تصـوّب أو تصعـد
أعــلام ياقـــوت نشـــر ن علــى رمـاح من زبرجـد

فإن الأعلام و الياقوت و الزبرجد و الرماح موجودة، لكن المشبه، و هو المركب الذى مادته هذه ليس موجوداً. و لا يخفى الفرق بينه و بين الوهمى الذى هو من العقلى، لأنه لا وجود له مركباً فى الخارج و لا وجود لبعض أجزائه أوكلها فى الخارج أيضاً.

العقلى و الوهمى و الوجدانى، فيشمل المدرك ذهناً: كالرأي و الخلق، و الحظ، و الأمل، و العلم، و الذكاء، و الشَّجاعة، و يشمل أيضاً الوهمي، و هو ما لا وجود له، و لا لأجزائه كلها، أو بعضها في الخارج، و لو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس كقول الشاعر:

أيقتلنـــي و المشـــرفي مضاجعـــي و مســـنونة زرق كأنيـــاب أغـــوال

فإن أنياب الأغوال لا وجود لها و كذا لا وجود للغول.

و يشمل الوجداني: و هو ما يدرك بالقوى الباطنة، كالغم، و الفرح، و الشبع، و الجوع، و العطش، و الري.

و الحسيان: إما يشتركان في الحاسّة لهما، كما في تشبيه ثوب أبيض بالثلج، و الفواكه بالعسل، و الماء البارد بالثلج، و الريحانة بالعنبر، و كما في قولك: سجع سجع القمري و أنّ أنين الثكلى، و كقول الشاعر:

كأن أصـواتَ - مـن إيغالهـن بنـا - أواخـرِ الميـس إنقـاض الفراريـج

و كقول الراوى: بات الحسين عليه السلام و أصحابه تلك الليلة و لهم دويٌّ كدويّ النّحل.[1]

أو يختلفان في الحاسّة، كما في تشبيه الصوت الحسن بالعنبر و كقولك:كلامه كالدرّ حسناً و ألفاظه كالعسل حلاوة.

و إذا كان الطرفان حسيين فوجه الشبه إما حسي أو عقلي أو مختلف.

الثاني: في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار الإفراد، و التركيب

طرفا التشبيه (المشبه و المشبه به) على أقسام:

١. **مفردان مطلقان:** نحو: ضوءه كالشمس. أو **مقيدان:** كقول الصادق عليه السلام: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لايزيده سرعة السير الا بعدا.[2] أو **مختلفان**، كقول

---

١. اللهوف (الملهوف) على قتلى الطفوف، ص ٩٤.

٢. الكافى، ١ /٤٣.

على اميرالمؤمنين عليه السلام اهل الدنيا كركب يسار بهم و هم نيام.[1] و كقوله ايضاً: الحاسدُ المبطن للحسد كالنحل يمجّ الدواء و يبطن الداء.[2]

۲. **مركبان**[3]:و هو قسمان:

أ: **مركبان تركيباً لايصحّ إفراد أجزائهما**: بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين أو من أشياء تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، و لايصحّ انتزاع الوجهِ من بعضها دون بعض، كقوله:

كأن سهيلاً و النجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

و لا يصح أن يقال: كأن سهيلاً إمام كما لا يصح أن يقال: كأن النجوم صفوف صلاة.

ب: **مركبان تركيباً يصحّ إفراد أجزائهما** و لكن إذا أفردت زال المقصود من التشبيه كما ترى في قول الشاعر الآتي حيث شبَّه النجوم اللامعة في كبد السماء، بدرر مُنتثرة على بساط أزرق:

و كأنّ أجرامَ النجوم لوامعاً دُررٌ نُثرنَ على بساط أزرق

إذ لو قيل: كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً لكنه قد زال منه المقصود من التشبيه.

---

۱. نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح، ح۶۲.

۲. شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد، ج۲۰، ص۲۹۰.

۳. لا يخفى عليك الفرق بين المفرد المقيد و المركب، فتارة يجعل أحد طرفى التشبيه مفرداً لكن لا مطلقاً بل مقيداً بقيد، نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم فإن المشبه به هو اللؤلؤ مقيداً بكونه منظوماً و تارة يجعل مركباً بأن تؤخذ الهيئة الحاصلة من أمرين أو أمور متلاصقة و تجعل المشبه أو المشبه به، هذا فى مقام صوغ التشبيه و أما فى مقام فهم مراد المتكلم: فإن دلت قرينه على كونه مقيداً أو مركباً يحمل عليه كما فى قوله:

كأن سهيلاً و النجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

فإن الشاعر جعل اسم كأن سهيلاً و خبرها صفوف صلاة و لا يصح جعلهما اسماً و خبراً لها إلا فى تشبيه مركب بمركب، و إلا فهو تابع لغرض المتكلم و مجمل في البيان.

٣. **و إما مفرد بمركب**: كقول الشاعر:

و كأن محمـــرّ الشقـ ـيق إذا تصـوّب أو تصعـد
أعــلام ياقـــوت نشـــر ن علـى رمـاح من زبرجـد

٤. **و إما مركب بمفرد**: كقول الشاعر:

يـــا صاحبـــي تقصيـــا نظريكمـــا تريـــا وجـــوه الارض كيـــف تصـــور
تريـــا نهـــاراً مشمســـاً قـــد شـــابه زهـــر الربـــا فكانمـــا هـــو مقمـــر

شبه النهار المشمس الذى اختلط به ازهار الربوات باخضرارها من ضوء الشمس حتى صارت تُضرب الى السواد بالليل المقمر.

الثالث: في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار تعدّدهما أو تعدد أحدهما

ينقسم التشبيه باعتبار تعدّد طرفيه (المشبه و المشبه به) أو تعدّد أحدهما، إلى أربعة أقسام: ملفوف، و مفروق، و تسوية، و جمع.

١. **التشبيه الملفوف**: هو جمع كل طرف منهما مع مثله، اى جمع المشبه مع المشبه، و المشبه به مع المشبه به بحيث يُؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف أو غيره، ثم يؤتى بالمشبه بها كذلك، كقوله:

كأن قلـــوب الطيـــر رطبـــاً و يابســـاً لـدى وكرهـا العنـاب و الحشـف البالـي

٢. **التشبيه المفروق**: هو جمع كل مشبه مع ما شُبّه به، كقوله:

إنمـــا النفـــس كالزجاجـــة و العـ ـــلم ســـراج و حكمـــة الله زيـــت
فـــإذا أشـــرقت فإنـــك حـــي و إذا أظلمـــت فإنـــك ميْـــت

و كقول الآخر:

مـــا الدهـــر إلا الربيـــع المســـتنير إذا أتـــى الربيـــع أتـــاك النَّـــور و النُّـــور
فـــالأرض ياقوتـــة و الجـــو لؤلـــؤة و النبـــت فيـــروزج و المـــاء بَلُّـــور

٣. تشبيه التسوية: هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به، كقوله:

العمـــرو الإنســـان و الدنيـــا هـــم　　　كالظـــل فـــي الإقبـــال و الإدبـــار

و كقول جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام حاكياً عن الله تعالى في ما ناجى به النبي موسى عليه‌السلام بعد ما سأله موسى عليه‌السلام أن يجعله من أمة محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله: إن مثله و مثل أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان لا ييبس ورقها و لا يتغير طعمها الخ.[1]

و سُمِّي بذلك: للتسوية فيه بين المشبهات.

٤. تشبيه الجمع: هو أن يتعدَّد المشبه به، دون المشبه: كقوله:

كـــم نعمـــة مـــرت بنـــا و كأنهـــا　　　فـــرس يهـــرولِ أو نســـيم ســـارِ

و كقوله:

أنــت كالليــث فــي الشــجاعة و الإقــ　　　ــدام و السـيف فـي قـراع الخطـوب[2]

و سُمي بتشبيه الجمع للجمع فيه بين المشبه بهما أو المشبه بها.

---

١. بعده «فمن عرفهم و عرف حقهم جعلت له عند الجهل علماً و عند الظلمة نوراً أجيبه قبل أن يدعونى و أعطيه قبل أن يسألنى». بحار الأنوار/١٣/ ٣٣٨.

٢. قراع الخطوب: مصارعة الشدائد و التغلب عليها.

المبحث الثاني

في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

وجه الشبه: هو الوصف[١] الذي يقصد بيان اشتراك الطرفين فيه كالكرم في قولك: خليل كحاتم، و كميل الطبع في قولك: له سيرة كالمسك، و أخلاقه كالعنبر.

و اشتراك الطرفين قد يكون ادعائياً بتنزيل التضاد منزلة التناسب و إبراز الخسيس في صورة الشريف تهكماً أو تمليحاً و يظهر ذلك من المقام كتشبيه البخيل بحاتم.

و ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه ثلاثة انقسامات:

أولاً إلى:

أ: **تشبيه تمثيل**: وهو ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، حسياً كان أو غير حسي، كقوله:

وما المرء إلا كالهلال و ضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجهُ الشبه هيئة انتزعها الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالاً، فيصير بدراً، ثم ينقص، حتى يدركه المحاق، و من أحوال الإنسان المتعددة.

ب: **تشبيه غير تمثيل**: و هو ما لم يكن وجه الشبه فيه كذلك، نحو: وجهه كالبدر.

---

١ . إما «حقيقه» كالبأس في قولك: «زيد كالأسد» و إما «تخييلاً» كما في قوله:

يا من له شعر كحظي أسود ... جسمي نحيل من فراقك أصفر

فان وجه الشبه فيه المشترك بين الشعر و الحظ هو السواد. و هما يشتركان فيه، لكنه يوجد في المشبه تحقيقاً، و لا يوجد في المشبه بها إلا على سبيل التخييل، ثم اعلم أن وجه الشبه، إما داخل في حقيقة الطرفين و ذلك في تشبيه ثوب بآخر، في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك: هذا القميص مثل ذاك في كونهما كتاناً أو قطناً، و إما خارج عن حقيقتهما و هو ما كان صفة لهما «حقيقية» أو «إضافية» و هي ما ليست هيئة متقررة في الذات، بل هي معنى متعلقاً بها كالجلاء في تشبيه البينة بالصبح.

تنبيه

لتشبيه التمثيل موقعان:

١. **أن يكون إيراد المعنى به**: فيكون التشبيه موضحاً للمعنى المراد و هو كثير جداً في القرآن، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾(البقرة /٢٦١). و كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة/٥)و كقول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مرآة تبر بدت في كفِّ مرتعش

فمثّل الشمس حين تطلع حمراءَ لامعة مضطربة، بمرآة من ذهب تضطرب في كف ترتعش.

٢. **ما يجيء بعد إيراد المعاني**: لإيضاحها وتقريرها، فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى، نحو قول المتنبي:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

❖ تأثير تشبيه التمثيل في النفس:

إذا وقع التمثيل في صدر القول: بعث المعنى إلى النفس بوضوح و جلاء، يقنع السامع.

و إذا أتى بعد استيفاء المعاني فهو:

أ. **إما دليل على إمكانها**: إذا كانت غير ثابتة، نحو قول الشاعر:

فإن تفُق الأنام و أنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

ب . **و إما تأييد للمعنى الثابت**: كقوله:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

و علة هذا أن النفس تأنس إذا أخرجتها من خفي إلى جلي، و مما تجهله إلى ما هي عالمة به.

و لذا تجد النفس من الأريحية ما لا تقدر قدره، إذا سمعت قول أبي تمام:

و طول مقام المرء في الحي مُخلق   لديباجتيه فاغترب تتجدد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة   إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

و ثانياً إلى:

أ: **مفصّل**: و هو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: طبعُ فريد كالنسيم رقَّة، و يده كالبحر جوداً، و كلامه كالدُّر حسناً، و ألفاظه كالعسل حلاوة.[١] و كقول الشاعر:

أنا كالماء إن رضيتُ صفاءً   وإذا ما سخطت كنتُ لهيباً

ب: **مُجمل**: و هو ما لا يذكر فيه وجه الشبه، و لا ما يستلزمه، نحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام، فوجه الشبه هو كون استعمالهما مصلحاً و اهمالهما مفسدا و كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾(رحمن/٢٤)

و كقول الشاعر:

انما الدنيا فناء   ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت   نسجته العنكبوت

و اعلم أن وجه الشبه المجمل إما أن يكون خفياً و إما أن يكون ظاهراً و منه ما وصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يُشعر بوجه الشبه و منه ما ليس كذلك.

---

١ . ليس الوجه فيه الحلاوةَ بل لازمها و هو ميل الطبع لأنه هو المشترك بين العسل و الكلام، الذى أريد بيانه لا الحلاوة التى هى من خواصّ المطعومات. (المختصر)

و يحتمل أن يكون الوجه هو الحلاوة و لكن وجودها فى المشبه به على وجه التخييل و هذا هوالأقرب. (الدسوقى).

و ثالثاً إلى:

أ: قريب مبتذل: و هو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدة نظر و تأمل، لظهور وجهه بادئ الرأي.

و ذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه:كتشبيه الخدّ بالورد في الحُمرة، أو لكون وجهه قليل التفصيل،كتشبيه الوجه بالبدر في الإشراق و الاستدارة، أو العين بالنرجس.

ب: بعيد غريب: و هو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر و تدقيق نظر، لخفاء وجهه بادئ الرأي، كقوله: و الشمس كالمرآة في كفّ الأشل.

فإن الوجه فيه: هو الهَيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، و الحركة السريعة المتصلة مع تموّج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض.

و قد يتصرف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة، بشرط[1] كقوله:

عزماتُه مثل النجوم ثواقباً ... لو لم يكن للثّاقبات أفول

فإن تشبيه العزمات بالنجوم مبتذل و لكن ذكر الشرط و هو قوله: لو لم يكن للثاقبات أفول، أخرجه إلى الغرابة.

أو بغيره كقول المتنبى:

لم تلق هذا الوجه شمسُ نهارنا ... إلاّ بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل، و لكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

و قيل قد يخرج التشبيه من الابتذال إلى الغرابة، بالجمع بين عدة تشبيهات، كقول الشاعر:

أنت كالليث في الشجاعة و الإقـ ... ـدام و السيف في قراع الخطوب

---

١. يسمى هذا، التشبيهَ المشروط سواءٌ كان المشروط هو المشبه أو المشبه به أو كليهما و سواء كان المشروط به أمراً وجودياً أو عدمياً و سواء كان التقييد بصريح اللفظ أو بسياق الكلام. (المطول)

أدوات التشبيه

أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدلّ على المماثلة، كالكاف، وكأنّ، و مثل، و شبه، و غيرها، و كيحكي، و يُضاهي، و يضارع، و يماثل، و يساوي، و يشابه، و كذا أسماء فاعلها.

فأدوات التشبيه بعضها اسم، و بعضها فعل، و بعضها حرف.

و هي إما ملفوظة، و إما ملحوظة، نحو جمالٌ كالبدر، و أخلاقه في الرقة كالنسيم و نحو: اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه.

و الأصل في الكاف، و مثل، و شبه، و ما يرادفها من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به لفظاً[1] أو تقديراً، كقوله تعالى:﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة/٢٣-٢٢). و كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (الرحمن/٢٤) وكقول الشاعر:

و الوجـــه مثـــل الصبـــح مبيـــض ... و الفـــرع مثـــل الليـــل مســـودّ
ضـــدّان لمـــا استجمعـــا حســـنا ... و الضـــدّ يُبـــدي حســـنَه الضِّـــد

و نحو: ... أمّا لحم الخنزير فإن الله تبارك و تعالى مسخ قوماً في صور شتّىٰ شبه الخنزير و الدب و القِرْد.[2]

و الأصل في كأنّ، و شابه، و ماثل، و ما يُرادفها، أن يليها المُشبه، كقوله:

---

١. و قد يليها غير المشبه به إذا كان المشبه به مركباً، فيليها بعض المركب، كقوله تعالى:﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ (الكهف /٤٥) فإن المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من حال الدنيا في حسن نضارتها و بهجة رُوائها فى المبدأ و ذهاب حسنها و تلاشى رونقها شيئاً فشيئاً فى الغاية، بالهيئة الحاصلة من حال النبات الذى يحسن من الماء فتزهو خضرته ثم ييبس شيئاً فشيئاً، ثم يتحطم فتطيره الرياح، فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، بجامع الهيئة الحاصلة فى كل من حسن و إعجاب و منفعة، يعقبها التلف و العدم.

٢. محاسن البرقى/ ج٢/ ص ٣٣٤.

كأن الثريا راحة تشبر الدجى لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

و «كأن» تفيد التشبيه: إذا كان خبرها جامداً،[۱] نحو: كأن البحر مرآة صافية.

و قد تفيد الشك(اى عدم العلم): إذا كان خبرها مشتقاً، نحو: كأنّك فاهم و كقوله:

كأنّك من كل النفوس مركّب فأنت إلى كل النفوس حبيب

و قد يغني عن أداة التشبيه فعل ينبئُ عن حال التشبيه من القرب و البعد، و لا يعتبر أداة. فإن كان الفعل لليقين أفاد قرب المشابهة، و شدة المبالغة، لِما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد و تحققه، وهذا يُفيد التشبيه مبالغة، نحو: رأيت الدنيا سراباً غراراً.

و إن كان الفعل للشك كان مبالغته أقل من فعل اليقين: لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقق، و هذا يفيد ضعف المبالغة، كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (الإنسان/۱۹).

وكقوله:

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سحباً مزردة على أقمار

---

۱. ما ذكر من تقييد إفادة «كأن» للتشبيه، بكون خبرها جامداً، موافق لجماعة، منهم إبن السيد البطليوسی، فإذا كان خبرها اسماً مشتقاً أو فعلاً أو ظرفاً أو جاراً و مجروراً فإنها تفيد الظن. و لكن الجمهور أطلقوا إفادتها إياه.

تمارين

بيِّن أركان التشبيه و أقسام كل منها فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن/٣٧).

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (إبراهيم/١٨).

قال النبي ﷺ: مثل العقل في القلب كمثل السّراج في وسط البيت.[١]

قال النبي ﷺ: إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر و البحر فإذا طمست أوشك أن تضلّ الهداة.[٢]

قال الشاعر:

من يصنع الخير مع من ليس يعرفه ... كواقد الشمع في بيت لعميان

قال الشاعر:

كأن الثريا في أواخر ليلها ... تفتح نور أو لجام مُفَضَّض

قالت أعرابية تصف بنيها: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

---

١ . بحار الأنوار١/ ٩٩.

٢ . بحار الأنوار٢/ ٢٥.

المبحث الثالث

في تقسيم التشبيه باعتبار أداته

❖ **ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى:**

١. **التشبيه المرسل:** و هو ما ذكرت فيه الأداة، كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ (العنكبوت/ ٤١)

٢. **التشبيه المؤكد:** و هو ما حُذفت منه أداته، نحو: يسجع سجع القمري، وكقول الشاعر:

و أنت نجم في رفعة و ضياء   تجتليك العيون شرقاً و غرباً

و من المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر:

و الريح تعبث بالغصون و قد جرى   ذهب الأصيل على لجين الماء

أي على ماء كاللجين.

و المؤكد أوجز، و أبلغ، و أشدّ وقعاً في النفس، أما أنه أوجز فلحذف أداته، و أما أنه أبلغ فلإيهامه أنّ المشبه عين المشبه به.

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار أداته و وجهه

❖ **ينقسم التشبيه باعتبار وجهه و أداته إلى:**

أ: **التشبيه البليغ**: و هو ما حذفت فيه أداة التشبيه و وجه الشبه، نحو:

فاقضوا مآربكم عجالاً إنّما ... أعماركم سفرٌ من الأسفار

و نحو:

عزماتهم قضبٌ و فيض أكفّهم ... سُحُبٌ و بيضُ وجوههم أقمار

و سبب هذه التسمية: أن ذكر الطّرفين فقط، يوهم اتحادهما، و عدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، و هذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

ب: **التشبيه غيرَ البليغ**: و هو ما ذُكر فيه أداة التشبيه أو وجه الشبه أو كلاهما، نحو قول على عليه السلام صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِه[1]، و قوله صلى الله عليه وآله فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل الْمُظْلِم فعليكم بالقرآن[2]. و نحو: كلامه كالدر حسناً.

---

١ . نهج البلاغه/ حكمه ٢٦٣.

٢ . الكافى، ٢ / ٥٩٩.

❖ فی فوائدِ التشبیه و اغراضه

فائدة التشبيه تعود إلى المشبه غالباً و هي كثيرةٌ:

١. **بيان حاله:** و ذلك حينما يكون المشبه مبهماً غير معروف الصفة التي يُراد إثباتها له قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف، و يُوضّحه المشبه به، نحو شجر النارنج كشجر البرتقال، و كقوله تعالى: ﴿وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (قارعه/٥) بالنسبة الى من كانت صفة الجبال عند الهول مبهمةً عندهُ.

٢. **بيانُ إمكان حاله:** و ذلك حين يُسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له معروفٍ واضح مُسَلّم به، ليثبت في ذهن السامع و يتقرّر، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾ (آل عمران/٥٩).

و كقول الشاعر:

علا فما يستقر المال في يده ... و كيف تُمسك ماءَ قنة الجبل

و كقول الشاعر:

فإن تفق الأنام و أنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

٣. **بيان مقدار حال المشبه في القوّة و الضّعف:** و ذلك إذا كان المشبه معلوماً معروف الصفة التي يُراد إثباتها له معرفة إجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة و ذلك بأن يعمد المتكلم لأن يُبين للسامع ما يعنيه من المقدار، كقول المتنبي في وصف الأسد:

ما قوبلت عيناه إلا ظُنتا ... تحت الدجى نارَ الفريق حلولاً[1]

شبه عيني الأسد المحمرّتين المُشرِقتين تحتَ الدجى بنار متوقدّة مشتعلة، بياناً لشدة احمرارهما و إشراقهما.

---

١. حلولاً أي: مقيمين و هو حال من الفريق.

وكتشبيه الماء بالثلج، في البرودة، وكقوله:

فيهـــا اثنتـــان و أربعـــون حلُوبـــة   ســـوداً كخافيـــة الغـــراب الأســـحم

شبه النياق السود، بخافية الغراب، بياناً لمقدار سوادها، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين.

٤. **تقرير حال المشبه**: و تمكينه في ذهن السامع، بإبرازها فيما هي فيه أظهر، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت و الإيضاح فتأتي بمشبه به حسي قريب التصور، يزيد معنى المشبه إيضاحاً، لما في المشبه به من قوة الظهور و التمام، نحو: هل دولة الحسن إلا كدولة الزَهر، و هل عمر الصبا إلا أصيل أو سحر، وكقوله:

إن القلـــوب إذا تنافـــر وُدُّهـــا   مثـــل الزجاجـــة كســـرها لا يُجبـــر[1]

شبه تنافر القلوب، بكسر الزجاجة، تثبيتاً لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودَّة.

٥. **مدحه و تحسين حاله**: ترغيباً فيه، أو تعظيماً له، بتصويره بصورة تهيج في النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به معجب، قد استقر في النفس حسنه و حبُّه، فيصور المشبه بصورته، كقوله:

و زاد بك الحسن البديع نضارة   كأنك في وجه الملاحة خال

و نحو:

كأنـــك شـــمس و الملـــوك كواكـــب   إذا طلعـــت لـــم يبـــد منهـــن كوكـــب

٦. **تشويه المشبه و تقبيحه**: تنفيراً منه أو تحقيراً له، بأن تصوره بصورة تمجها النفس، و يشمئز منها الطبع، كقوله تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾(اعراف/ ١٧٦)

---

١. تنافر القلوب و توادها من الأمور المعنوية، و لكن الشاعر نظر إلى ما فى المشبه به من قوة الظهور و التمام، فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذى لا ينتهى إذا وقع، إلى كسر الزجاجة الذى لا يجبر إذا حصل، فصور لك الأمر المعنوى بصورة حسية.

و كقوله:

و إذا أشـــار محدثـــاً فكأنـــه   قـــرد يقهقـــهُ أو عجـــوزٌ تلطـــم

وكقوله:

و تـــرى أناملهـــا علـــى مزمارهـــا   كخنافـــس دبـــت علـــى أوتـــار

٧. **استطرافه**، أي: عدّه طريفاً حديثاً و ذلك فيما اذا كان المشبّه به طريفاً فيصير بالتشبيه، المشبّه ايضاً طريفاً حديثاً غير مألوف للذهن

إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة، كما في تشبيه فحم فيه جمرٌ متّقد ببحر من المسك موجه الذهب، و كقوله:

وكـــأن محمـــرَّ الشـــقيـ   ـــق إذا تصَـــوب أو تصعَـــد

أعـــلام ياقـــوت نشـــر   ن علـــى رمـــاح مـــن زبرجـــد

و إما لندور حضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه، كقوله:

و لازورديـــة تـــزهو بزرقتهـــا   بيـن الريـاض علـى حمـر اليواقيـت

كأنهـــا فـــوق قامـــات ضعفـــن بهـــا   أوائـــل النـــار فـــي أطـراف كبريـت

تنبيه

و قد تعود الفائدة الى المشبه به كما فى التشبيه المقلوب و سياتى البحث عنه.

❖ التشبيه على غير طرقه الأصلية

و هو على قسمين:

الأول: التشبيه الضمني

و هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه و المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح التشبيه و يفهم من المعنى، كقول المتنبي:

مـــن يهُـــن يســـهل الهـــوان عليـــه   مـــا لجُـــرح بميّـــت إيـــلام

أي: إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمّله، و لا يتألم له، و ليس هذا الادعاء باطلاً، لأن الميت إذا جُرح لا يتألم.

و كقول الشاعر:

لاتنكـــرى عطـــل الكريـــم مـــن الغنـــى   فالســـيل حـــربٌ للمـــكان العالـــى

اى لاتنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى فان ذلك ليس عجيباً لان قمم الجبال و هى اعلى الاماكن لا يستقر فيها ماء السيل.

و في ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، و ليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه يوهِم التشابه[1] الذي يقتضي التساوي.

الثاني: التشبيه المقلوب

قد يُعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبهاً به و بالعكس فتعود فائدته إلى المشبه به، لادِّعاء أن المشبه به أتم و أظهر من المشبه في وجه الشبه.

و يسمى ذلك بالتشبيه المقلوب أو المعكوس، نحو: كأن ضوء النهار جبينه، و نحو: كأن نشر الروض حسن سيرته، و نحو: كأن الماء في الصفاء طباعه، وكقول محمد بن

---

١ . التشبيه يفيد التفاوت، و أما التشابه فيفيد التساوي بلفظ تشابه، و تماثل، و تشاكل، و تساوى، و تضارع، و كذا بقولك: كلاهما سواء، لا بما كان له فاعل و مفعول به، مثل شابه و ساوى، فإن فى هذا إلحاق الناقص بالزائد.

وهيب الحميري:

و بــــدا الصبـــــاح كأن غرّتـــــه　　　وجـــه الخليفـــة حيـــن يمتـــدح

شبه غرة الصباح، بوجه الخليفة، إيهاماً أنه أتم منها في وجه الشبه.

و هذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان و الإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾(البقرة/٢٧٥) في مقام أن الربا مثل البيع، عكسوا ذلك لادعاء أن الربا عندهم أحلّ من البيع، لأن الغرض الربح و هو أثبت وجوداً في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحل عندهم.

المبحث الخامس

في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول و مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى قسمين.

١. **الحسن المقبول:** هو ما وفى بالأغراض السابقة بان يكون مطابقاً للغرض الذى سيق له كالأمثلة السابقة.

٢. **القبيح المردود:** هو ما لم يفِ بالغرض المطلوب منه، كعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد، أو لم يكن المشبه به مسلم الحكم عند المخاطب في ما إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود كما في تشبيه الإمام المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالنبي نوح عليه السلام في طول العمر، إذا كان طول عمر نوح عليه السلام غير مسلم عند المخاطب.

تنبيه

بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة، و وضوح الدلالة و لها مراتب ثلاث:

أ: **أعلاها و أبلغها:** ما حذف فيها الوجه و الأداة، نحو: علي أسد، و ذلك لأنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة و ادعيت التشابه بينهما في جميع الجهات بحذف الوجه و لذا سمي هذا تشبيهاً بليغاً.

ب: **المتوسطة:** ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول: على أسد شجاعة أو يحذف فيها وجه الشبه وحده فتقول: علي كالأسد، و بيان ذلك: أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه، فلم تدعْ للخيال مجالاً في الظن، بأن التشابه في جميع الصفات في المثال

الأول، كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه و المشبه به، و لم تترك باباً لادعاء الاتحاد في المثال الثاني.

ج: **أقلها**: ما ذكر فيها الوجه و الأداة، و حينئذ فقدت المزيتان السابقتان.

❖ بلاغة التشبيه[1]

إن بلاغة التشبيه ناشئة من أمر مادي و أمر صوري.

أما الأمر المادي: فحيث إن التشبيه ينتقل بالسامع من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثّله فكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، و أدعى إلى إعجابها و اهتزازها فإذا قلت: فلان يشبه فلاناً في الطول، أو إن الأرض تشبه الكرة في الشكل، لم يكن في هذين التشبيهين أثر للبلاغة، لظهور المشابهة، و عدم احتياج العثور عليها إلى براعة، و جهد أدبي، و لخلوّها من الخيال، و هذا الضرب من التشبيه، يقصد به البيان و الإيضاح، و تقريب الشيء إلى الأفهام، و أكثر ما يستعمل في العلوم و الفنون، و لكنك تأخذك روعة التشبيه، حينما تسمع[2] قول الشاعر:

---

١. التشبيه مع ما فيه من ميزة الإيجاز في اللفظ يفيد المبالغة في الوصف، و يخرج الخفي إلى الجلي و المعقول إلى المحسوس، و يجعل التافه نفيساً، و النفيس تافهاً، و يُدني البعيد من القريب، و يزيد المعنى وضوحاً، و يكسبه تأكيداً، فيكون أوقع في النفس و أثبت، و له روعة الجمال و الجلال.

٢. و من أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

يدعو الشاعر: على نفسه بالبلى و الفناء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصور لك هيئة وقوفه، فقال: كما يقف شحيح فقدَ خاتمه في التراب، من كان يوفَّق إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب و دهشة، بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً.؟

و منه قول المعري يصف نجماً:

و كأن النجـوم بيـن دجاهـا سـنن لاح بينهـن ابتـداع

فإن جمال هذا التشبيه جاء من براعة الشاعر و حذقه، في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما، و هما حالة النجوم في رُقعة الليل، و حال السنن الدينية الصحيحة، متفرقة بين البدع الباطلة.

و لهذا التشبيه روعة أخرى، جاءت من أن الشاعر تخيّل أن السنن مضيئة لمّاعة، و أن البدع مظلمة قاتمة.

فهذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغ طرافته و بُعد مرماه، و مقدار ما فيه من خيال.

أما بلاغته من حيث **الصورة الكلامية** التي يوضع فيها، فمتفاوتة أيضاً، فأقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها، فإذا حذفت الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلاً، أما أبلغ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ» لأنه مبني على ادعاء أن المشبه و المشبه به شيء واحد كما تقدم.

هذا، و قد جرى العرب و المحدثون على تشبيه: الجواد بالبحر و المطر، و الشجاع بالأسد، و الوجه الحسن بالشمس و القمر، و الشهم الماضي في الأمور بالسيف، و العالي المنزلة بالنجم، و الحليم الرّزين بالجبل، و الأماني الكاذبة بالعنقاء، و الوجه الصبيح بالدينار، و الشعر الفاحم بالليل، و الماء الصافي باللجين، و الليل بموج البحر، و الجيش بالبحر الزاخر، و الخيل بالريح و البرق، و النجوم بالدرر و الأزهار، و الأسنان بالبرد و اللؤلؤ، و السفن بالجبال، و الجداول بالحيات الملتوية، و الشيب بالنهار، و لمع السيوف و غرة الفرس بالهلال.

يسرع اللمح في احمرار كما تسـ رعُ فـي اللمح مقلة الغضبان

فإن تشبيه لمحات النجم و تألقه مع احمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة، التي لا تنقاد إلا لأديب.

و يشبهون الجبان بالنعامة و الذبابة، و اللئيم بالثعلب، و الطائش بالفراش، و الذليل بالوتد، و قاسي القلب بالحديد و الصخر، و البليد بالحمار، و البخيل بالأرض المجدبة.

و قد اشتهر رجال من العرب بخصال محمودة، فصاروا فيها أعلاماً فجرى التشبيه بهم: فيشبه الوفي بالسموأل[١]، و الكريم بحاتم، و الحليم بالأحنف[٢]، و الفصيح بسحبان، و الخطيب بقُسّ[٣] و الشجاع بعمرو بن معديكرب، و الحكيم بلقمان[٤]، و الذكي باياس.

و اشتهر آخرون بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيشبه العييّ بباقل[٥] و الأحمق بهبنقة[٦] و النادم بالكُسعي[٧] و البخيل بمادر[٨] و الهجّاء بالحطيئة[٩] و القاسي بالحجاج الثقفي[١٠]: أحد جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧ هـ.

---

١ . هو السموأل بن حيان اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، و هو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ق.هـ

٢ . هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً، عزيزاً في قومه إذا غضب غضب له مائة ألف سيف، لا يسألون لماذا غضب، توفى سنة ٦٧ هـ.

٣ . هو قس بن ساعدة الأيادي، و يضرب به المثل في البلاغة.

٤ . حكيم مشهور آتاه الله الحكمة، أي: الإصابة في القول و العمل.

٥ . رجل اشتهر بالعي، اشترى غزالاً مرة بأحد عشر درهماً، فسئل عن ثمنه فمد أصابع كفيه يريد عشرة، و أخرج لسانه ليكملها أحد عشر، ففر الغزال، فضرب به المثل في العي.

٦ . هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.

٧ . هو غامد بن الحارث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ، فغضب و كسر قوسه، و لما أصبح رأى الحمر مصروعة و الأسهم مخضبة بالدم، فندم على كسر قوسه، و عض على إبهامه فقطعها.

٨ . لقب رجل من بني هلال، اسمه مخارق، و كان مشهوراً بالبخل و اللؤم.

٩ . شاعر مخضرم، كان هجاء مراً، و لم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه و أباه، و نفسه، و له ديوان شعر، و توفي سنة٣٠هـ.

١٠ . هو الحجاج بن يوسف الثقفى كان عاملًا على العراق و خراسان لعبد الملك بن مروان، ثم للوليد من بعده، و كان شديد البطش، قاسياً، و له فى القتل و العقوبات غرائب لم يسمّ بمثلها. حتى ضرب المثل بجوره و ظلمه. توفى بمدينة واسط سنة٩٧هـ.

تمارين

بيِّن أنواع التشبيه و بلاغته فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾(النور/٣٩).

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾(الكهف /٤٥).

قال النبي ﷺ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا و من تخلف عنها غرق.[١]

قال النبي ﷺ: مثل عليّ في هذه الأمة كمثل الكعبة النظر إليها عبادة و الحج إليها فريضة.[٢]

قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن عندالله كمثل ملك مقرّب وإنّ المؤمن عندالله عزّوجلّ أعظم من الملك وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة.[٣]

قال الشاعر:

و مـــا النـــاس إلا كالديـــار و أهلهـــا　　　بهـــا يـــوم حلّوهـــا و غـــدوا بلاقـــع

قال الشاعر:

العمــــر و الإنســـان و الدنيـــا هـــم　　　كالظـــل فـــي الإقبـــال و الإدبـــار

١ . بحار الأنوار ٢٣/ ١٢٥.

٢ . بحار الأنوار ٤٠/ ٤٣.

٣ . بحار الأنوار ٥٧/ ٢٢٩.

الباب الثاني

في المجاز

المجاز: مشتق من جاز الشيء يجوزه، إذا تعداه و في الاصطلاح نوعان:

أ: **المجاز العقلي** و يجري في الإسناد و سيأتي بيانه.

ب: **المجاز اللغوي** و يجري في اللفظ و هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له فى اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعة.

و عرّفه جماعة بأنه استعمال اللفظ فى غيرما ذكر

و المجاز: من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية، تكاد تعرضه على عيان السامع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، و إلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، و لما فيها من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور و أريحية، و لأمر ما كثر في كلامهم، حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، و زينوا به خطبهم و أشعارهم.

و في هذا الباب مباحث.

المبحث الأول

في تعريف المجاز اللغوي و أنواعه

المجاز اللغوي: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

و العلاقة (و هي نوع من المناسبة[١] بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي) قد تكون المشابهةَ بين المعنيين، و قد تكون غيرها.

فإذا كانت العلاقة المشابهة، فالمجاز استعارة، و إلا فهو مجاز مرسل.

و القرينة: والمراد بها هنا هى القرينة المانعة قد تكون لفظية، و قد تكون حالية، كما سيأتي.

و ينقسم المجاز: إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مرسل، و مجاز مفرد بالاستعارة - و يجريان في الكلمة- و مجاز مركب مرسل، و مجاز مركب بالاستعارة .و يجريان في الكلام.

---

١ . القرينة: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له، فهي تصرف الذهن عن المعنى الوضعي إلى المعنى المجازي، و بتقييدها بالمانعة خرجت الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، و القرينة إما لفظية و إما حالية، فاللفظية: هي التي يلفظ بها في التركيب، و الحالية: هي التي تفهم من حال المتكلم، أو المخاطب أو من الواقع.

و أما القرينة التي تعين المراد من المجاز، فليست شرطاً عامّاً، و اعلم أن كلّاً من المجاز و الكناية بحاجة إلى قرينة، و لكنها في المجاز مانعة، و في الكناية غير مانعة.

المبحث الثاني

في المجاز اللّغوي المفرد المرسل، و علاقاته

المجاز المفرد المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضع لها في اصطلاح التخاطب لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

و له علاقات كثيرة و تسميتها[1] باعتبار المعنى الوضعي و من أهمها:

١. **السببيّة:** و هي كون الشيء المنقول عنه سبباً، و مؤثراً في المعنى المنقول إليه و ذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب، و أريد منه المسبب، نحو: رعت الماشية الغيث، أي: النبات، لأن الغيث (أي: المطر) سبب فيه، و قرينته لفظية و هي رعت.

و كقول المتنبى:

لــه ايــادٍ علــيَّ ســابغةٌ   أُعَــدُّ منهــا و لا أُعَدِّدُهــا

حيث اراد من الايادى ما هو مسبب عنها اعنى النعم.

٢. **المسببيّة:** و هي أن يكون المنقول عنه مسبباً، و أثراً للمنقول إليه و ذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب، و أريد منه السبب، كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾(غافر/١٣) أي: مطراً يسبِّب الرزق و، ﴿ما لي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾(غافر/٤١) ذكرت النار و هى مسببه عن الكفر.

---

١. فائدة: القصد من العلاقة: هو الارتباط، و الذكي يعرف مقال كل مقام، ثم إن العلاقة: قيل تعتبر فى التسمية من جهة المعنى المنقول عنه، الذي هو الحقيقي، لأنه الأصل و قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول اليه، لأنه المدار، و قيل تعتبر من جهتهما، رعاية لحقيهما.

٣. **الكلّية**: و هي كون الشيء المنقول عنه متضمناً للمقصود و لغيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل، و أريد منه الجزء، كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾(البقرة/١٩) أي: أناملهم، و القرينة حالية و هي استحالة إدخال الإصبع كله في الأذن، و نحو: شربت ماء النيل، و المراد بعضه، بقرينة استحاله شرب الجميع.

٤. **الجزئية**: و هي كون الشيء المنقول عنه جزءً من المنقول اليه و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء، و أريد منه الكل، كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(النساء/ ٩٢) و نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيون مجاز مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزء من جاسوسها، و القرينة الاستحالة[١].

٥. **اللازمية**: و هي كون المنقول عنه يجب وجوده عند وجود المنقول اليه، نحو: طلع الضوء، أي: الشمس، فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية، لأنه يوجد عند وجود الشمس.

٦. **الملزومية**: و هي كون المنقول عنه يجب عند وجوده وجود المنقول اليه، نحو: ملأت الشمس المكان، أي، الضوء فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية لأنها متى وجدت وجد الضوء، و القرينة ملأت[٢].

٧. **الآلية**: و هي كون المنقول عنه اداة و واسطة للمعنى المنقول اليه و ذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة، و أريد الأثر الذي ينتج عنه، كقوله تعالى:﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(الشعراء/ ٨٤) أي: ذكراً حسناً فاستعمال اللسان في معنى الذكر مجاز مرسل، علاقته الآلية لأن اللسان آلة في الذكر.

٨. **العموم**: و هو كون الشيء شاملاً لكثير و ذلك فيما إذا ذكر لفظ العام و أريد منه الخاص، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾(النساء/ ٥٤)أي: النبي ﷺ، فاستعمال

---

١. يشترط فى اطلاق الجزء على الكل ان يكون للجزء مزيد ارتباط بالمعنى المراد.

٢. و المعتبر فى هاتين العلاقتين اللزوم الخاص اعنى عدم الانفكاك بين نفس اللازم و نفس الملزوم.

الناس مجاز مرسل، علاقته العموم، و مثله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ (آل‌عمران/ ۱۷۳) فإن المراد من الناس واحد، و هو نعيم بن مسعود الأشجعي.

۹. **الخصوص**: و هو كون الشئ خاصاً بشيء واحد، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الخاص و أريد منه عامُّه كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو: ربيعة و قريش.[1]

۱۰. **ما كان**:و هو النظر إلى الماضي، و ذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما كان عليه نحوقوله تعالى: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾(النساء/۲)أي: الذين كانوا يتامى ثم بلغوا، فاستعمال اليتامى مجاز مرسل، علاقته ما كان، هذا إذا جرينا على أن دلالة الصفة على المتلبس بالمبدأ في الحال حقيقة، و على ما عداه مجاز.

۱۱. **ما يكون**: و هو النظر إلى المستقبل، و ذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾(يوسف/ ۳٦) أي: عنباً يؤول أمره إلى الخمر، لأنه حال عصره لا يكون خمراً، فالعلاقة هنا، ما يؤول إليه و كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(نوح/۲۷)و المولود حين يولد، لا يكون فاجراً، و لا كافراً، و لكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق الفاجر، و أريد به المولود الذى يؤول أمره إلى الفجور، و العلاقة، ما يكون[2].

۱۲. **الحاليّة**: و هي كون الشيء حالاً في غيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال، و أريد المحل، لما بينهما من الملازمة، كقوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل‌عمران/۱۰۷) فالمراد من الرحمة: الجنة التي تحل فيها الرحمة، فهم في جنة تحل فيها رحمة الله، فالرحمة مجاز مرسل، علاقته الحالية و كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ

---

۱. قد يكثر استعمال لفظ فى معناه المجازى بحيث يدل عليه بلا قرينة فيصير استعماله فيه حقيقة و هذا ما يسميه الأصوليون بالوضع التعيّنى و منه «ربيعة» و «قريش» فلا يخفى عليك أنّ استعمالهما صار حقيقة بعد ما كان مجازاً.

۲. و يسميه بعض بالأول و المشارفه.

عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (الأعراف/ ٣١)أي: لباسكم، لحلول الزينة فيه فالزينة حالّة و اللباس محلها، و نحو: أرى بياضاً يظهر و يختفي، و أرى حركة تعلو و تسفل.

١٣. المحليّة: و هي كون الشيء يحلُّ فيه غيره، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل، و أريد به الحال فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾(العلق/ ١٧)المراد: من يحل في النادي. و كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾(آل عمران/ ١٦٧)أي: ألسنتهم، لأن القول لا يكون عادة إلا بها.

١٤. المبدليّة: و هي كون الشيء مبدلاً منه شيءٌ آخر، و ذلك فيما إذا ذكر لفظ المبدل منه و أريد منه البدل، نحو: أكلت دم زيد، أي: ديته، فالدم مجاز مرسل علاقته المبدلية لأن الدم مبدل عنه الدية.

١٥. المجاورة: و هي كون الشيء، مجاوراً لشيء آخر، و ذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يجاوره، نحو: كلمت الجدار و العمود، أي: الجالس بجوارهما، فالجدار و العمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٦. التعلّق الاشتقاقي: و هو إقامة صيغة مقام أخرى، و ذلك:

أ. إطلاق المصدر على الفاعل: كالعدل بمعنى العادل .

ب. إطلاق المصدر على المفعول: نحو قول السائل: أفيونس ابن عبد الرحمن ثقة[١]، اى موثوق به.

ج. اطلاق اسم الفاعل على الحدث في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة/٢) أي: تكذيب.

د. إطلاق اسم الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا﴾ (عنكبوت/٦٧) اى مأموناً.

---

١ . وسائل الشيعة، ج٢٧، ص ١٤٧.

هـ. إطلاق اسم المفعول على الحدث، كقوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ (قلم/٦)، اى الفتنة.

تتمّة: و من المجاز ما هو بمرتبتين و يُسمّى سبك المجاز من المجاز و ذلك-كما قيل- كقوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إلى رَبّها ناظِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٢و٢٣) اذ الظاهر ان كلمة الرب مجاز عن رحمتِه و ثوابه و رحمتُه و ثوابُه مجاز عن آثار رحمتِه من الجنّه و الحور و القصور و الثمار و الانهار[1].

---

١. منهاج البراعه/ج٢/ص ٤٢. و كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح/١) فإن الظاهر أن الصدر مجاز عن القلب الذى فيه بعلاقة الحالّية و القلب مجاز عن القلب المعنوى الذى له نحو تعلّق بالقلب الذى فى الصدر.

المبحث الثالث

في تعريف المجاز العقلي و علاقاته

المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

❖ **أشهر علاقات المجاز العقلي:**

و له علاقات و تسميتها باعتبار غير ما هو له و أشهرها:

١. الزمانية: كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شيباً﴾ (مزمل/١٧) فاسند الفعل الى زمن وقوعه و ليس هو بفاعل و انّما الفاعل ما يقع فى ذلك اليوم من الاهوال و نحو: من سره زمن ساءته أزمان، أسند الإساءة و السرور إلى الزمن، و هو لم يفعلهما، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

٢. المكانية: كقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ (الأنعام/ ٦) فقد أسند الجري إلى الأنهار، و هي أمكنة للمياه، و ليست جارية بل الجاري ماؤها. و كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها﴾ (زلزله/٢) فاسند الفعل الى مكانه و كان حقه ان يسند الى الله عزوجل.

٣. السببيّة: كقوله تعالى: ﴿إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إيماناً﴾(انفال/٢) حيث اسند زيادة الايمان التى هى من فعل الله تعالى الى الآيات لكونها سبباً فى الزيادة.

و كقول الشاعر:

إنّي لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيلُ الكماة: ألا أين المُحامونا؟

فقد نسب الإفناء إلى قول الشجعان: هل من مبارز؟ و ليس ذلك القول بفاعل له، و مؤثر فيه، و إنما هو سبب فقط.

٤. **المصدرية:** كقول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم　　　و في الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

فقد أسند الجد إلى الجد، أي: الاجتهاد، و هو ليس بفاعل له، بل فاعله الجاد، فأصله جدَّ الجادّ جداً، أي: اجتهد اجتهاداً، فحذف الفاعل الأصلي و هو الجاد، و أسندَ الفعل إلى الجد.

٥. **المفعولية:** كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (قارعه/٨)، اسند راضية الى ضمير العيشة و حقها ان تسند الى صاحب العيشة فان العيشة مرضية لا راضية.

تنبيهات

١. كما يكون هذا المجاز في الإسناد، يقع في النسبة الإضافية، نحو: جَرْي الأنهار، و غراب البين، و مكر الليل كما فى قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (سبأ/٣٣) فنسبة الجري إلى الأنهار مجاز، علاقته المكانية، و نسبة البين إلى الغراب، مجاز، علاقته السببية، و نسبة المكر إلى الليل مجاز، علاقته الزمانية.

٢. الفعل المبني للفاعل، و اسم الفاعل، إذا أسندا إلى المفعول فالعلاقة، المفعولية، و الفعل المبني للمفعول، و اسم المفعول، إذا أسندا إلى الفاعل فالعلاقة، الفاعلية[1].

٣. هذا المجاز: مادة الشاعر المفلق، و الكاتب البليغ، و طريق من طرق البيان، التي لا يستغنى عنها واحد منهما[2].

---

١. فلا يخفى عليك الفرق فى تسمية كل واحد من المجاز اللغوى و العقلى فإن المعتبر فى تسمية المجاز اللغوى المعنى الأصلى و فى المجاز العقلى المسند إليه مجازاً.

٢. و كما أن نسبة الفعل إلى الفاعل قد تكون حقيقيه و قد تكون مجازيه، فكذلك نسبة الفعل إلى المفعول (أى: النسبة الوقوعية) قد تكون حقيقية و قد تكون مجازية كقولك: ضربت زيداً و أجريت النهر.

❖ بلاغة المجاز المرسل و المجاز العقلي

إذا تأملت أنواع المجاز المرسل و العقلي رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: هزَم القائد الجيش أو جرى النهر، كان ذلك أوجز من أن تقول: هزم جنود القائد الجيش أو جرى ماء النهر و لا شك أن الإيجاز ضربٌ من ضروب البلاغة.

و هناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين، و هو المهارة في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي و المعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصوِّراً للمعنى المقصود خير تصوير، كما في إطلاق العين على الجاسوس، و الأذن على سريع التأثر بالوِشاية، و الخُفّ و الحافر على الجمال و الخيل، في المجاز المرسل وكما في إسناد الشيء إلى سببه، أو مكانه، أو زمانه، في المجاز العقلي: فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القوي، و المكان و الزمان المناسبان.

و إذا دققت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل، و المجاز العقلي لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثر في جعل المجاز رائعاً خلّاباً، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة، و مثله إطلاق الجزء و إرادة الكل، كما إذا قلت: جاء الفم تريد أنه شرهٌ، يلتقم كل شيء، و نحو قولك: جاء الأنف عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف، فتبالغ فتجعله كله أنفاً.

و مما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أُنافي[1] قوله: لست أدرى أهو في أنفه، أم أنفه فيه؟

---

١. الأنافي: عظيم الأنف. المعجم الوسيط

تمارين

بيِّن علاقات المجاز المرسل و المجاز العقلي فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(يوسف/٨٢)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾(البقرة/٥٤)

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾(المزمل/١٧)

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(آل عمران /٧٢)

قال الشاعر:

تكاد عطاياه يجن جنونها   إذا لم يعوّذها برقية طالب

المبحث الرابع

في المجاز المفرد بالاستعارة

❖ تمهيد

سبق: أن التشبيه من طرق دلّت عليها الطبيعة، لإيضاح أمر يجهله المخاطب، بذكر شيء آخر، معروف عنده، ليقيسه عليه، و قد نتج من هذه النظرية، نظرية أخرى في تراكيب الكلام، ترى فيها ذكر المشبه به أو المشبه فقط، و تسمى هذه بالاستعارة، و قد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه، و أشد وقعاً في نفس المخاطب، لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال، كان وقعها في النفس أشد، و منزلتها في البلاغة أعلى.

و لا يخفى الفرق بين التشبيه البليغ و الاستعارة على المتأمل فإنه في جميع أنواع التشبيه حتى البليغ يستعمل كل واحد من لفظي المشبه و المشبه به في ما وضع له بخلاف الاستعارة التي يستعمل فيها لفظ في غيرما وضع له.

❖ تعريف الاستعارة و بيان أنواعها

الاستعارة لغة: من قولهم، استعار المال: طلبه عارية[1].

و اصطلاحاً: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة المشابهة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

---

١ . العارية: هى إباحة التصرف فى الملك بحيث ينتفع المستعير من منافع المستعار بلا تملك للعين أو المنفعة من غير عوض.

و الاستعارة ليست إلاّ تشبيهاً مختصراً[1]، لكنها أبلغ منه كقولك: رأيت أسداً في المدرسة، فأصل هذه الاستعارة: رأيت رجلاً كالأسد في الشجاعة، حذفت المشبه «رجلاً» و حذفت الأداة «الكاف» و حذفت وجه التشبيه «الشجاعة» و ألحقته بقرينة المدرسة لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً.

و أركان الاستعارة اربعة:

١. **مستعارمنه**: و هو المشبه به في المثال المذكور.

٢. **مستعارله**: و هو المشبه في المثال.

و يقال لهما الطرفان.

٣. **مستعار**: و هو اللفظ المنقول.

٤. **الجامع**: و هو الوصف المقصود المشترك فيه الطرفان.

فكل مجاز يُبنى على التشبيه يسمى استعارة و لا بد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، و لا أداة التشبيه، بل و لا بدّ أيضاً من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي، فيكون لفظه اسم جنس، أو علم جنس و لا تتأتى الاستعارة في العلم الشخصي لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية لأن نفس تصور الجزئي يمنع من تصور الشركة فيه، إلا إذا أفاد العلم الشخصي وصفاً، به يصح اعتباره كلياً، فتجوز استعارته، كتضمن حاتِم لكمال الجود، و قس لكمال الخطابة فيقال: رأيت حاتماً، و قساً، بدعوى كلية حاتم و قس، و دخول المشبه في جنس الجواد و الخطيب.

و للاستعارة أجمل وقع في الكتابة، لأنها تجدي الكلام قوة، و تكسوه حسناً و رونقاً، و فيها تُثار الأهواء و الإحساسات.

---

١ . لا يخفى عليك المسامحة فى قوله: الاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، فإنه لا يكون الاستعارة إلا باستعمال اللفظ فى غير ما هو له خلافاً للتشبيه كما سبق.

الفصل الأول «في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين»

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط، و أريد به المشبه فاستعارة تصريحية أو مصرّحة، كقوله تعالي: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(فصلت/١٧).

فقد استعار العمى للكفر و الهدى للإيمان. و كقول الامام على عليه السلام «فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ»[١] حيث شبه الدنيا بالمائده بجامع كونها مجتمع اللذات ثم حذف المشبه و ابقى المشبه به.

و كقول البحتري:

يــؤدون التحيــة مــن بعيــد　　　إلــى قمــر مــن الإيــوان بــاد

و إذا استعير لفظ المشبه به للمشبه في النفس و ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط و حذف المشبه به و أشير إليه بذكر لازمه فاستعارة مكنية أو بالكناية كقوله تعالى: ﴿وَإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت/٥١)، حيث شبه الدعاء بشيء ممتد و حذف المشبه به و ابقى شيئاً من لوازمه و هو العرض و الاتساع على سبيل الاستعارة المكنية وكقول الشاعر:

و لئـن نطقـت بشـكر بـرك مفصحـاً　　　فلسـان حالـي بالشـكاية أنطـق

فشبه الحال، بإنسان ناطق في الدلالة على المقصود و استعار الإنسان للحال و حذفه و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو اللسان الذي لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به، على سبيل الاستعارة المكنية.

و شرط اللازم أن يكون مما به قوام المشبه به في وجه الشبه كما في المثال المتقدم، أو مما به كمال المشبه به فيه كقوله:

و إذا المنيــة أنشــبت أظفارهــا　　　ألفيــت كل تميمــة لا تنفــع

---

١ . نهج البلاغه/خطبه٢٠١.

فقد شبه المنية، بالسبع، بجامع الاغتيال في كل، و استعار السبع للمنية في نفسه و حذفه، و رمزإليه بشيء من لوازمه، و هو الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع إلا بها على طريقة الاستعارة المكنية و قرينتها لفظة «أظفار».

***

الفصل الثاني«في تقسيم الاستعارة باعتبار المستعارله»

❖ تنقسم الاستعارة باعتبار المستعارله إلى:

١. **الاستعارة التحقيقة**: و هي ما كان المستعار له فيها محققاً، سواء كان:

أ: **محققاً حساً**: بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن يشار إليه إشارة حسية، كقولك: رأيت بحراً يعطي، أي: رجلاً كامل الجود.

ب: **محققاً عقلاً**: بأن يمكن أن ينص عليه، و يشار إليه إشارة عقلية، كقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحه/٦) أي: الدين الحق، فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق، لتشابههما في أن كلاً يوصل إلى المطلوب. و الدين الحق محقق عقلاً.

٢. **الاستعارة التخييلية**: و هي ما لم يكن المستعار له فيها محققاً (حساً و لا عقلاً) و ذلك كاستعارة الأظفار، للأظفار الموهومة، في نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان.

و بيانه: أنه بعد تشبيه المنية بالسبع أخذ الوهم في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة المخترعة التي هي مثل صورة الأظفار، لفظ الأظفار فيكون اطلاق لفظة أظفار استعارة تخييلية لأن المستعارَ له لفظُ أظفار صورةٌ وهمية، تشبه صورةَ الأظفار الحقيقية، و قرينتها إضافتها إلى المنية.

و ما ذكرمن بيان الاستعارة التخييليّة مذهب السكاكی و فيها مذهبان آخران سيأتيان.

***

الفصل الثالث «في تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار»

❖ تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى:

١. الاستعارة الأصلية: و هي ما كان اللفظ المستعار فيها اسماً جامداً غير مبهمٍ.

سواء كان اسماً جامداً لذات: كالبدر إذا استعير للجميل، أو اسماً جامدًا لمعنى: كالقتل إذا استعير للضرب الشديد.

و تجري في كل من التصريحية و المكنية، كقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم/١).

أي: من الضلالات إلى الإيمان، فقد استعير لفظ الظلمات للضلالات، لتشابههما في عدم اهتداء صاحبيهما، و كذلك استعير لفظ النور للإيمان، لتشابههما في الهداية، و المستعاران (و هما الظلمات و النور) اسمان جامدان.

و كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء/ ٢٤) شبه الذل بطائر، و استعير لفظ المشبه به (و هو الطائر) للمشبه و (هو الذل) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو الجناح.

و سميت أصلية لعدم بنائها على استعارة أخرى.

٢. الاستعارة التبعية: و هي ما كان اللفظ المستعار فيها، فعلاً، أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً، أو حرفاً.

و سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى، لأنها في المشتقات تابعة لاستعارة موادها فيما كانت الاستعارة بحسب مصادرها او للمعانى الكلّيّة المنتزعة من هيئاتها فيما كانت بحسب هيئاتها، و في الحروف تابعة لاستعارة متعلق معانيها اعنى المعانى الكلية المنتزعة منها، إذ المعاني الحرفية جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية، ليتأتى ادعاء فردية المشبه للمشبه به.

و مواردها كما يلي:

أ. استعارة الفعل: كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة/١١)

يقال: شبه زيادة الماء زيادة مفسدة بالطغيان، بجامع مجاوزة الحد في كل، و ادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ثم اشتق من الطغيان بمعنى الزيادة طغى بمعنى زاد و علا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. و كقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ (الأعراف/ ١٦٨) و كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران/ ٢١).

هذا، و قد يستعمل لفظ الماضي موضع المضارع[1]، بناءً على تشبيه المستقبل المحقق، بالماضي الواقع، بجامع تحقق الوقوع في كل، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ (فصلت/٢١) شبه المستقبل المحقق بالماضي الواقع بجامع تحقق الوقوع في كل، ثم استعير هيئة المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية[2]. ثم صيغت مادة القول في الهيئة الدالة على المضي و استعيرت للقول في الاستقبال على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

و قد يعبر بالمضارع عن الماضي، بناءً على تشبيه غير الحاضر بالحاضر في استحضار صورته الماضية، لنوع غرابة فيها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات/١٠٢).[3]

ب. استعارة اسم الفعل: نحو: صه، الموضوع لطلب السكوت عن الكلام، و المستعمل مجازاً في طلب ترك الفعل، شبه ترك الفعل بالسكوت بجامع الترك و استعير لفظ السكوت

---

١. حيث إن المشتق تدل على معنيين بمادته و هيئته فيصح استعارته حسب كل واحد منهما، فتارة يستعار بحسب مادته كاستعمال القاتل في معنى الضارب ضرباً شديداً، وتارة يستعار بحسب هيئته كاستعمال الماضي موضع المضارع.

٢. و هو كلمة الماضى فالاستعارة الاصلية كلمة «الماضى» و الاستعارة التبعيّة فعل الماضى «قالوا» باعتبار الهيئة لا باعتبار المادّة.

٣. الاستعارة فى هذين المثالين الأخيرين باعتبار مدلول الهيئة لا المادة.

لترك الفعل على سبيل الاستعاره التصريحية الأصلية، ثم اشتق منه «اسكت» بمعنى اترك الفعل و عبّر بدل «اسكت» بـ«صه»، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ج. استعارة اسم الفاعل أو اسم المفعول: نحو: الجندي قاتل اللص بمعنى ضاربه ضرباً شديداً، شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع شدة الإيذاء في كل، و استعير القتل للضرب الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ثم اشتق من القتل القاتل بمعنى الضارب ضرباً شديداً على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

د. استعارة الصفة المشبهة: كقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ (الرعد/١٦). شبه الكفر بالعَمَى في اقتضائه عدم إدراك بعض الحقائق الجلية و استعير العمى للكفر على سبيل الاستعارة الأصلية ثم اشتق من العمى بمعنى الكفر، الأعمى بمعنى الكافر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، و كذا شبه الإيمان بالبصر في اقتضائه للعلم و استعير البصر للإيمان، على سبيل الاستعارة الأصلية ثم اشتق من البصر بمعنى الإيمان، البصير بمعنى المؤمن على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

هـ. استعارة اسم زمان أو مكان : كقوله تعالى: ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ (يس/٥٢).

ففى الآيه الشريفة على ما قيل: شبّه الموت بالنوم فى البعث او غيره على اختلاف ثمّ استعير لفظ الرّقاد بمعنى النوم للموت على سبيل الاستعارة الأصلية ثم اشتقّ من الرقاد بمعنى الموت المرقد بمعنى القبر.

و. استعارة اسم التفضيل: نحو: انطق بمعنى ادلّ فى قول الشاعر:

و لئن نطقت بشكر برّك مفصحاً فلسان حالى بالشكايه انطق

شبه الدلالة بالنطق فى ايضاح المعنى و استعير النطق للدلالة على سبيل الاستعارة الاصليّه ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة انطق بمعنى ادلّ.

ز. **استعارة اسم الآلة:** نحو: جئت بِمِقتالك، أي: بالآلة التي أضربك بها ضربًا شديداً، اشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد، المقتال بمعنى المضراب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ح. **استعارة الحروف:** كقوله تعالى:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾(طه /۷۱).

شبه مطلق ارتباط بين مستعل و مستعلىً عليه، بمطلق ارتباط بين ظرف و مظروف، بجامع التمكن في كل فاستعير لفظ المشبه به (الظرف) للمشبه، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ثم استعير لجزئي المشبه لفظ «في» الموضوعة لجزئي المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. و كقوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ (القصص/۸) شبّه ترتّب الغاية المحقّقة غير المقصودة على صاحبها بترتب الغايةالمقصودة (اعنى العلة الغائية) على صاحبها، بجامع مطلق الترتب في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استعمل في جزئي المشبه «اللام» الموضوعة لجزئي المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. و كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾[1] (البقرة /٥) .

و من هذه الأمثلة السابقة تبين أنه لا يشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه.

ط:**استعارة الأسماء المبهمة:** كقولهم: هذا رأي حسن، شبه مطلق المعقول بمطلق المحسوس في قبول التميز، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعير لجزئي المشبه لفظ «هذا» الموضوع لجزئي المشبه به على سبيل الاستعارة

---

١. شبه مطلق ارتباط بين مهدى و هدى بمطلق ارتباط بين مستعل و مستعلى عليه بجامع مطلق الارتباط فى كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعير لفظ على من جزئيات المشبه به لجزئى المشبه، استعارة تبعيّة.

التصريحية التبعية.[١]

و مثال المكنية التبعية في الاسم المشتق: تُعجبني إراقة الضارب دم الباغي، و إجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، و استعير القتل للضرب الشديد ثم اشتق من القتل، القاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً ثم حذف و أثبت للمشبه شيء من لوازم المشبه به و هو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

---

١ . و اعلم أن استعارة الأسماء المبهمة (أعنى الضمائر و أسماء الإشارة و الموصولات) تبعية، لأنها ليست باسم جنس تحقيقاً و لا تأويلاً، و لأنها لا تستقل بالمفهومية، لأن معانيها لا تتم و لا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ فى الدلالة عليها ضميمة تتم بها، كالإشارة الحسية و الصلة و المرجع، فلا بد أن تعتبر التشبيه أولاً فى كليات تلك المعانى الجزئية، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة. فيقال فى إجراء استعارة لفظ «التى» للموصول المذكر: شبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق بجامع الإنسانية او الحيوانية ثم استعمل اللفظ الدال على المونث المطلق فى المذكر المطلق على سبيل الاستعارة الأصلية ثم استعير لفظ «التى» الموضوع للدلالة على المونث الخاص للمذكر الخاص على سبيل الاستعارة التبعية. و كذا القياس فى عكسه و فى الضمير.

تنبيهات

التنبيه الأول: تقدم أن الاستعارة المكنية هي ما استعير لفظ المشبه به للمشبه في النفس و ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط و حذف المشبه به و أشير إليه بذكر لازمه.

و هذا مذهب السلف في المكنية و في تعريفها قولان آخران أيضاً:

الأول: مذهب الخطيب القزويني، و هو أن المكنية هي التشبيه المضمر في النفس، المرموز إليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه.[1]

و **الثاني:** مذهب السكاكي، و هو أن المكنية لفظ المشبه، مراداً به المشبه به[2] فالمراد بالمنية في قوله: و إذا المنية أنشبت أظفارها هو السبع بادعاء السبعية لها، و إنكار أن تكون شيئاً غير السبع، بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص السبع إليها. و ردّ بأنّ لفظ المشبه فيها، مستعمل فيما وضع له تحقيقاً، للقطع بأن المراد بالمنية الموت لا غير، فليس مستعاراً.

و تقدم أيضاً أن الاستعارة التخييلية هي ما لم يكن المستعار له فيها محققاً، و هذا مذهب السكاكي فيها.

و في تعريفه مذهب آخر للسلف و الخطيب القزويني و هو أن إثبات لازم المشبه به للمشبه كإثبات الأظفار للمنية استعارة تخييلية، فالأظفار مستعمل في ما وضع له.

---

١. يلزم على مذهبه، أنه لاوجه لتسميتها استعارة، لأن الاستعارة هى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع القرينة أو اللفظ المستعمل، و التشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس.

٢. تقرير الاستعارة على مذهب السكاكى أن يقال: شبهت المنية (التى هى الموت المجرد عن ادعاء السبعية)، بالسبع الحقيقى، و ادعى أنها فرد من أفراده، و أن للسبع فردين فرد متعارف (و هو الحيوان المفترس) و فرد غير متعارف (و هو الموت الذى ادعيت له السبعية) و استعير اسم المشبه (و هو المنية) لذلك الفرد غير المتعارف، (أى: الموت الذى ادعيت له السبعية) فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه، و هو المنية و أريد به المشبه به(و هو السبع ادعاءً).

فقد تبين على هذا أن التخييلية مجاز عقلي عندهم. فلا يعدّ من أقسام الاستعارة المصطلحة.[١]

التنبيه الثاني: إن المستعار هو لفظ المشبه به ولكن مع لحاظ معناه الوضعي و ذلك لأن البلغاء جزموا بأن الاستعارة أبلغ من الحقيقة فإن لم يكن نقل الاسم بلحاظ المعنى الوضعي لم يكن فيه مبالغة، إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عن معناه.

التنبيه الثالث: ظهر أن الاستعارة الأصلية ما كان المستعار فيها اسم جنس او علم جنس غير مشتق سواء أكان اسم جنس حقيقة كأسد و قتل، أم تأويلاً كما في الأعلام المشهورة بنوع من الوصف كحاتم في قولك: رأيت اليوم حاتماً، تريد رجلاً كامل الجود.

و قد اعتبرت الأعلام التي تتضمن معنى الوصف اسم جنس تأويلاً و لم تعتبر من قبيل المشتق، لأن الوصف ليس جزءً من معناها وضعاً، بل هو لازم له، غير داخل في مفهومها، فحاتم لم يوضع للدلالة على الجود و لا على ذات متصفة به، و لكن الجود عرض له و لزمه فيما بعد.

التنبيه الرابع: مدار قرينة التبعية في الفعل و المشتق على ما تأتي:

١. الفاعل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء﴾(الحاقة /١١) و نطقت الحال بكذا.

٢. نائبه، كقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة /٦١)

٣. المفعول به، نحو:

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل و أحيا السماحا[٢]

---

١. هذا مبنى على تعميم الاسناد المعتبر فى المجاز العقلى الى ما يشمل اسناد غير الفعل او ما فى معناه (فتدبّر).

٢ . لأن القتل و الإحياء لا يقعان إلا على ذي روح، و البخل و السماح معنويان لا روح فيهما، فدل هذا على أن المراد بالقتل: الإزالة، و بالإحياء: الإكثار. شبه الإزالة بالقتل بجامع ما يترتب على كل من العدم و الإكثار بالإحياء بجامع إظهار المتعلق فى كل.

٤. المفعول به الثاني، نحو:

صبحنــا الخزرجيـــة مرهفـــات أبـــاد ذوي أرومتهــا ذووهــا[1]

٥. الفاعل و المفعولين، كقول الشاعر:

تقـري الريـاح ريـاض الحـزن مزهـرة إذا سـرى النـوم فـي الأجفـان إيقاظـاً[2]

٦. المفعولين، كقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أمماً﴾[3] (الأعراف/١٦٨).

٧. المجرور، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] (آل عمران/ ٢١). و كقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(الحجر/٩٤) و ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾(الأنبياء/١٨).

هذا، و قد تكون قرينة التبعية غير ذلك، كقوله تعالى: ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[5] (يس/٥٢) إذ القرينة في هذه الآية،كونه من كلام الموتى، مع قوله: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(يس/٥٢).

---

١ . القرينة تعلق الفعل (صبح) بمرهفات و هي مفعول به ثان. يقال: صبحه (كقطع): سقاه الصبوح، (و هو شراب الغداة) و مرهفات: أي: سيوفاً مرهفات، يقال: أرهف السيف، إذا حدده و رققه، و أباده: أهلكه، و الأرومة: الأصل، و الضمير في أرومتها للخزرجية، و في «ذووها» للمرهفات، يقول: أبدنا أصول هذه القبيلة بسيوفنا المرهفات. و نزل التضاد منزلة التناسب، فشبه الإساءة إلى الخزرجية صباحاً بالإحسان إليهم، و تقديم الصبوح لهم، بجامع إدخال السرور على النفس في كل، و إن كان ادعائياً في المشبه، ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية، ثم اشتق من الصبوح بمعنى الضرب بالمرهفات «صبح» بمعنى ضرب بها على سبيل الاستعارة التبعية.

٢ . الجفن: غطاء العين و غلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطية في كل، وكنى بسريان النوم فيها عن ذبولها، و إيقاظ: (مصدر أيقظ)، مستعار لتفتيح الزهر و إيجاد النضرة و البهجة فيه، و قد حسن التعبير بالإيقاظ مجيئه بعد النوم و الأجفان، و المعنى: تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحاً و حسناً و نضارة.

٣ . هذا يتم بناءً على تضمين «قطعنا» معنى «صيّرنا» فأمماً مفعول ثان له.

٤ . قوله «بعذاب» قرينة على أن «بشّر» مستعار، لأن التبشير إخبار بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب، و قوله: «بما تؤمر» كذلك لأنه معنوي و الصدع للمحسوس، كما أن الحق معنوي أيضاً، فكل منها كان صارفاً عن المعنى الأصلي للفعل إلى المعنى المجازي.

٥ . هذا على أن مرقد اسم مكان، و إلا فالاستعارة أصلية كما تقدم.

التنبيه الخامس: اختار السكاكي تقليلاً لأقسام الاستعارة أن يستغنى عن التبعية في الفعل و المشتق و الحرف، بأن يجعل قرينة التبعية استعارة مكنية، و أن يجعل التبعية عند الجمهور قرينة للمكنية، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة /١١) يجعل القوم الطغيان مستعاراً للكثرة المفسدة، و يقول السكاكي في لفظ الماء استعارة مكنية، و نسبة الطغيان إليه القرينة[١].

***

الفصل الرابع «في تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى عنادية و وفاقية»[٢]

فالعنادية هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، لتنافيهما كاجتماع النور والظلام.

والوفاقية هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، لعدم التنافي كاجتماع النور والهدى.

ومثالهما قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾(الأنعام /١٢٢)أي: ضالاً فهديناه ففي هذه الآية استعارتان.

الأولى: في قوله «ميتاً» شبه الضلال بالموت، بجامع ترتب نفى الانتفاع في كل، واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال، ميتاً بمعنى ضالاً، وهي عنادية، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

الثانية: استعارة الإحياء للهداية، وهي وفاقية لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى، فهو محيٍ وهادٍ.

---

١. فى انتساب هذا القول الى السكاكى تأمل و من اراد التفصيل فليراجع الأطول المجلد الثانى ص٣٢٦و٣٢٨.

٢. لا يخفى أنه لا يصح تقسيم الاستعارة إلى عنادية و وفاقية لعدم اختلاف أحكامهما. و توهّمُ توطئته لبيان أن الاستعارة تمليحية أو تهكمية فاسد لأن التمليح أو التهكم لا دخل للعنادية فيهما و إنما منشأ التمليح أو التهكم، ادعاء وجود وجه الشبه فى أحد الطرفين.

ثم العنادية قد تكون تمليحية، أي: المقصود منها التمليح والظرافة وقد تكون تهكّمية، أي: المقصود منها التهكم والاستهزاء، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف، في ضدِّه ، نحو قولك: رأيت أسداً تريد جباناً، قاصداً التمليح والظرافة، أو التهكّم والسخرية: وهما اللتان نُزّل فيهما التضاد، منزلة التناسب، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل‌عمران/٢١) أي: أنذرهم فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السار، للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة، على سبيل التهكم والاستهزاء. وكقوله تعالى: ﴿فَاهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَاطِ الۡجَحِيمِ﴾ (الصافات /٢٣).

***

الفصل الخامس «في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع»

الاستعارة باعتبار الجامع نوعان:

١. **عامّية**: وهي القريبة المبتذلة التي لاكتها الألسن، فلا تحتاج إلى بحث، ويكون الجامع فيها ظاهراً، نحو: رأيت أسداً يرمي. وكقوله:

وأدهم يستمدّ الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثُّرَيَّا

فقد استعار الثريا، لغُرّة المهر، والجامع بين الطرفين ظاهر، وهو البياض وقد يُتصرَف في العامية بما يخرجها إلى الغرابة.

٢. **خاصّية**: وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً، لا يُدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص، كقول كُثَيّر يمدح عبد العزيز بن مروان:

غمرُ الرِّداء إذا تبسم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقابُ المال

غمر الرداء كثير العطايا والمعروف، استعار الرداء للمعروف، لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرِّداء ما يلقى عليه، و أضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى

الثوب لأنّ الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.

وهذه الاستعارة لا يظفر باقتطاف ثمارها إلاّ ذوو الفطرة السليمة والخبرة التامة.

***

الفصل السادس «في تقسيم الاستعارة باعتبارذكرالملائمات، وعدمه»

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكرملائم المستعارمنه أو ملائم المستعار له وعدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام: مُرشَّحة و مُجرَّدة و مُطلَقة.

أ. **المرشحة**: هي التي قرنت بملائم المستعارمنه، كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾(البقرة / ١٦) استعير الشراء للترجيح والاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعارمنه من الربح والتجارة، ونحو: من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته.

وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم.

وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه و امّا المكنية ففيها خلافٌ.

ب. **المجردة**: هي التي قرنت بملائم المستعار له، نحو: اشتر بالمعروف عرضك من الأذى.

وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة، لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بعد وذلك يبعد تناسي التشبيه الذي هو مبنى الاستعارة.

ثم اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها، سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية فلا تعدّ قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنيّة ترشيحاً بل الزائد على ما ذكر.

ج. **المطلقة**: هي التي لم تقترن بما يلائم المشبه والمشبه به، كقوله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ (البقرة/٢٧) أو ذكر فيها ملائمهما معاً، كقول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذّف ... له لِبَدٌ أظفاره لم تُقلَّم

استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له، (مقذف) وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه، (له لبد أظفاره لم تقلم) وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

واعلم: أن الترشيح أبلغ من غيره، لاشتماله على تحقيق المبالغة بتقوية تناسي التشبيه، و تقوية ادعاء فردية المستعار له للمستعار منه وكأن الاستعارة غير موجودة أصلاً، والإطلاق أبلغ من التجريد فالتجريد أضعف الجميع، اذ به يضعف تناسي التشبيه.

وكما يجري هذا التقسيم في التصريحّية يجرى أيضاً في المكنية.

المبحث الخامس

في المجاز المرسل المركب

المجاز المرسل المركب: هو الكلام المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

ويقع أولاً: في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء، لأغراض سبقت منها:

١. **التّحسر وإظهار التأسف:** كما في قول الشاعر:

ذهب الصِّبا وتولّت الأيامُ ... فعلى الصّبا وعلى الزمان سلام

فإنه وإن كان خبراً في أصل وضعه إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التحسر والتحزن على ما فات من الشباب.

٢. **إظهار الضعف:** كما في قوله:

رب إني لا أستطيع اصطباراً ... فاعف عني يا من يقيل العثارا

وثانياً: في المركبات الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستعملت في معانٍ أخر، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ﴾ (الرحمن/٦٠)، اذ المراد الاخبار بانّه ما جزاء الاحسان الا الاحسان.

المبحث السادس

في المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو الكلام المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، بحيث يكون الجامع هيئة منتزعة من متعدد، ويسمى بالاستعارة التمثيلية[۱]، وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة والمثل هوالاستعارة التمثيلية التى شاع و كثر استعمالها فى الكلام و من خواصه انه لايغيّر مطلقا بحيث بخاطب به المفرد و المذكر و فروعهما بلفظ واحد من غير تغيير و لاتبديل عن مورده الاول و ان لم يطابق المضرب[۲] و قديكون نثرا و قد يكون شعرا فمن النثر، نحو: في الصيف ضيعت اللبن،[۳]يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه

۱ . سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة، للإشارة إلى عظم شأنها، كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً، إذ الاستعارة التمثيلية مبنية على تشبيه التمثيل، و وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، لهذا كان أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات، و لذلك كان كل من تشبيه التمثيل، و الاستعارة التمثيلية غرض البلغاء.

۲ . الأمثال هي عبارات موجَزة مأثورة، يشبه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها، و لكل مثل «مورد و مضرب» و«المورد» هو الحالة القديمة التي قيل فيها لأول مرة و «المضرب» هو الحالة الجديدة التي استعير لها وكما تكون الأمثال نثراً تكون شعراً، و تضرب كما وردت من دون تغيير في لفظها.

للأمثال أسباب و نتائج، تفيد المجتمع الإنسانى منها:

أ:كونها مرآة صقيلة للمواعظ و العبر.ب: كونها مقياساً لرُقّي الأمة و لسان أخلاقها.ج: كونها مجموعة نفيسة من السلف إلى الخلف. و أشهر الكتب الجامعة للأمثال: كتاب «مجمع الأمثال» للميدانى و «جمهرة الأمثال»، لأبى هلال العسكرى و«العقد الفريد»، لابن عبد ربه و غيرها. و لا يسمى القول مثلاً إلا إذا سرى و ذاع بين الناس جميعاً.

۳ . روى: الصيفَ ضيعت اللبن (عن مجمع الأمثال). و أصل المثل: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه فطلقها و تزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبناً وقت الشتاء فقال لها ذلك. و إجراء الاستعارة فيه، أن يقال: شبهت هيئة من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله و أراده في زمن عدم إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلبت الطلاق من الشيخ الغنى ثم رجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء، بجامع هيئة انتزاعية من التفريط زمن الإمكان و الطلب زمن عدم الإمكان، و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يُمكنه الحصول عليه فيه، ونحو: إني أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى،[١] يضرب لمن يتردد في أمر، فتارة يُقدم وتارة يُحجم، ونحو: أحشفاً وسوء كيلة،[٢] يضرب لمن يظلِم من وجهين، وأصله أنّ رجلاً اشترى تمراً من آخر، فإذا هو رديء وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك.

و قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي وهو مستتر تحت أمر ظاهر: لأمر ما جدع قصير أنفه[٣].

و قولهم في مقام التحسر على مخالفة مشاور ناصح عالم مجرب و الندامة لمخالفته: لو كان يطاع لقصير أمر.[٤]

وقولهم لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه: اليد لا تصفق وحدها.[٥]

---

١ . إجراء الاستعارة فيه، أن يقال: شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله و ألا يفعله بهيئة من يتردد في الدخول، فتارة يقدّم رجله، وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل، و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

٢ . إجراء الاستعارة فيه، شبهت هيئة من يَظلم من وجهين، بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً و ناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل، ثم استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

٣ . إجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ظاهر ليحصل على أمر خفي يريده، بهيئة الرجل المسمى «قصيراً» حين جدع أنفه ليأخذ بثأر «جذيمة» من «الزباء» بجامع الاحتيال في كل و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

٤ . إجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة الرجل الذى يستشار و يعصى بهيئة رجل يسمى قصيراً استشاره الجذيمة فى خطبة الزباء التى قتل أباها، فمنعه قصير فلم يقبل منه فقتل بالزباء. و من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد التحكيم و ما بلغه من أمر الحكمين. أما بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحسرة و تعقب الندامة و قد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة و نخلت لكم مخزون رأيى لو كان يطاع لقصير أمر. نهج البلاغة /خ ٣٥.

٥ . إجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملاً وحده و هو عاجز عنه، بهيئة يد واحدة تريد أن تصفّق، بجامع العجز في كل، و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر: عاد السيف إلى قرابه، وحلّ الليث منيع غابه.[١]

وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: قطعت جهيزةُ قول كلِّ خطيب.[٢]

ومن الشعر قول الشاعر:

إذا جـــاء موســـى وألقـــى العصـــا فقـــد بطـــل الســـحر والســـاحر[٣]

و قول آخر:

إذا قالـــت حـــذام فصدِّقوهـــا فـــإن القـــول مـــا قالـــت حـــذام[٤]

و قول آخر:

متـــى يبلـــغ البنيـــان يومـــاً تمامـــه إذا كنـــت تبنيـــه وغيـــرك يهـــدم[٥]

و كانت هذه الاستعارة مَحطّ أنظار البلغاء، لا يعدلون بها إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها، فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناها تشبيه التمثيل (الذي قد عرفت

---

١ . إجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة المجاهد الذى أقام نفسه لجهاد أعداء الدين ثم عاد إلى وطنه مظفراً منصوراً، بالهيئة الحاصلة من عود السيف إلى قرابه، و حلول الليث فى غابه، بجامع الظفر و الصلابة حال العود و الاستقرار، و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

٢ . أصل هذا المثل: أن قوماً اجتمعوا للتشاور في الصلح بين حَيّين من العرب قتل رجل من أحدهما رجلاً من الآخر، و بينما خطباؤهم يتكلمون، إذا بجارية تُدعى «جهيزة» أقبلت فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه، فقال أحدهم: «قطعت جهيزة قول كل خطيب.»، فذهب قوله مثلاً.

٣ . إجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة من يحصل بوجوده فصل المشكلات، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام، مع سحرة فرعون، بجامع الإتيان ببرهان قاطع في كل، و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

٤ . إجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق و لا يخبر إلا بالصدق، بهيئة المرأة المسماة «حذام» بجامع الصدق في كل، و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

٥ . اجراء الاستعارة فيه: شبهت هيئة حاصلة من حال مصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله، بحال البنيان ينهض به بانٍ حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه، و الجامع هو الهيئة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية، لوجود ما يفسد على المصلح إصلاحه، ثم حذف المشبه، و استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

أن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة) ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته،. و قد كثر ذلك في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عمّا ينطوي تحتها من التشبيه. و بلاغة الاستعارة ناشئة عن ما في تلك الصورة من الروعة و سمو الخيال.

وينبغي في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة، من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، و كون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، ومن عدم شم رائحة التشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جلياً، لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية.

تمارين

بيِّن أنواع الاستعارات فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾(الرحمن/٣١).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف/٦٠).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (الأنعام/٦٨)

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (الأنعام/٩٣).

قال الشاعر:

فسمونا و الفجر يضحك في ... الشرق إلينا مبشراً بالصباح

قال الشاعر:

لسنا و إن أحسابنا كرمت ... يوماً على الأحساب نتكل

قال الشاعر:

عضّنا الدهر بنابه ... ليت ما حلَّ بنا به

❖ بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين:

الأولى: طريقة تأليف ألفاظه.

الثانية: ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان.(لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله له استعداداً سليماً في تعرّف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه قدرة على ربط المعاني، وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي).

وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدّى هاتين الناحيتين.

فبلاغتها من ناحية اللفظ: أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تُنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

لهذا كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ لأنه و إن بني على ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به، لا يزال فيه التشبيه منوياً ملحوظاً، بخلاف الاستعارةفالتشبيه فيها كأنّه منسي مجحود، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة، وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة كما سبق.

و **بلاغتها من حيث الابتكار وروعة الخيال:** فما يبتكره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة، (التي تأخذ بمجامع الأفئدة وتملك على القارىء والسامع لبهما و عواطفهما) هو سر بلاغة الاستعارة فمن الصور المجملة التي عليها طابع الابتكار و روعة الجمال قول شاعر الحماسة:

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا اليه زرافاتٍ و وحداناً

فإنه قد صور لك الشر بصورة حيوان مفترس، مُكشِّر عن أنيابه، ممّا يملأ فؤادك رعباً، ثم صور القوم الذين يعنيهم، بصورة طيور جوارح تطير إلى مصادمة الأعداء، طيراناً مما

يستثير إعجابك بنجدتهم، و يدعوك إلى إكبار حميّتهم و شجاعتهم.

و منهم من يعمد إلى الصورة التي يرسمها، فيفصّل أجزاءها، و يبين لكل جزء مزيته الخاصة، كقول امرىء القيس في وصف الليل بالطول:

فقلت له لمّا تمطّى بصُلبه   و أردف أعجازاً و ناء بكلكَل

فإنه لم يكتف بتمثيل الليل، بصورة شخص طويل القامة، بل استوفى له جملة أركان الشخص، فاستعار له صلباً يتمطى به (إذ كل ذي صلب يزيد في طوله تمطيه) و بالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يُردف بعضَها بعضاً، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره، فاستعار له كلكلاً ينوء به (أي: يثقل به) و لا يخفى عليك ما يتركه هذا التفصيل البديع في قلب سامعه من الأثر العظيم، و الارتياح الجميل.

و منهم من لا يكتفي بالصورة يرسمها، بل ينظر إلى ما يترتب على الشيء، فيعقّب تلك الصورة بأخرى أشد و أوقع، كقول أبي الطيب المتنبيء:

رماني الدهر بالأرزاء حتى   فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام   تكسرت النصال على النصال

فإنه لم يكتف بتصويره المصائب سهاماً في سرعة انصبابها وشدة إيلامها، ولا بالمبالغة في وصف كثرتها، بأن جعل منها غشاءً محيطاً بفؤاده، حتى جعل ذلك الغشاء من المَتانة والكَثافة، بحيث إن تلك النصال مع استمرار انصبابها عليه لا تجد منفذاً إلى فؤاده، لأنها تتكسر على النصال التي سبقتها، فانظر إلي هذا التمثيل الرائع، و قل لي هل رأيت تصويراً أشد منه لتراكم المصائب و الآلام؟

و انظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (الملك /٨)، ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم، بطّاش مُكفَهِرّ الوجه، عابس يغلي صدره حقداً وغيظاً. (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

الباب الثالث

في الكناية وتعريفها و أنواعها

الكناية لغة: أن يتكلم بشيء، ويراد به غيره. وهي: مصدر قولك كنيت، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا عدلت عن التصريح به و أشرت به إليه.

واصطلاحاً: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة غيرمانعة من إرادة المعنى الوضعي، نحو: زيد طويل النِجاد. تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذاً المراد: شجاعته، و إن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصحّ أن يراد المعنى الحقيقي.

ومن هنا يعلم أن **الفرق بين الكناية والمجاز**: صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز، فإنه ينافي ذلك،نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع، كقوله تعالى:﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر/٦٧) وكقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/٥) كناية عن تمام القدرة، وقوة التمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

١. كناية عن صفة: كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾ (كهف/٤٢)، فتقليب الكفّين كناية عن الندم و الحزن لان النادم الحزين يفعل ذلك عادة و كما تقول: هو ربيب أبي الهول، تكني عن شدّة كتمانه لسره. ومنها قولهم: هو حارس على ماله. كنوا به عن البخل، ومنها قولهم: هو فتىً رياضي. يكنون به عن القوة، وهلم جرّا.

وهي نوعان:[١]

أ. كناية قريبة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه والمعنى المنتقل إليه. نحو: فلان عريض القفا، كناية عن بلادته.

ب. كناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط. نحو: فلان كثير الرماد، كناية عن المضياف. والوسائط هي: الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها الى كثرة الأكَلة و منها الى كثرة الضيوف و منها إلى المطلوب، وهو المضياف الكريم.

٢. كناية عن موصوف: كما تقول: أبناء النيل تكني عن المصريين، و مدينة النور تكني عن باريس، و الكناية عن الموصوف تكون بذكر الصفة مباشرة، أو ملازمة للموصوف: فالمباشرة كالغائط بمعنى المنخفض من الارض كناية عن العذرة فان الغائط ليس بلازم للعذرة بل مباشر لها و مصاحب لها فى الخارج لانّ الناس يقضون حاجتهم الطبيعيّه فيه عادة و الملازمة كموطن الاسرار كناية عن القلب.

و المكنى به فى هذه الكناية قد يكون معنىً واحداً: كموطن الأسرار كناية عن القلب، في قول الشاعر:

فلما شربناها ودب دبيبها ... إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

---

١. اختصاص المقسم بالقسم الأول دون الآخرين بالنظر إلى الاستقراء و إلا فالعقل يجوز تقسيمهما إليهما أيضاً.

و مجامع الأضغان كنايةً عنه في قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

وقد يكون مجموع معان: كقولك: جاءني حيّ مستوى القامة، عريض الأظفار كناية عن الإنسان، لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به.

٣.**كناية عن نسبة**: الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكني به نسبة الامر الى ما له اتصال بالامر الاخر كناية عن نسبته اليه، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (شورى /١١) حيث جعل نفى مثل مثله كنايةً عن نفى مثله اىْ اذ لو كان له مثل لكان مثل مثله. و نحو قول الشاعر:

إن السماحة و المروءة و الندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنّ جعل هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به يستلزم إثباتها له.

والكناية المطلوب بها نسبةٌ على قسمين:

١. **أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها**: كقول الشاعر:

اليُمن يتبع ظلّه والمجدُ يمشي في ركابه

٢. **أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها**: كقولك: خير الناس من ينفع الناس،كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعهم.

و تنقسم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازم) و السياق إلى أربعة أقسام[١]: تعريض و تلويح و رمز و إيماء.

١. **التعريض** لغة: خلاف التصريح. و اصطلاحاً: هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر، يفهم من السياق، مع قصد طعن شخص معين أو أشخاص معهودة به، نحو قولك للمؤذي: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» تعريضاً بنفي صفة الإسلام عنه،

١. الصحيح تقسيم الكناية أولاً إلى أ: التعريض ب: غير التعريض و ثانياً إلى أ: التلويح ب: الرمز ج: الإشارة.

وكقول المتنبي تعريضاً بسيف الدولة:

إذا الجودُ لم يرزق خلاصاً من الأذى ... فلا الحمدُ مكسوباً ولا المال باقياً

٢. **التلويح** لغة: أن تشير إلى غيرك من بعد. و اصطلاحاً: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، نحو:

وما يكُ فيّ من عيبٍ فإني ... جبانُ الكلب مهزول الفصيل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب، مهزول الفصيل، فإن الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

٣. **الرمز** لغة: أن تشير إلى قريب منك خفية بنحو شفة أو حاجب. و اصطلاحاً: هو الذي لاواسطة له اوْ قلّت وسائطه، مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو: فلان عريض القفا، أو عريض الوسادة، كناية عن بَلادته وبَلاهته. ونحو: هو مُكتنِز اللحم، كناية عن شجاعته. ومتناسب الأعضاء كناية عن ذكائه. ونحو: غليظ الكبد كناية عن القسوة. وهلم جرّا.

٤. **الإيماء** أو **الإشارة**: هو الذي قلت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله ... في آل طلحة ثم لم يتحول

كناية عن كونهم: أمجاداً أجواداً، بغاية الوضوح ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

سألت الندى والجود مالي أراكما ... تبدلتما ذلاً بعزٍّ مؤبد

وما بال رُكن المجد أمسى مهدّما ... فقالا: أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت: فهلاّ مُتُّما عند موته ... فقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا: أقمنا كي نُعزّى بفقده ... مسافة يوم ثم نتلوه في غد

❖ بلاغة الكناية

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته.

والسر في بلاغتها أنها في صُور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيّها برهانها، كقول البحتري في المديح:

يغضُّون فضل اللحظ من حيث مابدا لهم عن مهيب في الصدور مُحبَّب

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهم إياه، بغض الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون، فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس، بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل كثير الرماد في الكناية عن الكرم ورسول الشر في الكناية عن المزاح، وقول البحتري:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحةَ ثمَّ لم يتحوَّل

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كل أولئك يبرز لك المعاني في صورة تشاهدها، وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية: أنها تمكنك من أن تشفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً، ودون أن تخدش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض.

ومثاله قول المتنبي في قصيدة، يمدح بها كافوراً ويعرّض بسيف الدولة:

فلو كان مابي من حبيب مقنَّع و عذرت ولكن من حبيب معمَّم

رمىٰ واتقى رميي و من دون ما اتقى هوى كاسركفي و قوسي و أسهمي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه و صدق ما يعتاده من توهم

فإنه كنى عن سيف الدولة، أولاً: بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذي يُدّعى أنه من شيمة النساء، ثم لامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن، لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوىً قديماً، يكسر كفه وقوسه وأسهمه، إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيىء الظن بأصدقائه لأنه سيىء الفعل كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل، وضعف الوفاء، فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله، من غير أن يذكر من اسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تُسيغ الآذان سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم، وكلام العرب فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة بالبيضة والشاة.

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

ألا يا نخلة من ذات عرق ... عليك ورحمة الله السلام

فإنه كنى بالنخلة، عن المرأة. [عن البلاغة الواضحة بتصرُّف].

❖ أثر علم البيان في تادية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان: أن معنى واحداً يستطاع أداؤه بأساليبَ عديدة، وطرائقَ مختلفة، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقلي،أو الكناية، فقد يصف الشاعر انساناً بالكرم، فيقول:

يريـــد الملـــوك مـــدى جعفـــر ولا يصنعـــون كمـــا يصنـــع
وليـــس بأوســـعهم فـــي الغنـــى ولكـــنَّ معروفـــه أوســـع

وهذا كلام بليغ جداً، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالاً.

وقد يعمد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر، فيقول:

كالبحـــر يقـــذف للقريـــب جواهـــرا جـــوداً ويبعـــثُ للبعيـــد ســـحائبا

فيشبه الممدوح بالبحر، ويدفع بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد.أو يقول:

هـــو البحـــر مـــن أي النواحـــي أتيتـــه فلُجّتـــه المعـــروف والجـــود ســـاحله

فيدّعي، أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكراناً يدل على المبالغة، وادعاء المماثلة الكاملة. أو يقول:

عـــلا فمـــا يســـتقر المـــال فـــي يـــده وكيـــف تُمســـك مـــاءَ قنـــةُ الجبـــل؟

فيرسل إليك التشبيه: من طريق خفيّ، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة، وليجعل لك من التشيبه الضمني دليلاً على دعواه، فإنه ادّعى: أنه لعلو منزلته ينحدر

المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً، فقال: وكيف تمسك ماءً قنة الجبل. أويقول:

جرى النهر حتى خلته منك أنعماً تساق بلا ضن وتعطى بلا منّ[١]

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة، وافتناناً في أساليب الإجادة، ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح بعد أن كان المألوف أن تشبه النعم بالنهر الفيّاض. أو يقول:

كأنه حين يعطي المال مبتسماً صوب الغمامة تهمي وهي تأتلق[٢]

فيعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة، تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامة السرور تعلو شفتيه. أو يقول:

جادت يد الفتح والأنواء باخلة وذاب نائله والغيث قد جمدا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدّعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع، إذا انقطعت الأنواء، أو جمد القطر. أو يقول:

قد قلت للغيم الركام ولجَّ في إبراقه وألحّ في إرعاده[٣]
لا تعرضن لجعفر متشبِّها بندى يديه فلست من أنداده

فيصرح لك في جلاء، وفي غير خشية، بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا، بل تراه ينهى السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه، لأنه ليس من أمثاله ونظرائه. أو يقول:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة، فينزع في وصف الممدوح بالكرم، إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه، والمبالغة فيها

---

١. الضن: البخل، و المن: الامتنان بعدّ الصنائع.

٢. تهمي: تسيل، وتأتلق: تلمع.

٣. الغيم الركام: المتراكم، و لجَّ و ألحّ: كلاهما بمعنى استمرّ.

أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ. أو يقول:

دعــوت نــداه دعــوة فأجابنــي وعلّمنــي إحســانه كيــف آملــه

فيشبه ندى ممدوحه وإحسانه بإنسان، ثم يحذف المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهذا ضرب آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها وهوالاستعارة المكنية. أو يقول:ومن قصد البحر استقل السواقيا.

فيرسل العبارة كأنها مثل، ويصوّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة، وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه، وتؤيّد الحال الذي يدّعيها. أو يقول:

مـا زلـت تتبـع مـا تولـي يـدا بيـد حتـى ظننـت حياتـي مـن أياديـكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة، إلى المجاز المرسل ويطلق كلمة يد ويريد بها النعمة، لأن اليد آلة النعم. أو يقول:

أعــاد يومــك أيامــي لنضرتهــا واقتـصّ جودُك مـن فقـري وإعسـاري

فيسند الفعل إلى اليوم، وإلى الجود، على طريقة المجاز العقلي. أو يقول:

فمــا جــازه جــود ولا حــلَّ دونــه ولكــن يســير الجــود حيــث يســير

فياتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بقوله إنّ الجود يسير معه دائماً لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم، قال إنَّ الكرم يسير معه أينما سار.

ولهذه الكناية من البلاغة، والتأثير في النفس، وحسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع، التعبيرعن وصف انسان بالكرم بأربعة عشرأسلوباً كلٌ له جماله وحسنه وبراعته، ولو نشاء، لأتينا بأساليب كثيرة أخرى في هذا المعنى، فإن للشعراء

ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني، لا يكاد ينتهي إلى حدّ.

ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى، كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكنّا لم نقصد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربي، والآثار الأدبية، ستجد بنفسك هذا ظاهراً، وستدهش للمَدى البعيد الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغي، والإبداع في صوغ الأساليب[١].

---

١. عن البلاغة الواضحة بتصرف.

تمارين

١. بيِّن أنواع الكنايات الآتية، وعيّن لازم معنى كل منها.

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(المسد /١).

قال علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام: أنا ابن مكة و منى أنا ابن زمزم و صفا.

قال فرزدق في قصيدته المعروفة:

ما قال: لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لائه نعم

٢. بيِّن أنواع الكنايات الآتية، وبيِّن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصح:

وصف أعرابي رجلاً بسوء العشرة فقال: كان إذا رآني قرَّب من حاجب حاجباً.

قال أبو نواس في المديح:

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يسير الجود حيث يسير

تكني العرب عمّن يجاهر غيره بالعداوة بقولهم:

لبس له جلد النمر، وجلد الأرقم وقلب له ظهر المجن.

فلان عريض الوسادة.

تقول العرب في المديح: الكرم في أثناء حلته. ويقولون: فلان نفخ شدقيه، أي: تكبر، وورم أنفه، أي:غضب.

قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قلة الجرذان.[1]

قال شاعر:

مطبخ زيد في نظافته ... أشبه شيء بعرش بلقيس

---

١ . الجرذان جمع جرذ و هو ضرب من الفأر.

ثيــابُ طبّاخــه إذا اتســخت ... أنقــى بياضــاً مــن القراطيــس

قال آخر:

اليُمــن يتبــع ظلــه ... والمجــد يمشــي فــي ركابــه

قال آخر:

أصبــح فــي قيــدك السماحة والمجــد ... وفضــل الصــلاح والحســب

فلسنا على الأعقـاب تدمـي كلومنـا ... ولكـن علـى أقدامنـا تُقطـرُ الدمـا

قال آخر:

المجــد بيــن ثوبيــك ... والكــرم مــلء برديــك

«٣»

البديع

١. في المحسنات المعنوية

٢. في المحسنات اللفظية

❖ مقدمة

البديع لغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ ومشتق من قولهم: بدع الشيءَ، وأبدعه: اخترعه لا على مثال.[١]

و اصطلاحاً: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد بلاغته.

و **واضعه**: عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة٢٧٤ هجرية. ثم اقتفى أثره في عصره «قدامة بن جعفر الكاتب» فزاد عليها، ثم ألف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري،وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلي، وابن حجة الحموي، وغيرهم ممن زادوا في أنواعه، ونظموا فيها قصائد تعرف بالبديعيّات.

وفي هذا العلم بابان وخاتمة.

---

١ . البديع فعيل بمعنى مُفْعَل، أو بمعنى مفعول، ويأتي بمعنى مُفعِل كما في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة/١١٧) أي: مُبدِعها.

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

(١) التورية

التورية: لغة: مصدر ورّيت الخبر تورية: أى سترته وأظهرت غيره.

و اصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره، ويستره عن غير المتيقظ الفطن، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾(الأنعام/٦٠) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب لا معناه القريب وهو الشق في الجسم، ولأجل هذا سميت التورية إيهاماً وتخييلاً، وكقول سراج الدين الوراق:

أصونُ أديم وجهي عن أناس ... لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض ... ولو وافى به لهم «حبيب»

أراد بقوله: «حبيب» معناه البعيد وهو أبوتمام الطائي، لامعناه القريب وهو المحبوب.

وكقوله:

أبيات شعرك كالقصـ ... ـور ولا قصور بها يعوق
ومن العجائب لفظها ... حُرٌّ ومعناها «رقيق»

أراد بقوله: «رقيق» معناه البعيد وهو اللطيف، لامعناه القريب وهو العبد.

وكقوله:

برغم شبيب فارق السيف كفَّه ... وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه ... رفيقك قيسيّ و أنت «يمان»

يريد أنّ كفّ شبيب و سيفه متنافران لا يجتمعان لان شبيباً كان قيسياً و السيف يقال له «يمانى» فَوَرّىَ به عن الرجل المنسوب الى اليمن و معلوم ما بين قيس و اليمن

من التنافر فظاهر قوله «يمانى» انه رجل منسوب الى اليمن و مراده البعيد السيف لان كلمة يمانى من اسمائِهِ.

(٢)الاستخدام

الاستخدام: هو ذكر لفظ له معنيان، يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما.

فالأول: كقوله تعالى:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(البقرة/١٨٥) أريد أولاً بالشهر الهلال ثم أُعيد عليه الضمير أخيراً بمعنى أيام رمضان[١]. وكقول معاوية بن مالك:

إذا نزل السماء بأرض قوم   رعيناه و إن كانوا غضاباً

أراد بالسماء المطر وبضميره في رعيناه النبات، وكلا المعنيين مجازي للسماء.

والثاني: كقول على اميرالمؤمنين عليه السلام: خَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا[٢] فالضمير فى «فاطالها و قصرها»، راجع الى الاجال بمعنى المهلة و الضمير فى «قدمها و اخرها» راجع الى الاجال بمعنى زمن الموت.

و كقول البحتري:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم   شبُّوه بين جوانحٍ و قلوب

الغضا: شجر بالبادية، وضمير «الساكنيه» أولاً راجع إلى الغضا باعتبار المكان وضمير «شبّوه» عائد ثانياً إلى الغضا بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما مجازيّان

---

١ . هذا مبنى على أن «شهد» بمعنى عاين و رأى، قال فى تاج العروس: شاهده مشاهدةً: عاينه كشهده و مبنى على أن «الشهر» قد يطلق على الهلال و لو مجازاً «لاحظ التحرير و التنوير، ج ٢، ص١٧٢» و المشهور أن شهد بمعنى حضر و الشهر بمعنى الأيّام.

٢ . نهج البلاغه/خطبه ٩١.

للغضا.

(٣) الاستطراد

الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول، كقول السموأل:

وإنـا لقـوم لا نـرى القتـل سُـبّة ... إذا مـا رأتـه عامـر وسـلول
يقـرّب حـب المـوت آجالنا لنـا ... و تكرهـه آجالهـم فتطـول

فسياق القصيدة، للفخر بقومه، وانتقل منه إلى هجو قبيلتي «عامر وسلول» ثم عاد إلى مقامه الأول، وهو الفخر بقومه .وكقوله:

لنـا نفـوس لنيـل المجـد عاشـقة ... فـإن تسـلّت أسـلناها علـى الأسـل
لا ينـزل المجـد إلا فـي منازلنـا ... كالنـوم ليـس لـه مـأوى سـوى المُقـل

(٤) الافتنان

الافتنان: هو الجمع بين فنين مختلفين، كالغزل والحماسة، والمدح والهجاء، والتعزية والتهنئة، و الوعد و الوعيد، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم/٧٢) جمع بين الوعد و الوعيد، و بين التبشير و التحذير.

وكقول عنترة يخاطب عبلة:

ولقـد ذكرتـك والرمـاح نواهـل ... منّي وبيض الهند تقطُر من دمي
فـوددتُ تقبيـل السـيوف لأنهـا ... لمعـت كبـارق ثغـرك المُتبسّـم

(٥) الطباق[١]

الطباق: هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾(الحديد/٣) وكقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(الكهف/١٨) أو فعلين، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾(النجم/٤٤). وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾(الأعلى/١٣).

أو حرفين، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة /٢٢٨).

أو مختلفين، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٢] (الرعد/٣٣). وكقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام /١٢٢).

فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة.

---

١ . و يسمى بالمطابقة، و بالتضاد، و بالتطبيق، وبالتكافؤ، و بالتطابق، و هو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد، في وقت واحد، بحيث يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين، أو النقيضين، أو الايجاب و السلب، أو التضايف.

٢ . ملخص القول أن الطباق هو الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد، و هو نوعان.

(١) طباق سلب: و هو أن يجمع بين مشتقين، من مصدر واحد، أحدهما مثبت، و الآخر منفي، كقوله تعالى: يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ (النساء/١٠٨)و وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (الروم/٦-٧) وفَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ (المائدة/٤٤).

(٢) طباق الإيجاب: و هو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد، و يلحق بالطباق، ما بني على المضادة، تأويلاً في المعنى، كقوله تعالى:فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ (البقرة/٢٨٤) فإن التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التي هي ضد المغفرة، أو تخييلاً في اللفظ باعتبار أصل معناه، كقوله تعالى: مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (الحج/٤) أي: يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار و لكن لفظه يقابلها في أصل معناه، و هذا يقال له: «إيهام التضاد».

(٦) المقابلة

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل/١٠-٥) وكقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف/١٥٧) و قول النبي ﷺ للأنصار: إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع.[١] وقال خالدبن صفوان يصف رجلاً: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية. وكقوله:

فتىً كان فيه ما يسرّ صديقه ... على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا

وكقوله:

وباسط خير فيكم بيمينه ... وقابض شر عنكم بشماله

وكقوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

و كقوله:

يا أُمّة كان قبح الجور يسخطها ... دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

(٧) مراعاة النظير[٢]

مراعاة النظير: هي الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١)و إما بين أكثر،

---

١. شرح ابن أبي الحديد ٢/ص١٠٥.

٢. و تسمى: بالتناسب، و التوافق، و الائتلاف، و التلفيق.

كقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة/١٦).

و كقوله:

كأنّ الثريا عُلقت في جبينها ... وفي نحرها الشِعري وفي خدّها القمر

و كقوله:

والطلّ في سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط

والطير يقرأ والغدير صحيفة ... والريح تكتب والغمام ينقط

و من مراعاة النظير ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام يعني: أن يختتم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، كقوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الأنعام/١٠٣) فإن اللَّطِيفَ يناسب عدم إدراك الأبصار له، والْخَبِيرَ يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار و يسمى بتشابه الاطراف المعنوى كما سياتى.

ويلحق بمراعاة النظير ما يسمّى ايهام التناسب و هو ما بني على المناسبة في اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة، كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن/٦-٥) فإن المراد بكلمة النَّجْمُ هنا النبات، فلا يناسب الشَّمْسُ والْقَمَرُ لكن لفظه يناسبهما، باعتبار دلالته على الكوكب.

(٨) الإرصاد

الإرصاد: هو أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة، أو القافية من البيت ما يدل عليها إذا عرف

الرّويّ، كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[١](ق/٣٩) وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت/٤٠) وكقول الشاعر:

أحلّت دمي من غير جُرم وحرّمت ... بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فليس الذي حللته بمحلل ... وليس الذي حرمته بحرام

ونحو:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وقد يستغنى عن معرفة الرويّ، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف/٣٤).

(٩) الإدماج

الإدماج: هو أن يُضمَّن كلام قد سيق لمعنى، معنى آخر لم يصرح به، كقول المتنبي:

أقلّبُ فيه أجفاني كأني ... أعدّ بها على الدهر الذُّنوبا

ساق الشاعر: هذا الكلام أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر، في وصف الليل بالطول.

(١٠) المذهب الكلامي

المذهب الكلامي: هو أن يورد المتكلم على صحّة دعواه حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب، كقوله تعالى: ﴿لَوْ

---

١ . بعد قوله تعالى: وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ.

كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾(الأنبياء/ ٢٢) و اللازم (و هو الفساد) باطل، فكذا الملزوم (وهو تعدد الآلهة) و ليس شيء أدلّ على ذلك من الحقيقة و الواقع، وكقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (الحج /٥) و كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(الروم /٢٧) وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

وسمي هذا النوع بالمذهب الكلامي لأنه جاء على طريقة علم الكلام و التوحيد و هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين القاطعة.

(١١) حسن التعليل

حسن التعليل: هو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء الحقيقية، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطيف، بحيث تناسب الغرض الذي يرمى إليه. يعني أن الأديب يدّعى لوصف علّة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسن وطرافة، فيزداد بها المعنى المراد (الذي يرمى إليه) جمالاً وشرفاً، كقول المعري في الرثاء:

وما كُلفة البدر المُنير قديمة ... ولكنها في وجهه أثر اللطم

يقصد: أن الحزن على المرثي شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك يدعي أن كلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي، و مثله قول الشاعر الآخر:

أمّا ذكاء فلم تصفرّ إذ جنحت ... إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

يقصد: أن الشمس لم تصفرّ عند الجنوح إلى المَغيب للسبب الحقيقي ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح، ومثله قول الشاعر الآخر:

ما قصُر الغيث عن مصر وتربتها ... طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجل

ولا جــرى النّيــل إلا وهــو معتــرف   بســبقكم فلــذا يجــري علــى مهــل

ينكر هذا الشاعر الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سبباً آخر، وهو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضل الممدوح و جوده لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

ولابد في العلة أن تكون ادعائية.

ثم إن الوصف أعم من أن يكون ثابتاً فيقصد بيان علته، أوغير ثابت فيراد إثباته.

الأول: وصف ثابت، و هو:

أ. وصف ثابت غيرظاهرالعلة، كقوله:

لــم تحــك نائلــك الســحاب وإنمــا   حُمَّــت بــه فصبيبهــا الرحضــاء

وقوله:

زعــم البنفســج أنــه كعــذاره   حســناً، فسلُّوا مــن قفــاه لســانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف غيرظاهرالعلّة ،لكنه ادعى أن علته الافتراء على المحبوب.

ب. وصف ثابت ظاهرالعلة، غير التي تذكر، كقول المتنبي:

مــا بــه قتــل أعاديــه ولكــن   يتّقــي إخــلاف مــا ترجــو الذِئــاب

فإن قتل الأعادي عادة للملوك، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرهم ولكن المتنبي اخترع لذلك سبباً غريباً، فتخيّل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به، حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي، ومحبته إجابة طالب الإحسان ومن ثم فتك بهم، لأنه علم، أنه إذا غدا للحرب، رجت الذئاب أن يتّسع عليها رزقها، وتنال من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلباً.

والثاني: وصف غيرثابت، وهو:

أ. ممكن، كقول مسلم بن الوليد:

يــا واشــياً حســنت فينــا إســاءته   نجـى حـذارك إنسـاني مـن الغـرق

فاستحسان إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه، عقبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم انسان عينه من الغرق في الدموع.

ب. غير ممكن، كقول الشاعر:

لــو لــم تكــن نيــة الجــوزاء خدمتــه   لمــا رأيــت عليهــا عقــد منتطــق[1]

فقد ادّعى الشاعر: أنّ الجوزاء تريد خدمة الممدوح، وهذه صفة غير ممكنة، ولكنه علّلها بعلّة طريفة، ادّعاها أيضاً ادّعاءً أدبياً مقبولاً إذ تصور أن النجوم التي تُحيط بالجوزاء، إنما هي نطاق شدته حولها على نحو ما يفعل الخدم، لتقوم بخدمة الممدوح.

(١٢) التجريد

التجريد: لغة: إزالة الشيء عن غيره.

و اصطلاحاً: أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، و التجريد على قسمين:

أ. **ما يكون بواسطة** و هو على قسمين لانه امّا ان يكون بواسطة من التجريدية الداخلة على المنتزع منه، كقولك: لي من فلان صديق حميم. أي: بلغ فلان من الصداقة حداً صحّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها. ونحو قول الشاعر:

---

١. هذا البيت ترجمة بيت فارسیّ أوردها الجرجانیّ فی اسرار البلاغة و هو:

گر نبودی قصد جوزا خدمتش   کس ندیدی در میان او کمر

تـرى منهـم الأسـد الغضـاب إذا سـطوا　　　وتنظـرمنهـم فـي اللقـاء بـدوراً

و امّا ان يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه، كقولهم: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها.

ب: ما يكون بغير واسطة كقول الشاعر:

فلئـن بقيـت لارحلـنَّ بغـزوةٍ　　　تحـوى الغنائـم او يمـوت كريـم

يعنى بالكريم نفسه فكانه انتزع من نفسه كريماً مبالغةً فى كرمه ولهذا لم يقل: «أوأموت».

و كقول الأعشى:

يـا خيـر مـن يركـب المطـيّ و لا　　　يشـرب كأسـاً بكـف مـن بخـلا

(١٣) المشاكلة

المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(المائدة/١١٦) المراد: ولا أعلم ما عندك، وعبّر بالنفس للمشاكلة، وكقوله تعالى: ﴿نَسُواْ اللّه فَنَسِيَهُمْ﴾(التوبة/٦٧)أي: أهملهم، ذكرالإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حكي عن أبي الرقعمق: أن أصحاباً له، أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في

---

١ . أي: يشرب الكأس بكف الجواد ، انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية، لأن عدم الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم و هو لا يشرب إلا بكف نفسه، فإذاً هو ذلك الكريم.

و من التجريد خطاب المرء نفسه، كقول المتنبي:

لا خيل عندك تهديها و لا مال　　　فليسعد النطق إن لم تسعد الحال.

أي: الغني، فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر و خاطبه، و هذا كثير في كلام الشعراء، و إنما سمي هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً عن الإنسان، كأنه غيره، و فائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له.

يوم بارد، ويقولون له، ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً ؟ وكان فقيراً، ليس له كسوة تقيه البرد، فكتب إليهم يقول:

إخوانـنـا قصـدوا الصبـوح بسـحرة ... وأتـى رسـولهم إلـيّ خصيصـاً[1]

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلـت اطبخـوا لـي جبـة وقميصـاً

وكقول ابى تمام:

مـن مبلـغ أفنـاء يعـرب كلهـا ... أنـي بنيـت الجـار قبـل المنـزل

وكقول عمرو ابن كلثوم:

ألا لا يجهلـن أحـد علينـا ... فنجهـل فـوق جهـل الجاهلينـا

(١٤) المزاوجة

المزاوجة: هي أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، بأن يرتب على كل منهما معنى، رتب على الآخر، كقوله:

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ... أصاخت إلى الواشي فلجّ بها الهجر

زاوج بين النهى والإصاخة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما.

وكقوله:

إذا احتربـت يومـاً ففاضـت دماؤهـا ... تذكـرت القربـى ففاضـت دموعهـا

زاوج بين الاحتراب أي التحارب و تذكر القربى، في الشرط والجزاء، بترتيب الفيض عليهما.

---

١ الظاهر أن خِصِيصا هنا مخفف الخِصِّيص للضرورة و فى بعض الكتب: خُصوصا.

(١٥) الطي والنشر

الطي والنشر: أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرّف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها، وردّه إلى ما هو له، وهو نوعان:

أ. إما أن يكون النشر فيه **على ترتيب الطي**: كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ (القصص/٧٣) فقد جمع بين الليل والنهار، ثم ذكر السكون لليل، وابتغاء الرزق للنهار، على الترتيب.

وكقوله:

فعـــل المـــدام ولونهـــا ومذاقهـــا　　　فـــي مقلتيـــه ووجنتيـــه وريقـــه

ب. وإما أن يكون النشر **على خلاف ترتيب الطيّ**: كقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (الإسراء/١٢). ذكر ابتغاء الفضل للثاني، وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب.

و يسمى «**اللف والنشر**» أيضاً.

(١٦) الجمع

الجمع: هو أن يجمع المتكلم بين متعدد تحت حكم واحد[١]، وذلك:

أ. في اثنين، كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف/٤٦) وكقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال/٢٨).

ب. في أكثر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة/٩٠).

---

١ . قال فى العقد البديع: الجمع ليس وراءَه كبير امرٍ و لا فيه من الحسن ما يؤهله للانتظام فى سلك المحسنات البديع. العقد البديع فى فن البديع، ص ٢٢٣.

وكقوله:

آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمة للناس كلهم

وكقوله:

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم

(١٧) التفريق

التفريق:أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في اختلاف حكمهما، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾(فاطر/١٢).

وكقول الشاعر:

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

وكقوله:

من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك

السحب تُعطي وتَبكي و أنت تعطي وتضحك

وكقوله:

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين

أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد دامع العين

(١٨) التقسيم

التقسيم: هو أن يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل من أفراده ماله على جهة التعيين، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(الحاقة/٦-٤).

و كقول علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

خلقت الخلائق في قدرة ... فمنهم سخي و منهم بخيل

و أما السخي ففي راحة ... و أما البخيل فشؤم طويل[١]

وكقوله:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلاّن عير الحيّ والوتد

هذا على الخسف مربوط برمّته ... وذا يُشجّ فلا يرثي له أحد

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

الأول: أن تستوفى أقسام الشيء، كقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾(طه / ٦).

و الثاني: أن تذكر أحوال الشيء، مضافاً إلى كل منها ما يليق به، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾(المائدة /٥٤).

وكقوله:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مُرد

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا ... كثير إذا شدُّوا قليل إذا عدّوا

---

١ . بحار الأنوار ٤٩ / ١١١.

(١٩) الجمع مع التفريق

الجمع مع التفريق: أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد، مع تفريق بينهما في الحكم كقوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف/١٢).

وكقوله:

فوجهــك كالنّــار فــي ضوئهــا ... وقلبِـيَ كالنّــار فــي حرهــا

(٢٠) الجمع مع التقسيم

الجمع مع التقسيم: أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد،ثم يُقسِّم، أو يقسّم أولاً، ثم يجمع.

الأول: كقوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الزمر / ٤٢).

وكقول المتنبي:

حتـى أقـام علـى أربـاض خرشـنة[١] ... تشـقى بـه الـروم والصلبـان والبيـع

للسّبى مـا نكحـوا والقتـل مـا ولـدوا ... والنّهـب مـا جمعـوا والنـار مـا زرعـوا

و الثاني: كقول حسان:

قـومٌ إذا حاربـوا ضـروا عدوهـم ... أو حاولـوا النفـع فـي أشياعهم نفعـوا

سـجيّة تلـك فيهـم غيـر محدَثـة ... إنَّ الخلائـق فاعلـم شـرُّها البـدع

---

١ . الأرباض: جمع ربض و هو ما حول المدينة، و خرشنة: بلد بالروم.

(٢١) المبالغة

المبالغة: هي أن يدَّعى المتكلّم لوصف، بلوغه في القوة أو الضعف حداً مستبعداً، أو مستحيلاً، وتنحصر في ثلاثة أنواع:

١. تبليغ: إن كان ذلك الادّعاء للوصف من القوة أو الضعف ممكناً عقلاً وعادة، كقوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾(النور/٤٠) وكقوله في وصف فرس:

إذا ما سابقتها الريح فرَّت ... وألقت في يد الرّيح الترابا

٢. إغراق: إن كان الادّعاء للوصف من القوة أو الضعف ممكناً عقلاً، لا عادة، كقوله:

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

٣. غلوّ:[١] إن كان الادعاء للوصف من القوة أو الضعف مستحيلاً عقلاً وعادة، كقوله:

تكاد قِسِيُّهُ من غير رامٍ ... تُمكِّن في قلوبهم النِّبالا

(٢٢) المغايرة

---

١ . أما الغلو: فمنه مقبول، و منه مردود، فالمقبول ثلاثة أنواع:

أحدها ما اقترن به ما يقربه للصحة، (كفعل مقاربة) كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ (النور/٣٥) . أو أداة فرض، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر/٢١)

و ثانيها: ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي:

عقدت سنابكها عليها عثيراً ... لو تبتغي عنقاً عليه لأمكنا

وقول المعرى:

يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

وثالثها: ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة، كقول النظام:

توهمه طرفي فآلم طرفه ... فصار مكان الوهم في خده أثر
و مر بفكري خاطراً فجرحته ... و لم أر خلقا قط يجرحه الفكر

و قول الآخر:

لك أنف يا ابن حرب ... أنفت منه الأنوف
أنت في القدس تصلي ... و هو في البيت يطوف

المغايرة: هي مدح الشيء بعد ذمه، أو عكسه، كقول الحريري في ذمّ الدِّينار:

تبّـــا لـــه مـــن خـــادع ممـــاذق   أصفـــر ذي وجهيـــن كالمنافـــق

بعدمامدحهبقوله:

أكـرِم بـه أصفَـرَراقـت صفرتـهُ   جَـوّابَ آفـاقِ ترامَـت سَـفَرتُه[1]

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيد المدح بما يشبه الذم نوعان:

الأول: أن يثبت لشيء صفة مدح، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، كقول النابغة:

فتـىً كملـت اخلاقـه غيـر أنـه   جـواد فمـا يبقـي مـن المـال باقيـا

وكقول الشاعر:

وجـوه كأزهـار الريـاض نضـارة   ولكنهـا يـوم الهيـاج صخـور

الثاني: أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء، صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقوله:

ولا عيـب فيهـم غيـر أن سـيوفهم   بهـن فلـول مـن قـراع الكتائـب

وكقوله:

ولا عيـب فيـه غيـر أنـي قصدتـه   فأنسـتني الأيـام أهـلاً وموطنـاً

والنوع الثاني أبلغ.

وقد تقوم لكن مقام أداة الاستثناء.

---

١. مقامات الحريرى، المقامة الدينارية ،ج ١ ،ص ٣١و٣٢.

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح[١]

تأكيد الذّم بما يشبه المدح ضربان أيضاً:

الأول: أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، نحو: فلان حسودٌ إلا أنه نمّام، ونحو: الجاهل عدوّ نفسه إلا أنه صديق السفهاء، وكقوله:

هو الكلب إلاّ أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

وكقوله:

لئيم الطباع سوى أنه جبان يهون عليه الهوان

الثاني: أن يُستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء، صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقوله:

خلا من الفضل غير أنّي أراه في الحمق لا يجاري

ونحو: لا فضلَ للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه. ونحو: فلان ليس أهلاً للمعروف، إلا أنه يُسيء إلى من يُحسن اليه.

(٢٥) التوجيه

التوجيه: هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء[٢] كهجاء ومديح، ودعاء للمخاطب ودعاء عليه، ليبلغ القائل غرضه بما لا يُمسك عليه، كقول بشّار في

---

١. و هناك نوع آخر، يسمى «الهجاء في معرض المدح»، و هو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، و باطنه ذم، كقوله:

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المعدة الفاسدة تخوف تخمة أضيافه فعودهم أكلة واحدة

٢. قال فى العقد البديع: التوجيه هو ان يقصد المتكلم معنىً فيدل عليه بالفاظٍ موضوعة له لكنها متناسبة فى اصطلاح من اسماء اعلام او قواعد علم او فنٍ او نحو ذلك....

خياط أعوراسمه عمرو:

خـــاط لــي عمـــرو قبـــاء ليـــت عينيـــه ســـواء

فإنّ دعاءه لا يُعلم، أ له أم عليه.

وقوله:

كلمـــا لاح وجهـــه بمـــكان كثـــرت زحمـــة العُيـــون عليـــه

ويحكى أن محمدبن حَزم هَنَّأَ الحسن بن سهل باتصال بنته بوران (التي تنسب إليها الأطبخة البورانية) بالخليفة المأمون العباسي مع من هنأه، فأثابهم وحرمه، فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرماني، قلت فيك بيتاً لا يعرف أهو مدح أم ذم. فاستحضره وسأله، فأقرَّ، فقال الحسن: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بـــــارك الله للحســـــــن ولبـــــوُران فــــي الختـــــن

يـــا إمـــام الهـــدى ظفـــر ت ولكـــن ببنـــت مـــن ؟

فلم يُدر: ببنت من؟ أفي العظمة وعلو الشأن ورفعة المنزلة، أم في الدناءة والخسة؟ فاستحسن الحسن منه ذلك.

وللتوجيه اصطلاح آخروهو: أن يقصد الشاعر معنى و يدلّ عليه بالفاظٍ موضوعة له لكنّها متناسبة فى اصطلاحٍ من اسماء اعلام او قواعد علم اوفنٍ.

كقول الشاعر:

ولومـــك ســـيار و شـــرّك ياســـر و وجهـك عبـاس و خلقـك مصعـب

الفرق بين التورية والتوجيه في المصطلح الأول:

أ.التورية: تكون في لفظ واحد، وأما التوجيه: فيكون في تركيب.

ب. التورية: يرجّح المخاطب بها معنى واحداً، هو القريب و إن كان المقصود هو البعيد، والتوجيه: لا يرجح فيه أحد المعنيين على الآخر.

(٢٦) نفي الشيء بإيجابه

نفي الشيء بإيجابه: هو أن يكون ظاهر الكلام إيجاب شيء لشيء و باطنه نفيه عنه أصلًا كقوله تعالى: ﴿ما لِلظَّالِمينَ مِنْ حَميمٍ وَلا شَفيعٍ يُطاعُ﴾ (غافر/ ١٨) ظاهر التقييد ان لهم شفيعاً ولكن لا يطاع و الغرض نفى الشفيع اصلاً و كقوله تعالى: ﴿فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعين﴾ (المدثر/ ٤٨) ظاهره ان لهم شافعين ولكن لا تنفع شفاعتهم و الغرض أنه لا شافعين لهم اصلاً.

(٢٧) القول بالموجب

القول بالموجب، نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفة لشيء وترتيب حكم عليها، فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه: كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(المنافقون/٨)فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين، ورتبوا على ذلك الإخراج من المدينة فنقلت صفة العزة للمؤمنين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له، كقوله:

وقالوا قد صفت منّا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادي

أرادوا بصفو قلوبهم الخلوص، فحمله على الخلو بذكر متعلّقه، وهو قوله: عن ودادي.

(۲۸) ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة، للغزل والمدح، كقول بشار بن برد:

إذا ما غضبنا غضبة مضريَّة ... هتكنا حجاب الشمس أو تمطر[1] الدّما
إذا ما أَعَرْنا سيداً من قبيلة ... ذرا منبر صلّى علينا و سلّما

وكقوله:

ولست بنظار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر

(۲۹) التفريع

التفريع: هو أن يثبت حكم لمتعلّق أمر، بعد إثباته لمتعلق له آخر على وجهٍ يشعر بالتفريع و التعقيب[2] كقول الشاعر:

فاضت يداه بالنضار كما ... فاضت ظباه في الوغي بدمي

وكقول الكميت فى مدح آل البيت عليهم السلام:

أحلامُكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم تشفي من الكَلَب

(۳۰) الاستتباع

الاستتباع: هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحاً.

و بعبارة اخرى: الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر، كقوله:

ألا أيها المال الذي قد أباده ... تعزَّ فهذا فعله بالكتائب

---

١ . كذا فى ديوانه؛ و يُروى: تقطر، قطرت، مطرت، أمطرت.

٢ .و هو احترازعن نحو «غلام زيدٍ راكب و ابوه راكب».

وكقوله:

سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأنما ألفاظه من ماله

وقيل: إنه يكون أيضاً في الذّم، كقول بعضهم في قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر:

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامى
سرق العيد كأنّ الـ ـعيد أموالُ اليتامى

(٣١) السلب والإيجاب

السلب والإيجاب: هو أن يقصد المتكلّم تخصيص شيء بصفة فينفيها عن جميع الناس ثم يثبتها له كقول الخنساء:

وما بلغت كف امرىء متناولٍ من المجد إلا حيث ما نلتَ أطول
ولا بلغ المهدون فى القول مدحة ولاصدقوا إلا الذي فيك أفضل

(٣٢) الإبداع

الإبداع: هو أن يكون الكلام مشتملاً على عدَّة أنواع من البديع، كقول الشاعر:

فضحت الحيا والبحر جوداً فقد بكى الـ ـحيا من حياء منك و التَطَم البحر[١]

فإن فيه:

١. الجمع في قوله: فضحت الحيا والبحر.

٢. التقسيم: حيث أرجع ما لكل من الحيا والبحر إليه على التعيين بقوله بكى الحيا، والتطم البحر.

٣. حسن التعليل في قوله: بكى الحيا من حياء منك.

٤. المبالغة في قوله: فضحت الحيا والبحر.

---

١ . وفيه رد العجز على الصدر في ذكر البحر و البحر، و فيه الجناس بين الحيا و الحياء. و قد وقع فى البيت ستة عشر ضربا من صناعات البلاغة ذكرها فى تحرير التحبير فى صناعة الشعر و النثر، ج١، ص٦١٤.

(۳۳) أسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم: هو تلقى المخاطب بغير ما يترقّبه. و هو:

۱. **إما بترك الاجابة عن سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله:** تنبيهاً[1] على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال. كقوله تعالى: ﴿يَسۡأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلۡ مَا أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٍ فَلِلۡوَالِدَيۡنِ وَالۡأَقۡرَبِينَ وَالۡيَتَامَىٰ وَالۡمَسَاكِينِ وَابۡنِ السَّبِيلِ﴾[2] (البقرة/ ٢١٥).

سألوا النبيّ ﷺ عن حقيقة ما ينفقون من مالهم، فأجيبوا ببيان طرق إنفاق المال، تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه.

وقال تعالى: ﴿يَسۡأَلُونَكَ عَنِ الۡأَهِلَّةِ قُلۡ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالۡحَجِّ﴾[3](البقرة /١٨٩).

ويُحكى: أنه لما توجّه خالد بن الوليد لفتح الحيرة، أتى إليه من قِبَل أهلها رجل ذو تجربة، فقال له خالد: فيمَ أنت؟ قال في ثيابي، فقال: علامَ أنت؟ فأجاب على الأرض، فقال كم سنّك؟ فقال: اثنتان وثلاثون، فقال: أسألك عن شيء، وتجيبني بغيره؟ فقال: إنّما أجبتك عمّا سألت.

۲. **وإما بحمل كلامه على غيرما كان يقصد ويريد:** تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يقصد هذا المعنى .كما فعله القبعثري بالحجاج، إذ قال له الحجّاج مُتوعِّداً: «لأحملنّك على الأدهم» .يريد الحجّاج: القيد الحديد الأسود، فقال القبعثري: «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاج: «أردت الحديد»، فقال القبعثري: «لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً»، ومراده تخطئة

---

۱ . لا يخفى عليك عدم انحصار الغرض فى ما ذكر بل قد يكون لأغراض أخرى كالتجاهل أو التهكم أو التمليح أو غيرها مما لا يخفى على المتأمل كما فى ا لمثال الثالث الآتى.

۲ . خلافاً للعلامة الطباطبايى فى الميزان.

۳ . بيان ذلك: أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة؟ لم تبدو صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها، ثم تتضاءل حتى لا ترى؟ و هذه مسألة دقيقة من علم الفلك تحتاج إلى فلسفة عالية و ثقافة عامة. فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات، و العبادات، إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا.

الحجاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد[١].

وقال ابن حجاج البغدادي:

قــال: ثَقَّلــتُ إذ أتيــتُ مــراراً ... قلــت: ثقلــتَ كاهلــي بالأيــادي

قــال: طوّلــتُ، قلــت: أوليــت طــولاً ... قــال: أبرمــتُ، قلــت: حبــل ودادي[٢]

فصاحب ابن حجَّاج: يقول له، قد ثقَّلتُ عليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رأيه في أدب وظرف، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر. وقال الشاعر:

ولمــا نعــى الناعــي ســألناه خشــية ... وللعيـن خـوفَ البيـن تَسكابُ أمطـار

أجاب قضى، قلنا قضى حاجة العلا ... فقــال مضــى، قلنــا بــكل فخــار

(٣٤) تشابه الأطراف

تشابه الأطراف: قسمان: معنوي ولفظي.

فالمعنوي: هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى، كقوله:

ألــذّ مــن الســحر الحــلال حديثــه ... وأعــذب مــن مــاء الغمامــة ريقــه

فالريق: يناسب اللذة في أول البيت.

واللفظي نوعان:

الأول: أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة، فيبدأ

---

١ . سبب ذلك: أن الحجاج بلغه أن القبعثري لما ذكر الحجاج بينه و بين أصحابه في بستان، قال: اللهم سوّد وجهه، و اقطع عنقه، و اسقني من دمه، فوشي به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه، و سأله عن ذلك، قال: انما أردت «العنب»، فقال له الحجاج ما ذكر.

٢ . فقد وقع لفظ «ثقلت» في كلام المتكلم بمعنى «حملتك المؤونة» فحمله المخاطب على الإكثار من المنن و الأيادي «و أبرمت» وقع في كلامه بمعنى «أمللت» فحمله المخاطب على إبرام حبل الوداد و إحكامه، و ليس شاهدٌ في طولت الأولى التي هي من طول الإقامة، و تطولت من التطول و هو التفضل.

بها المصراع الثاني، أو الجملة التالية، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ (النور/۳۵) و كقول علي ابن ابيطالب أمير المؤمنين عليه السلام: **العالم حديقة سياجها الشريعة و الشريعة سلطان تجب له الطاعة و الطاعة سياسة يقوم بها الملك و الملك راع يعضده الجيش و الجيش أعوان يكفلهم المال و المال رزق يجمعه الرعية و الرعية سواد يستعبدهم العدل و العدل أساس به قوام العالم**[1].

الثاني: أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه، كقول ليلى الاخيليّه:

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة ... تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الدّاء العضال الذي بها ... غلام اذا هزّ القناة سقاها

(۳۵) العكس

و يتحقق بين لفظين متكرّرين: بأن تقدم فی الكلام أحد اللفظين على الاخر ثم توخّر ما قدّمت و تقدم ما أخّرت و هو قد يكون فی كلام واحدٍ و قد يكون فی كلامين و له صور كثيرة نشير الى بعضها بذكر امثلة منه:

۱. عادات السادات سادات العادات: فوقع فی كلام واحدٍ بين المسند اليه و المسند، و بين المضاف و المضاف اليه.

۲. مرارة الدنيا حلاوة الاخره و حلاوة الدنيا مرارة الاخره[2]، فوقع بين المبتدا و الخبر فی كلامين.

---

۱. بحار الأنوار ۷۵ / ۸۳.

۲. نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح، ح۲۴۷.

٣. اذا كان الرفق خرقاً كان الخُرق رفقاً[١]، فوقع بين الاسم و الخبر فى كلامين.

٤.قال الشاعر:

طويــت بإحــراز الفنــون و نيلهــا رداء شــبابى و الجنــون فنــون

فحيــن تعاطيــت الفنــون و حظّهــا تبيــن لــى أن الفنــون جنــون

(٣٦) تجاهل العارف

تجاهل العارف: هو سؤال المتكلم عمّا يعلمه حقيقة، تجاهلاً منه لنكتة:

أ.كالتوبيخ لاظهار عظمة المصيبة في قوله:

أيــا شــجر الخابــور مالــك مورقــاً كأنــك لــم تجــزع علــى ابــن طريــف

ب. وكالمبالغة في المدح، نحو: وجهك بدرأم شمس أو في الذّم، كقول زهير:

ومــا أدرى وســوف إخــالُ أدري أقــومٌ آل حصــن أم نســاء ؟

ج. وكالتهكم و التقريع نحوقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾(الطور/١٥).

د.وكالفخر، كقوله:

أينــا تعــرف المواقــف منــه وثبــات علــى العــدا و ثباتــا

هـ وكالتعجب، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة / ٢٨).

إلى غير ذلك من الأغراض البديعية التي لا تُحصى.

---

١. نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح، ك ٣١.

٣. نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح، ح٥٤.

تمارين

بيِّن الأنواع البديعية فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(الزمر/ ٦٨).

قال الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/٨).

قال الله تعالى: ﴿يَتَسَاءلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (المدثر/٤٧-٤٠).

قال النبي ﷺ خيركم من تعلم القرآن و علمه.[١]

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: السكر أربع سكرات: سكر الشراب وسكر المال وسكر النوم وسكر الملك[٢].

قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: إن لله عقوبات للقلوب و الأبدان: ضنك في المعيشة ووهن في العبادة، ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.[٣]

قال بعضهم في وصف إبل:

صلبُ العصا بالضرب قد أدماها ... تودُّ أن الله قد أفناها

قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أنّ ذوي الندى ... خساس إذا قيسوا بهم ولئام

١. كنز العمال/٢٣٥١.

٢. بحار الأنوار٧٣/ ١٤٢.

٣. تحف العقول / ٢٧٢.

قال الشاعر:

فـلا الجـود يُفنـي المـال والجـد مقبـل ... ولا البخـل يبقـي المـال والجـد مدبـر

قال الشاعر:

رحـم الله مـن تصـدَّق مـن فضـل ... أو آسى مـن كفـاف، أو آثـر مـن قُـوت

قال الشاعر:

آراؤكـم ووُجوهكـم وسـيوفكم ... فـي الحادثـات إذا دجـون نجـوم

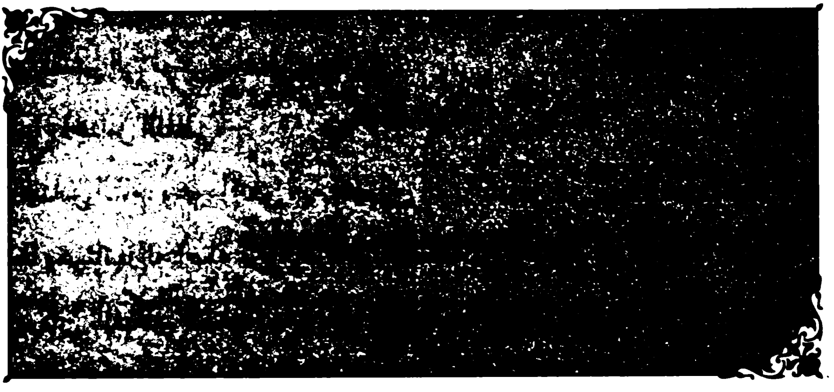
قال الشاعر:

أراعـي النجـم فـي سـيرى إليكـم ... ويرعـاه مـن البيـدا جـوادي

قال الشاعر:

جاءنـي ابنـي يومـاً وكنـت أراه ... لـي ريحانـة ومصـدر أنـس

قـال مـا الـرُّوح ؟ قلـت إنّـك روحـي ... قـال ماالنفـس؟ قلـت إنـك نفسـي



(١) الجناس[١]

الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى.

وهو ينقسم إلي نوعين: لفظي ومعنوي.

❖ **أنواع الجناس اللفظي**:

١. **الجناس التّام**: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء، نوع الحروف وعددها وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها، مع اختلاف المعنى.

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد، كاسمين أو فعلين أو حرفين سمي الجناس **مماثلاً** كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[٢] (الروم/٥٥) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المدة من الزمان. ونحو: رَحبَة رَحبَة. فرحبة الأولى فِناء الدار، ورحبة الثانية بمعنى واسعة.

وإن كانا من نوعين، كفعل واسم، سُمِّي الجناس **مستوفًى**، نحو:ارع الجار ولو جار، وكقول الشاعر:

ما مات من كرم الزَّمان فإنَّه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا الأول فعل مضارع، و يحيى الثاني اسم الممدوح، ونحو:

إذا رماك الدهر في معشر ... قد أجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دُمت في دارهم ... وأرضهم ما دُمت في أرضهم

---

١. ويقال له التجنيس والتجانس والمجانسة.

٢ . قال فى الطراز، ج٢، ص١٨٥: و ليس فى القرآن من التجنيس الكامل الا هذه الاية.

و للجناس التام تقسيم آخر:

أ. ما اختلف ركناه إفراداً وتركيباً: و يسمى **مركباً** فإن كان من كلمة وبعضِ أخرى، سُمي **مرفُوّاً**، كقول الحريري:

ولا تلهُ عن تَذكار ذنبك وابكه   بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثّل لعينيك الحمام ووقعه   وروعة ملقاه ومطعم صابه

و إن كان من كلمتين فإن اتفق الركنان خطاً سُمِّي **مقروناً**، كقوله:

إذا ملك لم يكن ذا هبة   فدعه فدولته ذاهبة

وإلا سمي **مفروقاً**، كقوله:

لا تعرضن على الرواة قصيدة   ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مُهذّب   عدّوه منك وساوساً تهذي بها

ب. ما اتحد ركناه في التركيب، و يسمى **مُلفّقاً**،كقوله:

وليت الحكم خمساً وهي خمس   لعمري والصبا في العنفوان
فلم تضع الأعادي قدر شاني   ولا قالوا فلان قد رشاني

و الجناس التام ممّا لا يتفق للبليغ إلا على ندور و قلة، فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه وساقه، وحتى تكون كلمته ممّا لا يبتغي الكاتب منها بدلاً، و لايجد عنها حولاً.

٢. **الجناس غير التام**: وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في بعض الأربعة السابقة واختلافهما إما:

١. باختلاف تعداد الحروف، و يسمى **ناقصاً** و هو:

إما بزيادة حرف:

أ. في الأول: ويسمى **مردوفاً**: كقوله تعالى: وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ(القيامة/٣٠-٢٩).

و نحو: دوام الحال من المحال.[١] و كقول الشاعر:

وكم سبقت منه إليَّ عوارف ثنائي على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره و لطائف لشكري على تلك اللطائف طائف

ب. في الوسط: و يسمى **مكتنفاً**: نحو:جَدّي جَهدي.[٢]

ج. في الآخر: و يسمى **مطرفاً**: نحو: الهوى مطية الهوان. و كقول أبي تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

و إما بأكثرمن حرف في آخره: و يسمى **مذيلاً**، كقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

٢. و امّا باختلاف ركنيه في هيئات الحروف الحاصلة من حركاتها وسكناتها: و يسمى **محرّفاً**، نحو: جبّة البُرد جنّة البَرْد ونحو: إذا زلّ العالِم، زلّ بزلّته العالَم، و نحو قول الشاعر:

الجَدّ في الجِدِ و الحرمان في الكسل فانصب تُصب عن قريب غاية الأمل

٣. و امّا باختلاف ركنيه في ترتيب الحروف و يسمى **قلباً**: و هو على قسمين:

أ. قلب كل، نحو: حسامه فتحٌ لأوليائه، وحتفٌ لأعدائه. ويسمى قلب كل لانعكاس الترتيب.

ب. قلب بعض، نحو: اللهم استرعوراتنا، وآمن روعاتنا، ونحو: رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفيه.

وإذا وقع أحد المتجانسين فى جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره،

---

١ .و نحو قولك: هذا بناءناء.

٢ . الحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف، و لا اعتبار بالتنوين.(عن المختصرالمعاني)

سمي **مقلوباً مجنّحاً** كأنه ذو جناحين، كقوله:

لاح انــوارُ الهــدى مــن كفّــه فـــي كل حــال

٤. و امّا باختلاف ركنيه في نوع الحروف و هو على قسمين:

أ. ما يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم يتباعدا مخرجاً و يسمى **مضارعاً** سواء كان في الأول، نحو: ليلٌ دامسٌ، وطريق طامس.أوفي الوسط، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾(الأنعام / ٢٦) و كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾(غافر/ ٧٥)أوفي الآخر، نحو قول النبي ﷺ: **الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرإلى يوم القيامة.**[١]

ب. ما يكون باختلاف ركنيه في حرفين متباعدين مخرجاًو يسمى **لاحقاً** سواء كان في الأول، كقوله تعالى:﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(الهمزة/ ١). و ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾(النمل /٢٢)وإما في الوسط، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(العاديات / ٨-٧).

وكقول الشاعر:

فـــإن حلّـــوا فليـــس لهـــم مقـــرٌّ وإن رحلُـــوا فليـــس لهـــم مفـــرُّ

وامّا فى الاخر كقول البحترى:

ليـــس عـــن ثـــروة بلغـــت مداهـــا غيـــرانـــى امـــرؤ كفانـــى كفافـــى

و بعد: فلا يخفى على الأديب، ما في الجناس من الاستدعاء لميل السامع، لأن النفس ترى حسن الإفادة، والصورة صورة تكرار وإعادة و من ثم تأخذها الدهشة و الاستغراب و لأمر ما عُدّ الجناس من حُلى الشعر.

---

١. الكافى / ٥/ ٤٨.

تنبيهات

الأول: إذا تماثل ركناه لفظاً واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطّاً، سمي جناساً لفظياً، و اختلافهما في الكتابة إمابالنون والتنوين، كقوله:

أعـــذبُ خلـــق الله نطقـــاً و فمـــاً　　إن لـم يكـن أحـقّ بالحُسـن فمـن
مثـــل الغـــزال نظـــرة و لفتـــة　　مـــن ذا رآه مقبـــلاً و لا افتتـــن

و إمابالهاء والتاء، كقوله:

إذا جلســت إلــى قــوم لتؤنســهم　　بمـا تحـدّث مـن مـاض ومـن آت
فــلاتعيــدن حديثــاً إنّ طبعهــم　　مـــوكلّ بمعـــاداة المعـــادات

وإما بالضاد والظاء، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] (القيامة/٢٣٢٢). وكقول أبي فراس:

مـــا كنـــت تصبـــرفـــي القديـــم　　فلـــم صبـــرت الآن عنّـــا
و لقـــد ظننـــت بـــك الظنـــو　　ن لأنـــه مـــن ضـــنّ ظنّـــا

الثاني: ألحق بالجناس أمور:

أ. ما توافق رُكناه في الحروف الأصول وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق: و يسمى مطلقاً، نحو: «أسلم» سالمها الله و«غفارٌ» غفر الله لها، و«عصيّة» عصت الله ورسوله.

ب. ما توافق ركناه في الحروف الأصول وترتيبها و جمعهما اشتقاق و يسمى جناس الاشتقاق، كقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون/٣-٢) و قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ (الروم / ٤٣).

---

١ . بناءً على وحدةِ قرائة الضاد و الظاء عند بعض العرب.

ج. ما تماثل ركناه وضعاً، واختلفا نقطاً: كقول علي أميرالمؤمنين عليه السلام في معاوية: **غرّك عزُّك، فصارقصار ذلك ذلك، فاخش فاحش فعلك، فعلك تهدَأ بهذا.**[1]

وكقول أبي فراس:

من بحر شعرك أغترف   و بفضل علمك أعترف

الثالث: وإذا ولى أحد المتجانسين الآخر قيل له المزدوج، نحو: من طلب شيئاً و جدّ وجد و من قرع باباً و لَجَّ وَلَجَ.

❖ **الجناس المعنوي** نوعان

١. **جناس الإضمار:** أن يُضمر المتكلم ركنَي الجناس و يأتى فى الكلام بلفظ يُحضر فى ذهن المخاطب لفظاً آخر يرادفه و للّفظ المرادف (غير المذكور فى الكلام المحضَر فى الذهن باللفظ المذكور) معنىً ثانٍ هو المقصود للمتكلّم من اللفظ المذكور و المفهوم من السياق، كقوله:

منعم الجسم تَحْكي الماءَ رقَّتهُ   وقلبه قسوة يحكي أبا أوس

«أوس» شاعرٌ مشهور من شعراء العرب، واسم أبيه حَجَر، فلفظ «أبي أوس» فى البيت يحضر اولاً في ذهن المخاطب اسمه وهو حجر (بمعنى إذا ذكر أبو أوس يتبادر معناه الى ذهن المخاطب و اذا تبادر معناه في الذهن يحضر اسمه وهو «حجر» فى الذهن) و للفظ «حجر» معنىً آخر غير «أبى أوس» فقوله «يحكى أبا أوس» قُصد به أنه يشبه الصخر فى الغلظ فهنا معنيان: أبوأوس الشاعر و الصخر و اللفظ الموضوع لكل منها الحَجَر و هو لفظ واحد له معنيان لم يذكر فى الكلام اصلاً لا بهذا المعنى و لا بذاك المعنى بل أُضمر و أُشير إليه بلفظ يرادفه بأحد معنييه.

---

١. بحار الأنوار ٨٣/٧٥.

و كان هذا النوع فى مبتدئه مستنكراً ولكن المتأخرون ولعوا به وقالوا منه كثيراً و من ذلك أيضاً قول البهاء زهير:

وجاهل طال به عنائي لازمني وذاك من شقائي
أبغض للعين من الأقذاء أثقل من شماتة الأعداء
فهو إذا رأته عين الرائي أبو معاذ أو أخو الخنساء[1]

٢. **جناس الإشارة:** هو ما ذكر فيه أحد الركنين، و أشير إلى الآخر بما يدل عليه،وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به. نحو:

يا «حمزة» اسمح بوصل و امنن علينا بقرب
في ثغرك اسمك أضحى مصحّفاً و بقلبي

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين و هو حمزة، و أشار إلى الجناس فيه، بأن مصحفه في ثغره، أي: خمرة، و في قلبه، أي: جمرة.

وبعد فاعلم أنه لا يستحسن الجناس، ولا يعدّ من أسباب الحسن، إلا إذا جاء عفواً، وسمح به الطبع من غير تكلف، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه، وتعرض قائله للسخرية والاستهزاء.

(٢) السجع[2]

هو توافق الفاصلتين[3] في الحرف الأخير من النثر وأفضله ما تساوت فقره، وهو ثلاثة أقسام:

أولها: **السجع المطرف**، و هو: ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(نوح/ ١٤-١٣) وكقوله

١. اسم أبي معاذ جبل، و اسم أبي الخنساء صخر.
٢. و سمي السجع سجعاً تشبيهاً له بسجع الحمام.
٣. الفاصلة في النثر كالقافية في الشعر، و السجع خاص بالنثر.

تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾(النبأ/٧-٦).

ثانيها: **السجع المُرصَّع**، وهو: ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها مع ما يقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتّقفية، نحو قول الامام زين العابدين عليه السلام «فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، و يا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي»، لاختلاف نِعْمَتِهِ و بلائه وزناً. و كقول الحريري: هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه[1] وكقول الهمداني: إن بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحواً.

ثالثها: **السجع المتوازي**، وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط. كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (الغاشية /١٤-١٣)لاختلاف سرر وأكواب، وزناً وتقفية. ونحو: حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت. لاختلاف ما عدا الصّامت والشامت تقفية فقط.

و الأسجاع مبنية على سكون أواخرها[2]، وأحسن السجع ما تساوت فقره، كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (الواقعة /٣٠-٢٨) ثم ما طالت فقرته الثانية، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم /٢-١) ثم ما طالت ثالثته، كقوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (البروج / ٧-٥) ولا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه، أشبه العثار.

ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خدم المعاني، و دلّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلّت عليه الأخرى، وحينئذ يكون حلية ظاهرة في الكلام.

و لا يستحسن السجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلف والتصنع.

---

١. و لو أبدلت الأسماع بالآذان كان مثالاً للأكثر.

٢. و فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها، لأن الغرض أن يزاوج بينها، و لا يتم ذلك إلا بالوقف، فلا اعتبار باختلاف الحركات في الأعجاز.

و السجع موطنه النثر، و قد يجيء في الشعر نادراً، كقوله:

فنحن في جذل والـــروم فـــي وجـــل
والبـــرفـــي شـــغل والبحـــرفـــي خجـــل

هذا، و تجد اكثر كلام البلغاء لايخلو منه كما اَنّ اكثر سُور القرآن مسجّعة وقيل: لايقال في القرآن أسجاع رعاية للأدب و تعظيماً له. لأن السجع في الأصل هدير الحمام و نحوها بل يقال: فواصل.

(٣) الموازنة

هي تساوى الفاصلتين في الوزن دون التقفية، كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (الغاشية /١٦-١٥) فإن مصفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن[١]، دون التقفية.

(٤) الترصيع

هو توازن كل الألفاظ او اكثرها، مع توافق الأعجاز، أو تقاربها، مثال التوافق، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾(الانفطار /١٤-١٣). ومثال التقاربُ، قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الصافات/١١٨-١١٧).

(٥) التشريع

هو بناء البيت على قافيتين، يصحّ المعنى عند الوقوف على كلّ منهما، كقول الشاعر:

يـــا خاطـــبَ الدُّنيـــا الدَّنيـــة إنّهـــا شـــركُ الـــردى وقـــرارة الأقـــذار
دارٌ متـــى مـــا أضحكـــت فـــي يومهـــا أبكـــت غـــداً تبـــاً لهـــا مِـــنْ دار
وإذا أظـــلَّ ســـحابها لـــم ينتفـــع منـــه صـــدى لجهامـــه الغـــرَّار
غاراتهـــا لا تنقضـــي وأســـيرُها لا يُفتـــدى بجلائـــل الأخطـــار

---

١ .لا عبرة بتاء التأنيث على ما بين في علم القوافي.

فتكون هذه الأبيات من بحر الكامل و يصح أيضاً الوقف على الرّدَى و غدا، وصدَى، ويفتدَى، و تكون إذاً من مجزوء الكامل[۱]، وتُقرأ هكذا:

يــــا خاطــــبَ الدُّنيــــا الدَّنيـ يةإنـــــها شــــرك الـــــردَى
دار متــــى مــــا أضحكــــت فــــي يومهــــا أبكــــت غــــدا
و إذا أظـــــل ســــحابها لــــم ينتفــــع منــــه صـــــدى
غاراتهــــا لا تنقضــــي و أســــيرها لا يفتــــدى

۱ . قوله: بحر الكامل و مجزوء الكامل، مصطلحان من مصطلحات علم العروض. و العروض علم يعرف به أوزان الشعر المختلفة لكى يتميز صحيحها عن سقيمها و يبحث هناك أن كل بيت شعرى ينظم على معيار معين يسمى بالوزن و البحر، و واضعه خليل بن أحمد الفراهيدى الذى وضع هذا العلم و استنبط خمسة عشر وزناً و زاد تلميذه الأخفش الأوسط وزناً واحداً سماه المحدث أو المتدارك أو الخبب. و هى كما يلى:

۱. الطويل: وزنه فعولْ مفاعيلْ، فعولْ مفاعيلْ و هو أكثر البحور شيوعاً.
۲. المديد: وزنه فاعلات فاعل فاعلات، فاعلات فاعل فاعلات.
۳. البسيط: وزنه متفاعلْ متفاعلْ متفاعلْ، متفاعل متفاعل متفاعل.
۴. الوافر: وزنه مفاعلات مفاعلات فعول، مفاعلات مفاعلات فعول.
۵. الكامل: متفاعل ستة مرات.
۶. الهَزَج: وزنه مفاعيلْ ستة مرات.
۷. الرَجَز: أصل وزنه: مستفعل مستفعل فعيل، مستفعل مستفعل فعيل.
۸. الرُمَل: وزنه: فاعلات فاعلات فاعل، فاعلات فاعلات فاعل.
۹. السريع: وزنه: مستفعل ستة مرّات.
۱۰. المنسرح: وزنه: مستفعل مفعولات مستفعل، مستفعل مفعولات مستفعل.
۱۱. الخفيف: وزنه: فاعلاتٌ مستفعلْ فاعلاتٌ، فاعلات مستفعل فاعلات.
۱۲. المضارع: وزنه: مفاعلين فاعلاتٌ، مفاعيلْ فاعلات.
۱۳. المقتضب: وزنه: فاعلاتٌ مفتعلْ، فاعلات مفتعلْ.
۱۴. المجتثّ: وزنه: مستفعلْ فاعلاتٌ، مستفعل فاعلات.
۱۵. المتقارب: وزنه: مفعولْ ثمانى مرات.
۱۶. المتدارك: وزنه: فاعلْ ستة مرّات.

و المجزوء هو البيت الذى أسقط عنه عروضه (أى: التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول) و ضربه (أى: التفصيلة الأخيرة من الشطر الثانى).

وكقوله:

يـا أيّهـا الملـك الـذي عـمّ الـورى   مـا فـي الكِـرام لـه نظيـر يُنظـر
لـو كان مثلـك آخـر فـي عصرنـا   مـا كان فـي الدنيـا فقيـر مُعسـر

إذ يمكن أن يُقال أيضاً في هذين البيتين:

يـا أيهـا الملـك الـذي   مـا فـي الكـرام لـه نظيـر
لـو كان مثلـك آخـر   مـا كان فـي الدنيـا فقيـر

(٦) لزوم ما لا يلزم

هو أن يجيء قبل حرف الرّوي من القافية، أو ما في معناه من الفاصلة، بما ليس بلازم في التقفية، ويُلتزم في بيتين أو أكثر من النظم أو في فاصلتين أو أكثر من النثر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾(الضحى/١٠-٩).

وكقول الطغرائي في أول لاميّته المشهورة:

أصالـة الـرّأي صانتنـي عـن الخطـل   وحليـة الفضـل زانتنـي لـدى العطـل

و قد يلتزمُ أكثر من حرف، كقوله:

يـا مُحرقـاً بالنـار وجـه محبـه   مهـلاً فـإن مدامعـي تطفيـه
أحـرق بهـا جسـدي وكل جوارحـي   واحـرص علـى قلبـي فإنّـك فيـه

و كقوله:

كُل واشـرب النـاس علـى خبـرة   فهـم يَمَـرّون ولا يَعْذُبـون
و لاتُصدِّقهـم إذا حدّثـوا   فإنّهـم مـن عهدهـم يكذبـون

(٧) رد العجز على الصدر

أ. **رد العجز على الصَّدر في النثر:** هو أن يجعل أحداللّفظين المكرّرين، أو المتجانسين، أو المُلحقين بهما بأن يجمعهما اشتقاق أو شبهه في أول الفقرة، و الثاني في آخرها، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾(الأحزاب / ٣٧) وقولك: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فالسائل الأول: من السؤال، والسائل الثاني: من السَّيلان. وكقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح / ١٠).

واللّذان يجمعهما شبه اشتقاق كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾(الشعراء/١٦٨).

ب. **رد العجز على الصدّرفي النظم:** هو أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر يكون إمّا في صدر المصراع الأوّل أو في حشوه أو في آخره و إمّا في صدر المصراع الثاني، كقوله:

سريعٌ إلى ابن العم يلطم وجهه ... و ليس إلى داعي الندى بسريع

وقوله:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

وقوله:

و ما لامرئ طول الخلود ... وإنما يخلده طول الثناء فيخلد

(٨) ما لا يستحيل بالانعكاس

هو كون اللفظ يقرأ طرداً وعكساً بحيث إذا قلبته (أى ابتدأت به من حرفه الأخير إلى حرفه الأول) كان إيّاه ، نحو: كن كما أمكنك، وكقوله تعالى: ﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر/٣) و﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾(انبياء/٣٣) و كقوله:

مودته تدوم لكل هول ... و هل كلّ مودته تدوم

(٩) الموارية

هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف، أو تصحيف، أو غيرهما، ليسلم من المؤاخذة، كقول أبي نواس:

لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع عقدٌ على خالصة

فلمّا أنكر عليه الرشيد ذلك، قال أبو نواس لم أقل إلا:

لقد ضاء شعري على بابكم ... كما ضاء عقد على خالصة

(١٠) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابة والتأمل[١]، كقوله تعالى: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾(يوسف/٨٥) لما أتى بالتَّاء التي هي أغرب حروف القسم، أتى بتفتأ التي هي أغرب أفعال الاستمرار.

(١١) التسميط

هوأن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام، ثلاثة منها على سجع واحد، بخلاف قافية البيت، كقول جنوب الهذلية:

وحرب وردت وثغر سددت ... وعلج شددت عليه الحبالا

و نحو قول الشاعر:

أفاد فساد و قاد فزاد ... وساد فجاد وعاد فأفضل

---

١ . و عرّفه فى البلاغة العربية بأن يكون اللفظ مع اللفظ مؤتلفين كأن تكون الكلمات من نوع الغريب أو من نوع المتداول او مما يلائم العامّة أو الخاصة (ج٢، ص٥٢٠).

(١٢) الانسجام أو السهولة

هو سلامة الألفاظ من التكلّف و التعّسف و التقييد، وسهولة المعاني مع جزالتهما وتناسبهما، كقول الشاعر:

مـــا وهـــب الله لامــــرىء هبـــة　　أفضـــل مـــن عقلـــه ومـــن أدبـــه

همـــا كمـــال الفتـــى فـــإن فقـــدا　　ففقـــــده للحيـــاة أليـــق بـــه

(١٣) الاكتفاء

هو أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً يُستغنى عن ذكره، بدلالة العقل عليه، كقول الشاعر:

فـــإنّ المنيَّـــة مـــن يخشـــها　　فســـوف تصادمـــه أينمـــا

أي: أينما تتوجّه.

تمارين

بيِّن أنواع المُحسنات اللفظية و الجناس المعنوي فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿الرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾(الرحمن / ١-٤).

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾(القلم/ ٣٥).

قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾(الفجر/٢٠-١٧).

قال رسول الله ﷺ: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولاتحسسوا[١].

من دعاء علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بخواتم الخير: يا من ذكره شرف للذاكرين، ويا من شكره فوز للشاكرين، ويا من طاعته نجاة للمطيعين، صل على محمد

١ .أحكام القرآن للجصّاص، ج٥، ص٢٨٩.

و آله، و اشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، و ألسنتنا بشكرك عن كل شكر، و جوارحنا بطاعتك عن كل طاعة.[١]

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إن الجزع و البكاء مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء على الحسين بن علي فإنه فيه مأجور[٢].

قال الشاعر:

عضّنا الدهر بنابه ... ليت ما حلّ بنابه

قال الشاعر:

إلى حتفي سعى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي

قال الشاعر:

لئن أخطأت في مدحك ... ما أخطأت في منعي

لقد أنزلت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

قال الشاعر:

وإن أقرّ على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له

---

١ .الصحيفة السجادية، ص ٧٣.

٢ .بحارالأنوار ٢٩١/٤٤.

خاتمة:

❖ **في السرقات الشعرية** وما يتبعها

السَّرقة هي أن يأخذ الشخص كلام الغير، وينسبه لنفسه.

وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

أ. **النَّسخ** ويسمى **انتحالاً**، أيضاً: هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلّها، أو بعضها بمرادفها أو ضدّها، وهذا مذموم، وسرقة محضة، كما فعل عبد الله بن الزبير بقول مُعن بن أوس:[1]

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وأمّا تبديل الألفاظ بمُرادفها فكما في قول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبُغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

حيث يمكن أن يقال:

ذر المآثر لا تذهب لمطلبها ... واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

و أمّا تبديل الألفاظ بضدّها فكما في قول حسان:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

حيث يمكن أن يقال:

سود الوجوه لئيمة أحسابهم ... فطس الأنوف من الطراز الآخر

ب. المسخ، و يسمّى **إغارة** ايضاً هو أن يأخذ بعض اللفظ، أو يغير بعض النّظم، فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو قول الآخر:

---

١. الزبير بفتح فكسر في هذا، ويوجد اسم آخر بضم ففتح، ومعن بضم وفتح،ومعن بن زائدة بفتح فسكون.

مـن راقـب النـاس لـم يظفـر بحاجته ... وفـاز بالطيبـات الفاتـك اللهـج

مع قول غيره:

مـن راقـب النـاس مـات همّـا ... وفـاز باللّـذة الجسـور

فإن الثاني أعذب وأخصر، وإن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم وإن تساويا فالثاني لا يذم ولا يمدح، والفضل للسابق.

ج. **السلخ**: ويسمى **إلماماً**، هو أن يأخذ السارق المعنى وحده فإن امتاز الثاني فهو أبلغ، نحو قول الشاعر:

هـو الصنـع إن يعجـل فخيـر وإن يـرث ... فلَلرّيـث فـي بعـض المواضـع أنفـع

مع قول غيره:

ومـن الخيـر بـطء سـيبك عنـي ... أسـرع السّـحب فـي المسير الجهـام

وإن امتاز الأول فالثاني مذموم، وإن تماثلا فالثانى لا يذم ولا يمدح كقوله:

ولـم يـك أكثـر الفتيـان مـالاً ... ولكـن كان أرحبهـم ذراعـاً

مع قول الآخر:

وليـس بأوسـعهم فـي الغنـى ... ولكـن معروفـه أوسـع

ويتصل بالسرقات الشعرية خمسة أمورٍ: الاقتباس والتضمين والعقد والحلّ والتّلميح.

١. الاقتباس: هو أن يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه، شيئاً من القرآن و الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من النثر: ﴿فلم يكن إِلاَّ كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ (النحل/٧٧)، حتى أنشد فأغرب. ونحو قول الحريري: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ (يوسف/٤٥) وأميز صحيح القول من عليله.

وكقول عبد المؤمن الأصفهاني: لا تغرنّك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار ﴿إِنَّمَا

﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾(إبراهيم/ ٤٢) ومثاله من الشعر قوله:

وثغـــر تنضّـــد مـــن لؤلـــؤ ... بألبـــاب أهـــل الهـــوى يلعـــب

إذا مـــا ادلهمّـــت خطـــوب الهـــوى ... «يَـــكادُ سَـــنَا بَرْقِـــهِ يذْهـــبُ»[1]

وكقول الآخر:

إن كنـــت أزمعـــت علـــى هجرنـــا ... من غيـــر مـــا جـــرمٍ «فَصَبْـــرٌ جَميـــل»[2]

و إن تبدّلـــت بنـــا غيرنـــا ... «فَحسْـــبُنا اللهُ وَ نِعْـــمَ الْوَكيـــل»[3]

وكقول الآخر:

لا تكـــن ظالمـــاً ولا تـــرض بالظلـــ ... ـــم وأنكـــر بـــكل مـــا يســـتطاع

يـــوم يأتـــي الحســـاب مَـــا لظلـــوم ... «مِـــن حَمِيـــمٍ وَ لا شَـــفِيعٍ يطَـــاعُ»[4]

وكقول بعضهم:

إن كانـــت العشـــاق مـــن أشـــواقهم ... جعلـــوا النســـيم إلـــى الحبيـــب رســـولاً

فأنـــا الـــذي أتلـــو لهـــم «يَالَيْتَنِـــي ... كُنْـــتُ اتَّخَـــذْتُ مَـــعَ الرَّسُـــولِ سَـــبِيلًا»[5]

وكقول الآخر:

رحلـــوا فلســـت مســـائلاً عـــن دارهـــم ... أنا «بَاخِعٌ» نفسي «عَلَى آثارِهِمْ»[6]

---

١ . النور/ ٤٣.

٢ . يوسف / ٨.

٣ . آل عمران/ ١٧٣.

٤ . غافر/ ١٨.

٥. الفرقان / ٢٧.

٦ . الكهف /٦.

وكقول الآخر:

ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال للضلالة مدلهمّه
يريد الجاهلون لـ«يطفئوه «ويأبى الله إلا أن يتمّ[١]» ـه

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شاهت الوجوه[٢]، وقبح اللكع ومن يرجوه، وكقول الحريري أيضاً: وكتمان الفقر زهادة، و «انتظار الفرج بالصبر عبادة»[٣].

ومثاله من الحديث في الشعر قول الشاعر:

قال لي إن رقيبي سيىء الخُلق فداره
قلت دعني وجهك «الـ جنة حُفَّت بالمكاره»[٤]

وكقول الشاعر الآخر:

فلو كانت الأخلاق تحوى وراثة ولو كانت الآراء لا تتشعب
لأصبح كل الناس قد ضمّهم هوى كما أن كل الناس قد ضمّهم أب
ولكنها الأقدار «كل ميسرٌ لما هو مخلوق له»[٥] ومُقرّبُ

---

١ . التوبة / ٣٢.

٢ . الكافى ٥/ ٥۴۶.

٣ . بحار الأنوار ١۴۵/۵٢.

۴ . نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح، خ١٧۶.

۵ . بحار الأنوار ۴/ ٢٨٢ و فيه: قال النبى ﷺ: كلٌ ميسر لما خلق له.

وكقول القائل:

لا تعــادِ النـــاس فـــي أوطانهـــم   قلّمـــا يرعـــى غريـــبُ الوطـــن
وإذا مـــا شـــئت عيشـــاً بينهـــم   «خالـــق النـــاس بخلـــق حســـن»[١]

٢. **التضمين:** هو أن يضمن الشاعر كلامه شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه[٢] إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشعر وذوي اللَسن، وبذلك يزداد شعره حسناً، كقول الصاحب بن عبّاد:

أشـــكو إليـــك زمانـــاً ظـــل يعركنـــي   عـرك الأديم، ومـن يعـدو علـى الزمـنِ
وصاحبـــاً كنـــتُ مغبوطـــاً بصُحبتـــه   دهـــراً فغادرنـــي فـــرداً بـــلا ســـكن
وبـــاع صفـــو وداد كنـــت أقصُـــره   عليـــه مُجتهـــداً فـــي السِـــر والعلَـــن

---

١. أمالي الطوسى، ص ١٨٦، وينقسم الاقتباس إلى ضربين:
الأول: ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، كما تقدم. الثاني: ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي:

لئن أخطأت في مدحـ   ـك ما أخطأت في منعي
لقـد أنزلـت حاجاتـي   «بـواد غيـر ذي زرع»

فقد كنى بلفظ (واد غير ذى زرع)، عن رجل لا يرجى نفعه، و لا خير فيه، و هو في الآية الكريمة بمعنى (واد لا ماء فيه و لا نبات)، و قد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير، كما سبق و اعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام:
أ- مقبول: و هو ما كان في الخطب والمواعظ.
ب- مباح: و هو ما يكون في الغزل و الرسائل و القصص.
ج- مردود: و هو ما كان في الهزل، كما تقدم ذكره.
٢. أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته، فكقوله:

أولـى البـرية طـراً أن تواسيـه   عنـد السرور الـذي واساك فـي الحـزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكـروا   مـن كان يألفهـم فـي المنـزل الخشـن

كأنــــه كان مطويّـــاً علـــى إحــــن ... ولم يكن في قديم الدهر أنشَدني

إن الكـــرام إذا مـــا أيســروا ذكـــروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وكقوله:

إذا ضــاق صــدري وخفــتُ العــدا ... تمثلـــت بيتـــاً بحالـــي يليـــق

فبـــالله أبلـــغ مـــا أرتجـــي ... وبـــالله أدفـــع مـــالا أطيـــق

وكقول الحريري يحكى ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

علـــى أنـــي سأنشـــد عنـــد بيعـــي ... أضاعونـــي وأي فتـــى أضاعـــوا

فالمصراع الأخير للعرجي وهو محبوس، وأصله:

أضاعونـــي وأي فتـــى أضاعـــوا ... ليـــوم كريهـــة وســـداد ثغـــر

وصبـــر عنـــد مُعتـــرك المنايـــا ... وقـــد شـــرعت أســـنتها بنحـــري

٣ . **العقد:** هو نظم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص، ليدخل في وزن الشعر فعقد القرآن الكريم، كقوله:

أنلنـــي بالـــذي اســـتقرضتَ خطـــا ... وأشـــهد معشـــراً قـــد شـــاهدوه

فـــإن الله خـــلاّق البـــرايا ... عنـــت لجـــلال هيبتـــه الوجـــوه

يقـــول «إذا تداينتـــم بديـــن ... إلـــى أجـــل مســـمى فاكتبـــوه»[٢]

---

١ . البقرة، ٢٨٢.

وكقوله:

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا　　　سبحانه «خلق الإنسان من عجل»[1]

وعقد الحديث الشريف، كقوله:

إن القلوب لأجنادٌ مجندة　　　بالأذن من ربّها تهوي وتأتلف[2]

فما تعارف منها فهو مُؤتلف　　　وما تناكر منها فهو مختلف

٤. **الحلّ**: هو نثر النظم وإنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع، كقوله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　　وصدق ما يعتاده من توهّم

تقول في نثر هذا البيت: لما قبحت فعلاته، و حنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده، و يصدق توهمه الذي يعتاده.

٥. **التلميح**: هو الإشارة إلى قصة معلومة، أو شعر مشهور أو مثل سائر، من غير ذكره.

فالأول: وهو الإشارة إلى قصة معلومة، نحو:

يا بدر أهلك جاروا　　　و علّموك التَجرى

و قبّحوا لك وصلى　　　و حسّنوا لك هجري

فليفعلوا ما أرادوا　　　«فإنّهم أهل بدر»

«فانهم اهل بدرٍ» اشارة الى قصّة حاطب من ابى بلتعة من أصحاب بدر.[3]

وكقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ آمَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾

---

١. الأنبياء، ٣٧.

٢. عن رسول الله ﷺ: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف «من لايحضره الفقيه، ج۴، ص۳۸۰».

٣. مجمع الزوائد للهيثمی ۱۶۰/۹.

(يوسف/٦٤) أشار يعقوب في كلام هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف.

ونحو قول الشاعر:

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألَمّت بنا أم كان في الركب يوشع[1]

والثاني: وهو الإشارة إلى شعر مشهور، نحو قول الشاعر:

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تلتظي أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث: وهو الإشارة الى مثل سائر من غير ذكره، نحو قول المتلمّس:

لِذى الحلْم قبلَ اليوم ما تُقَرعُ العَصَا وما عُلّم الانسان الا ليعلَما

يشير الى المثل(ان العصا قرعت لذى الحِلم)؛ يضرب لمن اذا نبّهته انتبه. قيل: ذو العلم هو عامر بن الظرب العدوانى و كان من حكماء العرب لا تعدل بفهمه فهماً و لا بحكمه حكما فلما طعن فى السن انكر من عقله شيئاً فقال لبنيه: انه قد كبرت سنّى و عرض لى سهو فاذا رأيتمونى خرجت من كلامى و اخذت فى غيره فاقرعوا لى المجّن بالعصا، يقال انّه عاش ثلثمأة سنة[2].

---

١ . إشارة إلى استيقاف يوشع عليه السلام للشمس، يروى أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم، و يدخل يوم السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله، فأبقى له الشمس، حتى فرغ من قتالهم.

١ . مجمع الامثال، ج١، ص ٣٧، ع١۴۶.

فصل: تكون هناك امور يبحث عنها فى هذا المقام[1] و هى:

۱. **حسن الابتداء**، أو براعة المطلع: هو أن يُجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً واضح المعاني، مستقلاً عمّا بعده، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يُعرف ما عنده.

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، وذلك كقول الشاعر:

المجـد عوفـي إذ عوفيـتَ والكـرم　　　وزال عنـك إلـى أعدائـك السَّـقم

وتزداد براعة المطلع حسناً، إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة وتسمى براعة استهلال[2] وهي أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه، بالإشارة لا بالتصريح، كقول أبي محمد الخازن مُهنّئاً لصاحب ابن عباد بمولود:

بُشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا　　　وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وكقول غيره في التهنئة ببناء قصر:

قصـر عليـه تحيّـة و سـلام　　　خلعـت عليـه جمالهـا الأيـام

وكقول أحمد شوقي بك في الرثاء:

أجـلٌ و إن طـال الزمـان موافـي　　　أخلـى يديـك مـن الخليـل الوافـي

---

۱. هناك جهة أخرى من المحسنات يصح إلحاقه بتوابع السرقات الشعرية و هى براعة الطلب، و هي أن يشير الطالب إلى ما في نفسه، دون أن يصرح بالطلب، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود/۴۵) إشارة إلى طلب النجاة لابنه، وكقوله:

وفـي النفـس حاجـات وفيـك فطانـة　　　سـكوتي بيـان عندهـا و خطـاب

۲. الاستهلال فى الأصل رفع الصوت، و سمى الهلال هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته و هو فنّ من أرقّ فنون البلاغة و أرشقها. و براعة استهلال القرآن هى سورة الفاتحة لأنها تشير إلى جميع المعارف القرآنية على إيجازها و اختصارها، فإن القرآن على سعته العجيبة فى معارفه الأصلية و الفرعية يرجع جميع بياناتها إلى التوحيد و النبوة و المعاد و هداية العباد إلى ما يصلح به أولاهم و عقباهم و هذه السورة تشتمل على جميعها.

وكقول آخر في الاعتذار:

لنـــار الهـــم فـــي قلبـــي لهيـــب ... فعفـــواً أيهـــا الملـــك المهيـــب

وقد جاء في الأخبار أن الشعر قفل، وأوّله مفتاحه.

٢. التّخلص: هو الخروج والانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجعل المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب، إلى مدح، أوغيره، لشدة الالتئام والانسجام، كقوله:

دعـــت النـــوى بفراقهـــم فتشـــتّتوا ... وقضـــى الزمـــان بينهـــم فتبـــدّدوا

وقد يُنتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة، بدون رابطة بينهما، ويسمى ذلك اقتضاباً، كقول أبي تمام:

لـــو رأى الله أنّ فـــي الشـــيب خيـــراً ... جاورتـــه الأبـــرار فـــي الخُلـــد شـــيباً

كل يـــوم تُبـــدى صـــروف اللّيالـــي ... خلقـــاً مـــن أبـــي ســـعيد غريبـــاً

٣. حسن الانتهاء: ويقال له حسن الختام ايضاً و هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعراً بالتّمام حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام، إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام، لقرب العهد به.

يعني: أن يكون آخر الكلام مستعذباً حسناً، لتبقى لذته في الأسماع مؤذناً بالانتهاء، بحيث لا يبقى تشوقاً إلى ما وراءه، كقول أبي نُواس:

وإنـــي جديـــر إذ بَلَغتـــك بالمنـــى ... وأنـــت بمـــا أمّلـــت فيـــك جديـــر

فـــإن تُولِنـــي منـــك الجميـــل فأهلـــه ... وإلا فإنـــي عـــاذر وشـــكور

وقول غيره:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله   وهذا دعاء للبريَّة شامل

وقول ابن حجَّة:

عليك سلام نشره كلّما بدى   به يتغالى الطِّيب والمسك يختم

وقول غيره:

ما أسأل الله إلا أن يدومَ لَنَا   لا أن تزيد معاليه فقد كمُلت

فائدة

في تطبيق البلاغة على آية من آي الذكر الحكيم

لا بأس بتطبيق ما تقدم من وجوه التحاسين على آية من آي الذكر الحكيم و هي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(هود/٤٤)

و إيراد بعض وجوه حسنها على ما استفدنا من كلامهم، مستعيناً بمنشأها و منزلها، تبركاً بها و تمريناً للطلاب، و تتميماً للكتاب، و ترغيماً لأنف الخصم المرتاب، المتنحي عن الصواب، و القائل في الوحى بما لا يليق بالاستماع و الجواب، و قد قال الله سبحانه فيمثله: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ (الأعراف /١٧٦).

واجتبيت الآية الكريمة،وإن كانت آي القرآن الكريم كلها معجزة،لأنها اختصت بمزايا تُشده العقول، و تُخشع الألباب، لاشتمالها على أفانين البلاغة و فنونها، و تحاسين الفصاحة و قنونها، بحيث صارت مطمح نظر علماء الفصاحة و فوارس ميدان البلاغة، فتكلموا فيها و في تحاسينها، و غاصوا بحرها اللُجاج، و أخرجوا منها اللئالي الثمينة، و إن لم يقعروها و اعترفوا بأنها قعيرة.

و النظر في الآية الشريفة من أربعة وجوه، الفصاحة و المعاني و البيان و البديع.

الوجه الأول: فصاحة الآية الشريفة و هي في أمرين.

أ. مفرداتها: فكل واحد منها مستعذب، موصوف بصفات الحسن من سهولة التلفظ بها و كونها عربية مستعملةكثيرة التداول، جارية على قوانين اللغة و خالية من تنافر الحروف و الغرابة و مخالفة القياس الصرفي.

ب. فصاحتها من حيث الكلام: فإنها في أعلى مراتب الفصاحة و قنانها، لسلسها تلفظاً

و تفهماً، فإنها كالماء في السلاسة و كالعسل في الحلاوة و كالنسيم في الرقة و الطلاوة. فإنها سلسة التلفظ بها، خالية من تنافر الكلمات و جارية على قوانين اللغة العربية، سليمة عن ضعف التأليف، و ظاهرة في معانيها الأولية و الثانوية، خالية عن التعقيد، اللفظي منه و المعنوي لايتحير الفكر في طلب المراد و لا تعثر. بل تسابقت معانيها ألفاظها، فما من لفظة في الآية تسبق إلى أذنك إلا ومعناها أسبق إلى لبّك، مع شدة إيجازها.

و لاشتمالها على الاستعارة و المجاز و الكناية و المحسنات البديعية إلى مدى بعيد ستدهش من كثرتها. و هذا ما يسميه بعضهم تهذيباً.

و مما يزيد في حلاوتها و طلاوتها أن الفواصل مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها و يسمى تمكيناً.

الوجه الثاني: في النظر فيها من منظر علم المعاني: و النظر تارة إلى الآية و تارة إلى أجزائها.

الأول: النظر إلى الآية: إن الآية الكريمة مشتملة على التحاسين والأعاجيب نذكر بعضها.

١. حسن النسق[1]: و في الآية شواهد من هذا الفن فقد ترادف الجمل، آخذًا بعضها برقاب بعض، مبتدأ بالأهم الأول فالأول، فإنها في مقام بيان انقضاء العذاب وانحسار الماء عن الأرض وانجلاء السماء و نجاة من كان في السفينة و هلاك غيرهم ممن أجري على القلم هلاكه، فنسق الآية بدواً و ترتيباً و ختماً حسن في غاية الحسن كما سنشير إليه.

٢. حسن الإيجاز: لإيراد المعاني الكثيرة الجمة بألفاظ قصيرة يسيرة من غير إخلال و حذف رديئ و سترى هذا جلياً إن شاءالله تعالى.

٣. حسن إيراد الوصل و الفصل في مواضع كل منهما، كما سيأتي.

٤. حسن حذف المسند إليها والإتيان بالأفعال مبنياً للمفعول، أو من باب المطاوعة: فإنه تعالى لم يصرح بفاعل القول و الغيض والقضاء كما لم يصرح بمن سوى السفينة تنبيهاً على:

---

١. هو أن يأتي المتكلم بالكلمات متتاليات متلاحمات.

أ: أن تلك الأمور العظام لا يتصور وقوعها إلا من قادر لا يكنه وقهار لا يغالب فإن الوهم لا يذهب إلى غيره تعالى.

ب: أن هذه الأمور لأهون عنده تعالى من أن يسندها إلى قدرته صراحة.

الثاني: النظر إلى أجزائها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ فيه:

١. تقديم النداء على الأمر: ليتمكن الأمر الوارد عقيبه، كما في نداء الإنسان.

٢. فصل جملة «ابلعي مائك» عن قوله «يا أرض»: لكمال الانقطاع و لو وصله به لم يكن بليغاً.

قوله «يا أرض»:

١. اختيار «يا» للنداء: لأنها أكثر استعمالاً و لدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة و الجبروت، و يقتضيه إصدار هذا الأمر.

٢. تنكير الأرض: تهاوناً للمنادى و تحاشياً مما يقتضيه الإضافة من الوداد و التهاون.

٣. تقديم نداء الأرض على نداء السماء: لابتداء الطوفان منها، و لأن فعلها أقرب إلى إطلاق المؤمنين من سجن السفينة.

قوله «ابلعي مائك»:

١. الأمر بعد النداء من غير فتور و لا فاصل: للدلالة على كمال الهيبة و العزة.

٢. ايجاز الأمر: للدلالة على شدة الغلبة و السلطة.

٣. التعبير بالبلع: فإنه لم يقل إذهبي بمائك او اشربي مائك، لكمال العناية بتحقق الفعل بسرعة، من غير وناء.

قوله «ابلعي»:

١. ذكر المسند و المسندإليه جميعاً: لعدم قرينة تدل عليهما.

٢. أتي بالمسندإليه معرفاً بالضمير: جرياً على الأصل لكون الحديث في مقام الخطاب.

۳. قدم المسند: لأنه العامل و لا مقتضي لتقديم المسندإليه.

قوله « مائك»:

١. ذكر المفعول به: لعدم قرينه تدل عليه عند الحذف.

٢. أتي به مفرداً: لما في الجمع من الدلالة على الاستكثار الآبي عنه مقام العزة و للإشعار بأنها لم يحصل من اجتماع المياه و تكاثرها بل هو نوع واحد حصل بقدرته تعالى دفعة واحدة.

٣. عرف: لتعلق الغرض إلى بلع ماء معين.

٤. عرف بالإضافة: للإشارة إلى:

أ. الماء الفوارة منها، المخبر عنها سابقاً بقوله: «و فار التنور».

ب. مناسبة المأمور و المأموربه: فإنها أمرت ببلع مائها دون هذا الماء و نحوها. فإنها يسهّل امتثال الأمر على المأمور.

٥. أخر: لأنه المعمول و الأصل فيه تأخره عن العامل و لا مقتضي لتقديمه.

قوله «و ياسماء أقلعي»:

١. وصل بقوله «يا أرض ابلعي مائك»: لقصد بيان اشتراكهما في الإعراب و أنهما مقولان للقول.

٢. فصل «ياسماء» عن «أقلعي»: لما تقدم و كذا غيره مما ذكر في قوله: «يا أرض ابلعي» من اختيار «يا» و التنكير و الذكر و التقديم و تعريف المسندإليه بالإضمار.

قوله « أقلعي»:

١. الإقلاع أبلغ من الانجلاء: لأن فيه أيضاً معنى الإسراع بإزالة السحاب، الدال على نفاذ القدرة.

٢. حذف المفعول به :

أ. إما لكون الإقلاع لازماً بمعنى الانجلاء و الانكشاف.

ب. أو لوضوحه و الإيجاز، إن كان الإقلاع بمعنى الكف أي: الإقلاع عن المطر.

قوله «و غيض الماء»:

١. تأخرعن الأمرين: لأنها مترتب على البلع و الإقلاع و نتيجة لهما.

٢. وصل قوله: «غيض الماء» بقوله: «قيل يا أرض...» لوجود المقتضي له (من المناسبة بينها و الجامع و المغايرة بينهما مفهوماً) و عدم مانع عنه.

٣. ذكر غيض الماء: مقدمة لقوله: «استوت على الجودي».

٤. الإيجاز: فإنه يشيرإلى إقلاع السماء عن المطر و قطع فوران التنور و بلع الأرض مائها.

٥. ذكر ركناه: لعدم المجوز للحذف.

٦. أتي بالفعل مبنياً للمفعول دون المطاوعة: لأن الفاعل ملحوظ غير منسي.

٧. عرف المسندإليه بلام العهد: للإشارة إلى امتثال الأرض أمره تعالى «ابلعي مائك».

٨. قدم المسند: لأنه العامل.

و حذف إغلاء السماء: لأن غيض الماء يشيرإليه و أن السلطة الكاملة لا يبقي مجالاً للمرود و العصيان.

قوله « وقضي الأمر»:

١. وصل بقوله «غيض الماء»: لما تقدم و كذا غيره مما ذكر في قوله: «غيض الماء» كالذكر والحذف و التقديم و التعريف.

٢. الإيجاز: فإنه عبرعمّا جرى بإرادته التكوينية من فوران الماء و الطوفان و إنجاز وعده من هلاك الظالمين و نجاة من أراد الله نجاته، بقضاء الأمر.

قوله « و استوت على الجودي»:

١. وصل بقوله «قضي الأمر»: لما تقدم، و كذا ذكر الركنين.

٢. عرف المسندإليه بالإضمار: لتقدم ذكره.

٣. قدم المسند: للاختصار و عدم ما يقتضي تقديم المسندإليه.

٤. أتي بقوله «على الجودي»: للدلالة على انقطاع الماء الفائرة، فإنه كان جبلاً منخفضاً.

٥. عبر بالاستواء: دون الاستقرار: لما يحتمله الاستقرار من الزيغ و الميل و يدل عليه الاستواء من الاستقامة و عدم الانحراف و في هذا طمأنينة لأهل السفينة و أمن لهم بعد المخافة و الروع و هذا كاشف عن رحمة الله تعالى بهم و نظره إليهم.

٦. عرف الجودى بالعلمية: ليتميز عما سواه أكمل تمييز و لما فيه من التكريم.

٧. أخّر الظرف: لأن تأخيره الأصل و لا داعي إلى تقديمه.

٨. فيه إيجاز: فإن الاستواء على الجودييدل على انحسار الماء من الأرض و صيرورة الأرض على ما كانت عليه قبل الفوران.

قوله « و قيل بعداً للقوم الظالمين»:

١. وصل بقوله «و استوت على الجودي»: لما ذكر.

قوله: « بعداً»:

حذف الفعل: لأن «بعداً» من المصادر التي لا يستعمل فعلها و لم يقل «ليبعد القوم» أي: «ليهلك» للتأكيد مع الاختصار.

قوله « للقوم»:

١. اللام تدل على أن البعد حق لهم.

٢. ذكر القوم معرفاً باللام: للدلالة على ما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ (هود/٣٨) وقوله بعد ذلك: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود/٣٧) و فيه نكتة بديعية تأتي.

قوله «الظالمين»:

١. وصف للقوم و مشعر بالعلية و فيه نكتة بديعية سيأتي.

٢. أطلق الظلم: ليتناول كل نوع منه حتى ظلمهم أنفسهم.

الوجه الثالث: النظر في الآيه الكريمة من منظر علم البيان من حيث إنها تشتمل على المجاز العقلي و اللغوي و الاستعارة و الكناية و ما يتصل بها فإن الله سبحانه يريد: أنه تعالى أراد بالإرادة التكوينية التي لا تُخالَف إرساء السفينة و إلقاء مرساته بعد هلاك الظالمين الذين أوعدهم و نجاة نوح و الذين معه فقطع الطوفان و غاض الماء الفائرة من الأرض و سوّى السفينة على جبل منخفض لكي يخرجوا منها سالمين و من ظلم الظلمة آمنين فعبر عن الإرادة التكوينة بالإرادة التشريعية و بنى الكلام على تشبيه السماء و الأرض بعبدين مأمورين منقادين لايعصيان ما أمرهم و يفعلان ما يؤمران و استعار و تجوز و كنى و عرّض و بيانه: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي﴾:

١. **الاستعارة:** إن المراد من الكلام، أنه تعالى أراد غيض الماء و صحو السماء فغاض و صحا، حيث «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» و لكنه شبه الإرادة التكوينية بالإرادة التشريعية بجامع الطلب ثم استعمل اللفظ الدال على الإرادة التشريعية(و هو القول)، في الإرادة التكوينيةُ على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ثم اشتق «من القول» بمعنى«الإرادة»«قيل» بمعنى«أريد» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية و حيث أن المستعارله، أمرمحقق عقلاً فالاستعارة تحقيقية. وقرينتها كون المخاطَب للقول جماداً.

٢. **الترشيح:** بعد استعارة «قيل» لمعنى «أريد»، ذكرما يلائم المشبه به من نداء الأرض و السماء و أمرهما.

٣. **استعارة أخرى في قوله «يا أرض»:** شبه الأرض بإنسان مدرِك، في الإدراك و الإقبال و أتى بالمشبه و حذف المشبه به و رمز إليه بإثبات شيئ من لوازمه(و هو النداء) للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية.

٤. **التخييل:** فإن وجه الشبه في المشبه خيالي.

٥. **ترشيح آخر:** فإن ذكر «ابلعي مائك» و الأمر من ما يلائم المشبه به و هو الإنسان.

٦. **الاستعارة التمثيلية** في «ابلعى»: فإن البلع وُضع لإنزال الطعام من الحلقوم إلى الجوف و استعمل مجازاً في معنى جذب الأرض ما عليها من الماء سريعاً لتغور و تذهب فيها و إجراء الاستعارة فيه: شبه الجذب السريع بالبلع بجامع انتزعه المتكلم من أحوال متعددة من إذهاب أمر جلي من مكان مرتفع ظاهر فيه إلى مكان منخفض يخفى فيه بعجلة و سرعة فحذف المشبه و استعمل اللفظ الدال على المشبه به في المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ثم اشتق من البلع بمعنى الجذب ابلعي بمعنى اجذبي على سبيل الاستعارة الأصلية التبعية و حيث أن المستعارله أمر محقق فالاستعارة تحقيقية. و قرينتها الفاعل أو فقل خطاب الجماد.

٧. **استعارة مكنية أخرى:** شبه الماء الغائر بالطعام بجامع التقوية و ذكر المشبه و حذف المشبه به و أثبت لازماً من لوازم المشبه به و هو البلع للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية التحقيقية و قرينتها لفظة ابلعي لوضعها للاستعمال في الغذاء لا الماء.

٨. **المجاز العقلي** في النسبة الإضافية حرف اللام: في إضافة الماء إلى ضمير الأرض و بيانه: أسند الماء إلى الأرض إسناداً إضافياً مع أن الأرض غير مالكة لها، مجازاً في الإسناد فإن الأرض مكان للماء.

٩. **استعارة ترشيحية أخرى:** في «يا سماء اقلعي» في لفظة «سماء» بمثل ما تقدم في لفظة «أرض».

١٠. **استعارة أخرى:** في قوله «أقلعي»: فإن الإقلاع معناه الترك و الإمساك، و حيث شبه السماء بالإنسان، شبه حبس المطر بالترك و الإمساك، بجامع عدم النزول في كل ثم استعمل الإقلاع في معنى الحبس على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ثم اشتق من الإقلاع بمعنى الحبس «أقلعي» بمعنى احبسي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التحقيقية.

١١. **المجاز المفرد مرسل في لفظة «سماء»**: فإن المراد به السحاب بعلاقة الظرفية.

١٢. **التجريد أو الترشيح في قوله «وقضي الأمر»**: فإن أريد منه فعل الأمر فهو ترشيح للاستعارة الأولى و هو استعارة القول للإرادة التكوينية و إن أريد به الشأن و القضا كما هو الظاهر فهو تجريد لها و بناء على هذا في الآية تورية تأتي في المحسنات البديعية.

١٣. **استعارة تمثيلية أخرى في قوله «استوت على الجودي»**: بمعنى استقرت شبه الاستقرار بالاستواء بجامع انتزعه من خصوصيات في الاستواء من الإشعار إلى جلوس لا زيغ فيه و لا اعوجاج و لا حركة معه و لا اضطراب ثم حذف المشبه و أراد من «الاستواء» «الاستقرار» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ثم اشتق من «الاستواء» بمعنى «الاستقرار» «استوت» بمعنى «استقرت» على سبيل الاستعارة التصريحية التبيعية التحقيقية و قرينتها الفاعل.

١٤. **الكناية التعريضية في قوله: «وقيل بعداً للقوم الظالمين»**. فإنه مشعر بأن علة العذاب و الطوفان و هلاكهم كونهم ظالمين ففيه تعريض بالمشركين الذين يراهم ظالمين و أخبر هم به بقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) و غيرهم، السالكين مسلكهم في تكذيب الرسول ﷺ و لجاجهم في الإنكار، بأن عذاب الله ليست عنهم ببعيد.

الوجه الرابع: النظر إليها من منظر علم البديع و النظر من وجهين.

الأول: النظر إلى كلّ الآية ففيها :

١. الانسجام أو السهولة: فإن ألفاظها سليمة و معانيها سهلة جزيلة و هما متناسبان.

٢. التسهيم: فإن ما تقدم منها دليل على ما تأخر و أولها يقتضي آخرها.

٣. ائتلاف اللفظ مع المعنى أو المزاوجة : فإنه تعالى اختار الألفاظ الشديدة حين

الإخبارعن الأمر والدعاء عليهم و اختار الألفاظ اللينة حين الإخبار عن حال السفينة.

الثاني: النظرإلى أجزائها و فيه جهات من الحسن منها:

١. **الطباق**: بين «الأرض» و «السماء».
٢. **الجناس غيرالتام** بين ابلعي و أقلعي.
٣. **المقابلة**: بين «يا أرض ابلعي مائك» و «يا سماء أقلعي».
٤. **المذهب الكلامي**: فإن بلع الأرض و إقلاع السماء سبب لغيض الماء.
٥. **المذهب الكلامي** أيضاً: فإن غيض الماء سبب لاستواء السفينة.
٦. **التقسيم**: بيان أقسام الماء حال نقصه.
٧. **التورية**: في قوله «وقضي الأمر»: فإن معنى «الأمر» القريب هو قوله تعالى: «ابلعي مائك و أقلعي» و قضائه أي: امتثاله و لكن المراد معناه البعيد، أي: الشأن و العذاب و قضائه أي: تحققه.
٨. **الموازنة**: بين قوله «غيض الماء» و قوله «قضي الأمر».
٩. **الإرصاد**: فإن السامع إذا سمع الآية إلى قوله «بعداً» للقوم، يحدس الفاصلة قبل أن يتلفظ بها.
١٠. **المذهب الكلامي** ايضاً في قوله: «بعداً للقوم الظالمين»، فإنه يدل على أن ظلمهم سبب لكونهم بُعداء هَلكى حيث إن الدعاء بعد هلاكهم و علق البعد على القوم موصوفين بالظالمين.
١١. **الاحتراس**: فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم أن الهلاك إنما شمل من كان مستحقاً للعذاب مستأهلاًله احتراساً ممّن يتوهم أن الغرق بعمومه ربما أودى غيرمستحق للعذاب.
١٢. **رد العجزعلى الصدر**: فإن المراد «بالقوم»: الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا

يسخرون من نوح و أنه تعالى قد كان نهى النوح عن مخاطبته فيهم قد أخبر عنهم في قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾(هود/٣٨) و قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾(هود/٣٧).

١٣. **الإبداع**: فإنها مشتملة على عدة أنواع البديع المذكورة.

والحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطيبين الطاهرين.